

للامام المحدث العلامة الحافظ الفقيه المجتهد أبى بكر أحمد
ابن الحسين البيهقى صاحب السنن الكبرى وغيره
المولود سنة ٣٨٤ ، والمتوفى سنة ٤٥٨

تاليف

الشيخ الامام أبى جعفر عمر القزويني المتوفى سنة ٦٩٩

صححه وعلق عليه (للمرة الثانية سنة ١٣٥٥ هـ) السلفى الشهير
محمد منير الدمشقى من علماء الازهر الشريف ومدير

ادارة الطباعة المنيرية

درب الاتراك رقم ١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل مناط قبول أعمال المكلفين الايمان به وبرسله وكتبه واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ، والصلاة والسلام على رسوله المبين لنا خصال الايمان بأنها بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة على حسب مانطقت به الأحاديث الصحيحة ، وعلى آله وصحبه ومن عمل بشرعه إلى يوم الدين *

(أما بعد) فيقول الراجى رحمة ربه الغنى . محمد منير الدمشقى الأزهرى إنى كنت شرعت بطبع كتاب مختصر شعب الإيمان للامام العلامة الشيخ أبى جعفر عمر القزوينى بعد ماصححت أصوله وعلقت عليه حسب الحاجة إلى ذلك سنة ١٣٤٣ هجرية وبعد أن تم طبعه و نشر عنه أخذت تتوافد عليه الطلبات من كل جهة حتى نفدت نسخه وعزمت على طبعه مرة ثانية إلا أن الظروف لم تمكنى من ذلك مباشرة لأنى كنت شارعا فى طبع كتب كبيرة كعمدة القارى شرح صحيح البخارى ، وشرح المفصل لابن يعيش وغير ذلك * ففوضت الأمر إلى الله تعالى وطلبت منه التيسير فوافق ساعة اجابة فوفقت لطبعه ثانياً مع زيادات فى الأصل وجدتها فى نسخة مخطوطة سنة ٨٣٢ فى المكتبة النورية بمصر المحمية ووسعت التعليق عليه أيضا فجاء يسر القارىء والناظر فيه فأشكر الله على ذلك وها أنا أزفه إلى القراء رجاء الثواب *

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام (١) على سيد المرسلين، وخاتم النبيين، وقائد الغر المحجلين، محمد المبعوث إلى الخلق أجمعين وعلى آله الطيبين، وصحبه الطاهرين، وأمته المتقين، وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين ❊

﴿ وبعد ﴾ فقد تكرر - من سيدنا ومولانا نادر بلاده، وناصح عباده، وعلامة زمانه، وأعجوبة أوانه، شمس الملة والدين، محمد بن القاسم بن أبى البدر بن الملحى المزى الفقيه. المحدث الواعظ، أدام الله توفيقه. وجعل السعادتين صاحبه ورفيقه - عدة مكتوبات من واسط إلى بغداد فى السؤال عن عدد شعب الإيمان حيث ورد فى صحيح البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله تعالى

---

(١) سقط لفظ الصلاة فى بعض النسخ ولعله من النساخ سهوا ❊

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ أَوْ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً أَعْلاَهَا أَوْ فَارْفَعُهَا أَوْ فَأَفْضَلُهَا - عَلَى اخْتِلاَفِ الرِّوَايَاتِ - قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ» (١) وَإِنَّهُ بِصَدَدِ إِحَاطَةِ عِلْمِهِ بِتَفْصِيلِهَا عَدَداً أَوْ تَأَخَّرَ الجَوَابُ

---

(١) اعلم أن هذا الحديث رواه البخارى فى صحيحه بلفظ «الايمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الايمان» ولم تختلف الطرق عن أبى عامر شيخ شيخ البخارى فى ذلك. وتابعه الحمانى — بكسر المهملة وتشديد الميم — عن سليمان بن بلال. واخرجه أبو عوانة من طريق بشر بن عمرو عن سليمان بن بلال فقال: «بضع وستون أو بضع وسبعون» وهكذا وقع التردد أيضا فى رواية مسلم من طريق سهيل عن عبد الله بن دينار. ورواه أصحاب السنن الثلاثة من طريقه فقالوا «بضع وسبعون» من غير شك * ولأبى عوانة فى صحيحه من طريق «ست وسبعون أو سبع وسبعون» وترجح رواية البخارى بأن العدد فيها متيقن وما عداها فمشكوك فيه. وعلى الرواية الثانية درج المصنف. وأما رواية الترمذى بلفظ «اربع وستون» فمعلولة وعلى صحتها لاتخالف رواية البخارى *

وقال الامام النووى رحمه الله: والصواب ترجيح «بضع وسبعون» لانها زيادة من ثقات وزيادة الثقات مقبولة مقدمة وليس فى رواية «السبع وستون» ما يمنع * وسيأتى تفسير الايمان والحياء بعد ان شاء الله تعالى *

والبضع بكسر الباء - وحكى فتحها لغة - عدد مبهم مقيد بما بين الثلاث الى التسع كما جزم به القزاز ورجحه الحافظ ابن حجر واستدل له ،

وقال ابن سيده : الى العشر ، وقيل من واحد الى تسعة .

والشعبة — بضم الشين — هى القطعة والفرقة وهى واحدة الشعب - وشعب الشجرة أغصانها - والمراد منها فى الحديث الخصلة أو الجزء أى ان الايمان ذو خصال متعددة ، قال الامام محي الدين ابو زكريا النووى فى شرحه هذا الحديث من صحيح البخارى . وقد صنف العلماء فى تعيين هذه الشعب كتبا كثيرة من اغزرها فوائدو اعظمها جلالة — كتاب المنهاج — لابى عبد الله الحليمى ثم حذا الامام الحافظ ابو بكر البيهقى حذوه وزاد عليه واتى فى التحقيق والفرائد بما لامزيد عليه فى كتابه — شعب الايمان — فرحمه الله تعالى ورضى الله ، وقال الامام الحافظ ابو حاتم بن حبان — بكسر الحاء — البستى . تتبعت معنى هذا الحديث مدة وعددت الطاعات فاذا هى تزيد على هذا العدد شيئا كثيرا فرجعت الى السنن فعددت كل طاعة عدها رسول الله صلى الله عليه وسلم من الايمان فاذا هى تنقص عن البضع والسبعين فرجعت الى كتاب الله سبحانه وتعالى وقرأته بالتدبر وعددت كل طاعة عدها الله تعالى من الايمان فاذا هى تنقص عن البضع والسبعين فضممت الى الكتاب السنن واسقطت المعاد - أى المكرر - فاذا كل شىء عده الله عزوجل ورسوله صلى الله عليه وسلم من الايمان تسع وسبعون شعبة لاتزيد عليها ولا تنقص فعلمت ان مراد النبى صلى الله عليه وسلم ان هذا العدد فى الكتاب والسنن ، ذكر ذلك فى كتاب وصف الايمان وشعبه اه قال القاضى عياض: تكلف جماعة حصر هذه الشعب بطريق الاجتهاد . وفي الحكم بكون ذلك هو المراد صعوبة ولا يقدح عدم معرفة حصر ذلك على التفصيل فى الايمان اه . قال الحافظ ابن حجر فى الفتح : ولم يتفق من عد الشعب على نمط واحد واقربها الى الصواب طريقة

لأسْبَاب وَعَوَارِض (١) *

فَحِينَ طَالَ الزَّمَانُ ، وَكَثُرَ التَّكْرَارُ ، أَحْضَرْتُ كِتَابَ شُعَبِ الايمَانِ للامَامِ الحَافِظ الفَقيه أَبِي بَكْرٍ أَحمد بن الحُسَين البَيهَقِيِّ سِتَّ مُجَلَّدَاتٍ لأنقلَهَا بِذَاتِهَا فوجدتها متفرقة في جميعها لم يجمعها أولاً في الخُطْبَة وَلَا فِي المُجَلَّد الأَوَّل ، ثُمَّ اعتنى بتفاصيل شروحها لكن فرقها في جميع الكتاب . فدعتني الضرورة إلى أن أجمعها من مجموعها . وأجعلها مختصرة كرؤوس المسائل : واقنع باستدلال آية من كتاب الله تعالى . أو بحديث من أصح ماروى فيه عن رسول الله ﷺ : وربما زدت في بعض الشعب آية أو آيات : أو حديثا أو كلمات . أو حكاية أو حكايات . أو بيتا أو أبيات . لم يذكرها البيهقي وقد بوبها سبعة وسبعين بابا *

---

* ابن حبان لكن لم نقف على بيانها من كلامه اه ، وقد لخصها الحافظ ابن حجر واوردها في الفتح لولا التطويل لذكرتها .

(١) قوله وأنه بصدد إحاطة علمه الخ اى وتكرر من ذلك البعض انه بصدد ارداته احاطة علمه بتفصيل شعب الايمان عددا فالضمير عائد الى ذلك البعض *

أنبانا بجميعها عنه وجميع الكتاب المنقول هذا منه جماعة : منهم الشيخ العالم مسند العراق رشيد الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن عمر المقرى البغدادى بها . والقاضى تقى الدين أبو الفضل سليمان ابن حمزة بن احمد المقدسى من دمشق قالوا جميعا أنبا الشيوخ الرواة ابو محمد الأنجب بن أبى السعادات بن محمد بن عبد الرحمن الحامى . وابو العباس احمد بن يعقوب بن عبد الله المارستانى. وابو القاسم على ابن الحافظ أبى الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزى (١) قالوا جميعا انبا ابو حفص عمر بن احمد بن عمر الزنجانى فى صفر سنة اثنتين وستين وخمسمائة ، قال أخبرنى الشيخ ابو الحسن عبيد الله بن محمد ابن الامام الحافظ أبى بكر احمد بن الحسين بن على البيهقى قال أخبرنى جدى الامام أبو بكر *

ح (١) وأخبرناها عاليا عددا مسند الوقت أبو الحسن على بن احمد بن عبد الواحد المقدسى إجازة عامة إن لم تكن خاصة . قال اخبرنا حافظ بغداد ابو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزى ومفتى خراسان ابو سعد عبد الله بن احمد بن عمر الصفار النيسابورى

---

(١) ح هذا الحرف وضعه المحدثون علامة للتحويل أى الانتقال فى السند اهـ

إِجَازَةً خاصَّةً . قَالَا أنبـأَنَا كَذلِكَ أبُو القَاسِمِ زَاهِرُ بن طَاهر بن مُحَمَّد الشحامى وجماعة . قَالُوا أنبأنا الامَامُ الحَافظُ أبو بَكْرٍ أحمد بن الحسين البيهقى رحمةُ الله عليهم أجمعين ❊

قَالَ : ﴿ ١ ﴾ الايمَانُ بالله عز وجل لقوله تعالى :(والمُؤمنون كُلٌّ آمن بالله) ولقوله : (ياأيها الَّذين آمنوا امنوا بالله) ثُمَّ سَاق فيه حديث أبى هريرة رضى الله عنه المتفق عليه فى الصحيحين ، أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا الا اله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم منى نفسه وماله إلا بحقه وحسابه على الله » وحديث عثمان بن عفان رضى الله عنه فى صحيح مسلم « من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة » (١) ❊

---

(١) الايمان له معنيان لغوى - وهو مطلق التصديق - وشرعى وهو تصديق النبى ﷺ بكل ماجاء به مما علم من الدين ضرورة ، وفسره الرسول ﷺ بالاصول الخمسة فى حديث سؤال جبريل النبى ﷺ فقال «ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت وتؤمن بالقدر خيره وشره» وقد جاء فى القرءان الحكيم اطلاقه ايضا على هذه الاصول الخمسة فى مواضع ، منها قوله تعالى (آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون) الآية وقوله تعالى

(ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب) الآية وقوله تعالى : (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) والمشهور عن السلف واهل الحديث ان الايمان قول وعمل ونية وان الاعمال كلها داخلة في مسمى الايمان ، وحكى الشافعي رحمه الله تعالى على ذلك اجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن ادركهم ، وانكر السلف على من اخرج الاعمال عن الايمان انكارا شديدا ، وممن أنكر ذلك على قائله وجعله قولا محدثا سعيد بن جبير . وميمون بن مهران . وقتادة . وابو ايوب السختياني . والنخعي . والزهري . وابراهيم . ويحيي بن ابي كثير وغيرهم حتى قال الامام سفيان الثوري : هو رأى محدث ادركنا الناس على غيره ، وقال الأوزاعي : وكان من مضى من السلف لا يفرقون بين العمل والايمان .

والايمان بالله عز وجل هو الاعتقاد والتصديق بأنه إله خالق قادر عالم لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض متصف بكل كمال منزه عن كل نقص لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فكل ماجاء وصفه تعالى به في القرآن الحكيم نعتقده ونصدق به وكذلك كل ماجاءت به الاخبار الصحيحة على لسان الرسول المعصوم موصوفا بها بصفات نصدق بها وننزهه عن الشبه والمثل كما نزه نفسه جل جلاله بقوله (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) ونكف عن الخوض في المتشابه ونكل امره إلى خالقنا وموجدنا ولا نحمل الناس على خلاف ذلك من تأويلات الفلاسفة والمتكلمين التي ما انزل الله بها من سلطان ، اللهم وفق الامة واصلح الراعي والرعية .

والحديث الاول رواه اصحاب الكتب الستة من طرق مختلفة وبألفاظ متقاربة حتى قال الحافظ جلال الدين السيوطي انه متواتر ، ورواه البيهقي واحمد بن حنبل . وابن حبان . والدارقطني ، وقوله « أمرت » هو بصيغة المجهول فالآمر هو الله تعالى وإذا قال الصحابي ذلك فهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿ ٢ ﴾ الايمَانُ بِرُسُلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وَسَلَّمَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ) وَلِحَدِيثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ فِي سُؤَالِ جِبْرَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ «الايمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ» الْحَدِيثَ (١) ❊

أمره ، وقوله « عصم » أي حفظ وحقن نفسه من الايقاع فيها وماله من اخذه والاستيلاء عليه ❊

وضمير بحقه راجع الى الاسلام المفهوم من قوله لا اله الا الله . وفي رواية لمسلم «الا بحقها» أي الشهادة وقوله « وحسابه على الله » معناه فيما يسر به من الكفر والمعاصي . فانا نحكم عليه بالاسلام ونؤآخذه بحقوقه بحسب ما يقتضيه ظاهر حاله والله سبحانه وتعالى يتولى حسابه ، والحديث الثاني رواه الامام مسلم في صحيحه ❊ قال المصنف رحمه الله تعالى، وظاهره ان من مات وهو يعلم ان لا اله الا الله دخل الجنة وإن لم يعلم ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس كذلك، والجواب ان هذه الجملة هي عنوان عما جاء به الدين من اعتقادات واعمال فاذا اطلقت علم منها ذلك ❊

(١) الايمان بالرسل هو تصديقهم بجميع ماجاءوا به وأنهم بلغوا ما انزل اليهم وقاموا به وادوا الرسالة وانهم معصومون عن الكبائر والصغائر عمدا لا سهوا وخطأ بشرط التذكر في الحال والتنبه عليه بحسن المقال ارسلهم الله إلى الخلق لهدايتهم وتكميل معاشهم ومعادهم وايدهم بالمعجزات الدالة

﴿٣﴾ الايمَانُ بِالمَلَائِكَةِ لِلْآيَةِ وَالحَدِيثِ المَذْكُورَيْنِ (١) ❁

على صدقهم ، واننا يجب علينا احترامهم وتعظيمهم لا نفرق بين احد منهم كما أخبر الله تعالى بذلك ، والنبي ﷺ انسان اوحى اليه بشرع يعمل به ولم يؤمر بتبليغه ، والرسول انسان اوحى اليه بشرع وامر بتبليغه ❁

(١) الايمان بالملائكة هو التصديق بأن لله خلقا تسمى ملائكة لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون مايؤمرون كما اخبر الله جل وعز فى كتابه المنزل على نبيه المكرم ، والملائكة جمع ملأك على وزن - مفعل - فى الاصل ثم حذفت همزته لكثرة الاستعمال فقيل ملك ، وقد تحذف الهاء فيقال : ملائك ، وقيل اصله مألك بتقديم الهمزة من الالوك وهى الرسالة ثم قدمت الهمزة وجمع ❁ وحقيقة الملائكة اجسام نورانية لطيفة مبرأة من الكدورات النفسانية والظلمات الحيوانية مقتدرة على تشكلات مختلفة معصومون عن المخالفة ، وهم اقسام : منهم الوسائط بين الله وانبيائه المبعوثين إلى الخليقة ، ومنهم الموكل بالرياح ومنهم الموكل بحمل العرش ، ومنهم الموكل بقبض الأرواح ، وغير ذلك مما جاء به التصريح فى القرآن والسنة اجمالا وتفصيلا واجمع عليه الامة ، وقد ظهرت طائفة مبتدعة فى زماننا وانكروا جميع ماوراء الطبيعة واولوا كل ماجاء به القرآن نصا صريحا بلاشك ولا ريب وحملوه على معان باطنية فخرقوا اجماع المسلمين ونفوا ماجاء فى القانون الالهى وتستروا تحت دعوة الاصلاح الا ان الله كشف سترهم وفضح امرهم وقام جميع اهل العلم الدينى من مدرسين ووعاظ ومرشدين ضدهم وبينوا للامة المحمدية ضلالهم وانهم مارقون من الدين فعلم بذلك اولياء الامور فأخذوا على ايديهم وصادروا مانشروه وابعدوهم إلى اقاصى الجهات ومنعوهم من الكلام المزيف والعقائد الباطلة والضلال الذى يهوى بالامة ويرجع الفضل فى ذلك إلى رؤساء الدين العاملين والصلحاء المصلحين اللهم اقطع دابر المفسدين وشتت شملهم وردهم على اعقابهم خاسرين ❁

(٤ الايمانُ بالقُرْآنِ وَجميعِ الكُتُبِ المُنزَّلَة قَبْلَه لقَوْله تَعَالَى (يَاأيُّهَا الَّذين آمَنُوا آمنُوا بالله وَرَسُوله وَالكتَاب الَّذى نَزَّلَ على رَسُوله والكتَاب الَّذى أنْزَلَ من قَبْل) وَللْآيَة وَالْحَديث المَذْكُورين أيْضًا (١)*

(٥) الايمَانُ بأَنَّ القَدَرَ خيرَه وشرَّه من الله عز وَجلَّ لقَوْله تَعَالَى: (قُلْ كُلٌّ من عنْد الله) وَلحَديث أبي هُرَيْرَةَ فى الصَّحيحَيْن * احْتَجَّ آدم وموسى فقالَ موسى يا آدمُ أنْت أبُونا خَيَّبتَنا وأخْرجْتنا من

---

(١) الايمان بالكتب هو التصديق بأن الله سبحانه وتعالى كتبا انزلها على انبيائه مشتملة على قوانين صالحة للامم ان تحكم بها ومرافق ومواعظ. إلى غير ذلك مما يحفظ كيان الامة ويرفع منزلتها ويعلو بها الى اوج الرقى والتمدن، وهى تنقسم الى اقسام: منها ماهو مكتوب فى الالواح اومسموع من وراء حجاب اومن ملك مشاهد اوهاتف ، وذلك بأن يعلم ان كلها وحى من الله تعالى مشتمل على احكامه واخباره واعلامه ، ويصدق بأن القرءان كلام الله سبحانه غير مخلوق وهو المكتوب فى مصاحفنا المحفوظ فى قلوبنا وصدورنا المقروء بألسنتنا ، قال العلماء: الكتب المنزلة مائة كتاب واربعة منها خمسون على شيث وثلاثون على ادريس وعشرة على آدم وعشرة على ابراهيم والتوراة على موسى والانجيل على عيسى والزبور على داود . والفرقان على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم *

الْجَنَّة فَقَالَ لَهُ آدَمُ يَامُوسَى اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلَامِه وَخَطَّ لَكَ التَّوْرَاةَ بِيَدِه أَتَلُومُنِى عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللهُ عَلَىَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِى بِأَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى (١) *

---

(١) الايمان بالقدر هو التصديق بأن كل مايقع فى الارض والسماء انما هو بقدر الله تعالى وتقديره وان كل ماقدره الله تعالى واقع لامحالة، وكل مالم يقدره الله تعالى يستحيل وقوعه ، والقدر ـ بتحريك الدال وقد تسكن ـ مصدر قدرت الشىء بفتح الدال مخففة اذا احطت بمقداره ـ هو ماقضاه الله سبحانه وتعالى وحكم به من الامور ؛ والحاصل ان على الانسان ان يعتقد ان الله تعالى قدر الخير والشر قبل خلق الخلق وان جميع الكائنات بقضاء الله وقدره وهو مريدها فكل حادث فى العالم فعله وخلقه واختراعه لاخالق سواه فالطاعات يحبها ويرضاها ويثيب عليها بخلاف الكفر والمعاصى قال الله تعالى (ولا يرضى لعباده الكفر) والارادة لاتستلزم الرضا وقال تعالى (انا كل شىء خلقناه بقدر) ولو كان العبد يخلق الشر والمخالفات ـ وهى أكثر وقوعا من الطاعات ـ لكان اكثر مايجرى فى الوجود على خلاف مراد المعبود وذلك لا يرضاه امير بلدة ولا زعيم قرية * قال الامام الغزالى رحمه الله : كيف يكون الحيوان مستبدا بالاختراع ويصدر من العنكبوت والنحل ونحوها من لطائف الصناعات ما يتحير فيه عقول ذوى الألباب فكيف انفردت هى باختراعها دون رب الارباب وهى غير عالمة بتفصيل مايصدر عنها من الاكتساب هيهات هيهات دلت المخلوقات على خالق المصنوعات اه ، واقتصر على القدر دون القضاء لانه من باب الاكتفاء على حد قوله تعالى : (سرابيل تقيكم الحر) أى والبرد لان القضاء والقدر أمران متلازمان

وَبالاسْنَادِ المَذْكُورِ أَنْشَدَنَا الامَامُ أَبُو بَكْرٍ البَيْهَقِيُّ قَالَ أَنْشَدَنِي

أَبُو الفَوَارِسِ جُنَيدُ بنُ أَحْمَدَ الطَّبَرِي :

العَبْدُ ذُو ضَجَرٍ وَالرَّبُّ ذُو قَدَرٍ ... وَالدَّهرُ ذُو دُوَلٍ وَالرِّزقُ مَقسُومُ

وَالْخَيْرُ أَجْمَعُ فِيمَا اخْتَارَ خَالِقُنَا ... وَفِي اخْتِيَارِ سِوَاهُ اللَّوْمُ وَالشُّومُ

(٦) الايمَانُ بِالْيَوْمِ الآخِرِ لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى : (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الآخِرِ) قَالَ الْحَلِيمِي وَمَعْنَاهُ التَّصْدِيقُ بِأَنَّ لِأَيَّامِ الدُّنْيَا آخِراً . وَأَنَّهَا مُنْقَضِيَةٌ . وَهَذَا العَالَمُ مُنْقَضٍ يَوْماً مَا فَفِي

لاينفك أحدهما عن الآخر لان أحدهما بمنزلة الاساس والآخر بمنزلة البنيان ، والله اعلم *

وقوله فى الحديث « خيبتنا » أى اوقعتنافى الخيبة وهى الحرمان، وقوله « وخط لك التوراة بيده » هذه الكلمة وماشابهها مما يوهم الجارحة الحسية يجب أن تبقى على ظاهرها بدون تأويل ولاتصحيف ولاتحريف وتؤمن بما جاء فى الكتاب والسنة من هذا القبيل . وتفوض معناه إلى البارى تعالى وأنه ليس كمثله شيء واقتد بسلفك الصالح ولاتكن مجسما فتشبه ولامعطلا فتنفى . ولاجهميا فتأول ولاتبحث فى هذا وتجعله شركا تصيد به من أغررته بطلاوة كلامك وشقشقة لسانك لتلبيس ابليس عليك وتحسينه لك وتبتغى بذلك إضلال الناس وتشكيكهم فى دينهم قال الله تعالى (فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا) *

الاعتراف بانتفائه اعتراف بابتدائه إذ القديم لا يفنى ولا يتغير »٭

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه « والذى نفس محمد بيده لتقومن الساعة وثوبهما بينهما لا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته من تحتها وقد رفع أكلته إلى فيه لا يطعمها » الحديث (١) ٭

(٧) الايمان بالبعث بعد الموت لقوله تعالى . (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن) ولقوله تعالى : (قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه) ٭ ولحديث عمر ابن الخطاب رضى الله عنه فى الصحيح فى حديث الإيمان « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالبعث من بعد الموت

---

(١) الايمان باليوم الآخر هو التصديق بيوم القيامة لانه آخر أيام الدنيا وبوجود ما اشتمل عليه من سؤال الملكين ونعيم القبر وعذابه والجزاء على الأعمال الصالحات والعقاب على الأعمال السيئات والبعث والحساب والميزان والصراط والجنة والنار وغير ذلك مما ورد فى القرآن الكريم وصح عن الرسول الأمين عليه الصلاة والتسليم ، وقوله فى الحديث « بلبن لقحته » بكسر اللام والفتح لغة الناقة القريبة العهد بالنتاج ، والله أعلم ٭

وَبالقَدَرِ كُلِّه (١) *

(٨) الايمَانُ بحشرِ النَّاسِ بعدَ مايُبعثُونَ منْ قبورِهمْ إلَى المَوْقف لقَوْله تعَالَى (ألا يَظنُّ أولئكَ أنَّهم مبعوثُون ليَوم عَظِيم يوم يقومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِينَ) * وَلحدَيث عَبْد الله بن عُمر رَضى الله عنهمَا فى صَحيح مسلِمٍ . يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِينَ حَتَّى يَغيبَ أَحَدهُمْ فى رَشْحه إلَى أَنْصَاف أُذنيه (٢) *

---

(١) الايمان بالبعث هو الاعتقاد بأن الله سبحانه وتعالى يبعث الاموات ويحيها بعد أماتتها من قبورهم ويخرجهم ويسيرهم الى يوم القيامة يوم الحسرة والندامة على أقوام ويوم البهجة والسرور لاقوام آخرين وأصل البعث اثارة الشيء وتوجيهه يقال بعثته فانبعث ، والبعث على ضربين بشرى كبعث البعير وبعث الانسان فى حاجة ، والهى وذلك ضربان أحدهما ايجاد الاعيان والاجناس والانواع عن ليس وذلك يختص به البارى تعالى ولم يقدر عليه أحدا ، والثانى احياء الموتى وقد خص بذلك بعض أوليائه كعيسى عليه السلام وأمثاله *

(٢) الايمان بالحشر حيث يجمع الله الناس ليظهر ميزة خيرة مخلوقاته ولا تخفى اهانة الذين عصوا أمر ربهم واتخذوا آيات الله هزوا ولعبا لان الاكرام والاهانة بين الملائكة يكون ارفع للاول واحط للثانى وبقدر درجه الاجتماع يحصل الصعود والهبوط فكيف بهذا المشهد العظيم يجتمع فيه الاولون والاخرون وهناك فضيحة العاصى واشهار فضل الطائع أنا لننصر رسلنا والذين امنوا

(٩) الايمَانُ بأنَّ دَارَ المؤْمنين ومَأوَاهُمُ الجَنَّة . وَدَارَ الكَافرين وَمَأوَاهُمُ النَّارُ لقوله تَعَالَى (بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ به خَطيئَته فَأُولَئكَ أَصْحَابُ النَّار هُمْ فيهَا خَالدُونَ وَالَّذين آمنُوا وَعَملُوا الصَّالحَات أُولَئكَ أَصْحَابُ الجَنَّة هُمْ فيهَا خَالدُونَ) (١) وَلحديث ابْن عُمَرَ رَضيَ اللهُ عنهمَا

فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار » ليشهد كل امرىء عمله ولا ينفعه الا اتباع الحق ولا يجديه تمسكه بغير ما انزل الله شيئا وهناك يحصل الانكار والتبرى (اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار) ويشتد العداء بين المجرمين وتستحكم المودة والسرور بين المؤمنين خاصة قال تعالى (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين) أى لا عداوة بينهم *

(١) قوله : « دار المؤمنين الجنة ودار الكافرين النار » تتم نعمة الله على من اطاعه فضلا بدخول جنة عرضها السموات والارض ونقمته على من عصاه عدلا منه بالالقاء في نار ترمى بشرر كالقصر كأنه جمالة صفر وذلك لانقضاء زمن التكليف والخلاص من محنة البلاء وظهور القابلية لان مقدمة الحياة الدنيا مع البرزخ لابد ان يظهر منهما نتيجة هى السعادة فى الآخرة او العكس والعياذ بالله تعالى فيظهر كل مخبأ ولا يغير الشكل الظاهرى الا إذا كان موافقا للباطن ولا تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا ولا يفيدهم جمعهم كذلك قال تعالى (ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما اغنى

فى الصَّحيحين « إنَّ أحدكُمْ إذا ماتَ عرضَ عليه مقعده بالغداة والعشىِّ إنْ كانَ من أهلِ الجنَّة فمن أهلِ الجنةِ وإنْ كانَ من أهلِ النَّارِ فمن أهلِ النَّار يقالُ هذا مقعدُكَ حتى يبعثكَ اللهُ تعالى اليه يومَ القيامة » ٭

﴿١٠﴾ الايمانِ بوجوبِ محبّةِ اللهِ عزَّ وجلَّ (١) لقولِه تعالى (ومن

عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لاخوف عليكم ولاانتم تحزنون) وانها الدار الآخرة او الخاتمة التى لانهاية لها يجد كل واحد من الفريقين مابلغه من وعد ووعيد فاذا انقضى الحساب وادخل كل فى منزله عندئذ يقولون كما قال تعالى (ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ماوعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن ان لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون وبينهما حجاب) فيكون سهم المكذبين جزاءاً وفاقا (لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزى الظالمين والذين آمنوا وعملوا الصالحات لانكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون ونزعنا مافى صدورهم من غل تجرى من تحتها الانهار وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون) ٭

(١) المحبة كما قال الامام شمس الدين بن قيم فى كتابه مدارج السالكين انها لاتحد بحد اوضح منها فالحدود لاتزيدها الاخفاء وجفاء، فحدها وجودها ولا توصف المحبة بوصف اظهر من المحبة ، وانما يتكلم الناس فى اسبابها وموجباتها وعلاماتها وشواهدها وثمراتها واحكامها فحدودهم ورسومهم

النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ) * وَلِحَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فِي الصَّحِيحَيْنِ ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ تُوقَدَ لَهُ نَارٌ فَيُقْذَفُ فِيهَا *

دارت على هذه الستة ، ولنذكر لك بعض الرسوم والحدود التي قيلت فيها : المحبة هي الميل الدائم بالقلب الهائم ، وقيل ايثار المحبوب على جميع المصحوب ، وقيل موافقة الحبيب في المشهد والمغيب ، وقيل خوف ترك الحرمة مع اقامة الخدمة ، وقيل معانقة الطاعة ومباينة المخالفة ، وقيل ان تمحو من القلب ما سوى المحبوب ، وقيل المحبة نار في القلب تحرق ماسوى مراد المحبوب *

وقوله تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا) الآية يخبر المولى جل شأنه أن من احب شيئا من دون الله كما يحب الله تعالى فهو ممن اتخذ من دون الله اندادا ، فهذا ند في المحبة لافي الخالق والربوبية فان احداً من اهل الأرض لم يثبت هذا الند بخلاف ند المحبة فان اكثر اهل الأرض قد اتخذوا من دون الله انداداً في الحب والتعظيم ، ثم قال الله تعالى : (والذين آمنوا اشد حبا لله) وفي تقدير الآية قولان : احدهما (والذين آمنوا اشد حبا لله) من اصحاب الانداد لانداد هم وآلهتهم التي يحبونها ويعظمونها من دون الله ، والثاني (والذين آمنوا اشد حبا لله) من محبة المشركين بالانداد لله فان محبة

وَبِهِ أَنْبَأَنَا البَيْهَقِيُّ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمنِ السلمِيَّ يَقُولُ سَمِعْتُ أَبَا نَصْرٍ الطُّوسِيَّ يَقُولُ سَمِعْتُ جَعْفَراً الخُلْدِيَّ يَقُولُ سَمِعْتُ الجُنَيْدَ يَقُولُ قَالَ رَجُلٌ لِسَرِيٍّ السَّقَطِيِّ كَيْفَ أَنْتَ فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

مَنْ لَمْ يَبِتْ وَالحُبُّ حَشْوُ فُؤَادِهِ ... لَمْ يَدْرِ كَيْفَ تُفَتَّتُ الأَكْبَادُ

وَبِهِ أَنْبَأَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمنِ السلمِيُّ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا نَصْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ مُحَمَّدِ ابْنِ إِسْمَاعِيلَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا القَاسِمِ الشِّيرَازِيَّ الوَاعِظَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا دُجَانَةَ يَقُولُ كَانَتْ رَابِعَةُ إِذَا غَلَبَ عَلَيْهَا حَالُ الحُبِّ تَقُولُ:

تَعْصِي الإِلهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ ... هذَا مُحَالٌ فِي الفِعَالِ بَدِيعُ

لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقاً لأَطَعْتَهُ ... إِنَّ المُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ

المؤمنين خالصة ومحبة أصحاب الأنداد قد ذهبت اندادهم بقسط منها * والحديث الذى ذكره المصنف هو كما قال فى الصحيحين ورواه غير البخارى ومسلم كالترمذى والنسائى ، قال النووى رحمه الله تعالى : هذا حديث عظيم واصل من اصول الاسلام، قلت : كيف لا وفيه محبة الله ورسوله التى هى اصل الايمان بل عينه ولا تصح محبة الله ورسوله حقيقة ولا حب لغير الله ولا كراهة الرجوع فى الكفر الالمن قوى الايمان فى نفسه وانشرح له صدره وخالطه دمه ولحمه وهذا هو الذى وجد حلاوته حقا *

(١١) الايمانُ بوجوبِ الخَوْفِ منَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لقَوْلهِ تَعَالَى:
(فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ)
(وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ) (وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ) (وَيَدْعُونَنَا رَغَباً
وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) (وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ)
(وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ) ✡ (ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي
وَخَافَ وَعِيدِ) ✡

وَلِحَدِيثِ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ «اتَّقُوا
النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» وَلِحَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِيهِمَا «لَوْ تَعْلَمُونَ
مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً» (١) ✡

---

(١) الخوف غم يلحق لتوقع المكروه ، والحزن غم يلحق من فوات نافع أو حصول ضار . والرهب الخوف والخشية خوف مع تعظيم ولذلك خصت بالعلماء في قوله تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) وهو من اجل منازل الطريق وانفعها للقلب وهو فرض على كل مكلف بدليل ماذكره المؤلف من الآيات ، والوجل والخوف والخشية والرهبة ألفاظ متقاربة غير مترادفة ✡

فخوف الله تعالى دليل على معرفته وكلما كانت المعرفة اقوى كان الخوف اشد ولهذا جاء في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن الاغر

وَعَاتَبَ رَجُلٌ بعضَ إخْوانِه عَلَى طُول بُكَائه فَبَكَى ثُمَّ قالَ :

بَكَيْتُ عَلَى الذُّنُوبِ لِعُظْمِ جُرْمِي وَحُقَّ لِكُلِّ مَنْ يَعْصِي البُكَاءُ
وَلَوْ كَانَ البُكَاءُ يَرُدُّ هَمِّي لَأَسْعَدَتِ الدُّمُوعَ مَعاً دماءُ

وَكَانَ عُمَرُ بنُ عَبْدِ العَزِيزِ رَضِيَ اللهُ عنهُ لَا يَجَفُّ فُوهُ مِنْ هَذَا البَيْت:

وَلَاخَيرَ فى عَيْشِ امْرِىءٍ لَمْ يكُنْ لَهُ مِنَ اللهِ فى دَارِ القَرَارِ نَصِيبُ

وَسَمِعَ أبُو الفَتْحِ البَغْدَادِي هَاتِفاً يَهْتِفُ بِالشُّونيزِيَّة :

المزنى ان رسول الله ﷺ قال : « انه ليغان على قلبى و انى لاستغفر الله فى اليوم مائة مرة » والمراد من الغين مايغشى القلب من الفترات عن الذكر فان الرسول ﷺ مع انشغاله بمصالح الامة وامورها يعد الفترة عن ذكر الله ذنبا عظيما منافيا لجلال الله وعزته ولذلك يستغفر الله فى اليوم مائة مرة والحال ان الله قد بشره بقوله تعالى (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) اى على فرض وقوع الذنوب وشدة المعرفة تورث الخشية فتجدها محصورة فى قوله تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) اى الذين يعلمون جلاله ويقدرونه حق قدره ومن لم يكن متصفا بذلك فلا يدرى الخشية ولا يعلم الا مايتصوره دماغه بحسب جهله ضعفا وقوة *

واما العارف فانه يعد كل لحظة تمر عليه لايذكر فيها الله ولا يتذكر هيبته وعظمته من اكبر الذنوب فتحتاج الى توبة ، فقد روى مسلم فى صحيحه عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ « ياايها الناس توبوا الى الله فانى اتوب

وَكَيْفَ تَنَامُ العَيْنُ وَهِيَ قَرِيرَةٌ وَلَمْ تَدرِ فى أيِّ المَحَلَّينِ تَنْزِلُ

فَذَهَبَ عَنهُ النَّوْمُ ٭

﴿ ١٢ ﴾ الايمَانُ بِوجُوبِ الرَّجَاءِ(١) مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لقَوْله

اليه فى اليوم مائة مرة وهذا دليل على تعظيمه لربه وكثرة احترامه له ولهذا كان جزاء الخوف والخشية الجنة قال تعالى (واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى) ٭

وقوله فى الحديث «ولو بشق تمرة» لان المقصود من الصدقة الاخلاص فيها لا الكثرة فشق التمرة إذا كان عن صدق نية وحسن طوية قد يكون سبب النجاح لان الحسنات لا يدرى بأيها يكون رضاء البارى تعالى منوطا فلا ينبغى للانسان ان يستحقر عملا وان النار التى قال تعالى (وإن منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا) ذلك بخشية الله وتقديم الصدقات ليكون حائلا دون وصول حرارتها فهو لا يبخل فى بذل العظيم ولا يتأخر عن التصدق بالحقير لان الامر مخطر ولا قيمة للمال بنفسه وانما قيمته بما ينشأ عنه من الثمرات المطلوبة فقد يجوز من كان الاخلاص رائده وخشية الله ملأت قلبه وأن لم يكن مقدما الا كسرة تمرة لانها عند الله اعظم من جبال من خبز، والى هذا يشير حديث « الله الله فى اصحابى لا تتخذوهم غرضا من بعدى فو الذى نفس محمد بيده لو انفق أحدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه» ٭

وقوله بالشونيزية هى مقبرة فى بغداد خاصة بالصالحين يؤمها الناس للزيارة

(١) الرجاء بالمد الامل، وهو تعلق القلب بمرغوب فى حصوله مع الاخذ فى الاسباب . فان لم يأخذ فى الاسباب فطمع وهو مذموم شرعاً ، قال الحافظ ابن الجوزى ان مثل الراجى مع الاصرار على المعصية ، كمثل من رجا حصادا وما زرع . وولدا وما نكح ، نسأل الله التوفيق ٭

تَعَالَى (يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ)

(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ

يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) (إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ

بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) ۞

وَلِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي الصَّحِيحَيْنِ «لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ

الْعُقُوبَةِ مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ

مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ» وَلِحَدِيثِ جَابِرٍ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا

وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ» وَحَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي الصَّحِيحَيْنِ يَقُولُ اللهُ

عَزَّ وَجَلَّ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي » وَذَكَرَ الْحَدِيثَ

وَأَنْشَدَ أَبُو عُثْمَانَ سَعِيدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ :

مَا بَالُ دِينِكَ تَرْضَى أَنْ تُدَنِّسَهُ   وَإِنَّ ثَوْبَكَ مَغْسُولٌ مِنَ الدَّنَسِ

تَرْجُو النَّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ مَسَالِكَهَا   إِنَّ السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى الْيَبَسِ

والذكر في الحديث ليس قاصرا على ذكر اللسان فقط بل يعم الجوارح كلها فذكر اللسان بالثناء ۞ وذكر العينين بالبكاء ۞ وذكر اليدين بالعطاء . وذكر الاذنين بالاصغاء . وذكر البدن بالوفاء . وذكر القلب بالخوف والرجاء . وذكر الروح بالتسليم والرضا ۞

(١٣) الإيمَانُ بوُجُوبِ التَّوَكُّلِ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) (حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) (وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ) (١) ☼

---

(١) التوكل عمل القلب فلا ينافى حركة الجوارح خلافا لقوم مافهموا معنى التوكل وزعموا انه ترك الكسب وتعطيل الجوارح عن العمل، وللحافظ ابن الجوزى كلام نفيس فى التوكل ذكره فى كتاب تلبيس ابليس فعليك به فانه انفس كتاب يقتنى، وقد طبعناه حديثا، وروى الحكيم الترمذى وابن ابى الدنيا ان عمر رضى الله عنه لقى ناسا من اهل اليمن فقال ماانتم؟ قالوا متوكلون فقال كذبتم ما أنتم متوكلون انما المتوكل رجل ألقى حبه - أى زرعه - فى الارض وتوكل على الله، ودليل هذا حديث ناقة الاعرابى حيث امره رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله « اعقلها وتوكل » كما رواه الترمذى عن ابى هريرة فان التوكل مع العمل صنوان لاينفكان ولا يفترقان ومن اراد غير ذلك فقد حرف الحكم وناقض اساس الدين الاسلامى المبنى على العمل بشهادة قوله تعالى (فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه) وقوله تعالى (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله) الآية وما عليه المسلمون الآن من الكسل والبطالة وحب الخمول حتى قعدوا وسبقهم غيرهم وبقوا اذلة ضعفاء لاحول لهم ولاطول ما ذاك الا بنشر دسائس الذين دخلوا فى الاسلام لاجل الافساد فبثوا افكارا فاسدة وعقائد زائغة وامورا منكرة وبدعا مضلة فشوهوا الاحكام الاسلامية وبدلوا فى افعالهم كثيرا من الشريعة

وَلِحَدِيث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ فِي سُؤَالِ أَصْحَابِهِ لَهُ عَنِ السَّبْعِينَ أَلْفاً الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «هُمُ الَّذِينَ لَا يَكْتَوُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ فَقَامَ عُكَاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ الْأَسَدِيُّ فَقَالَ أَنَا مِنْهُمْ يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ أَنْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ أَنَا مِنْهُمْ يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ سَبَقَكَ بِهَا عُكَاشَةُ» (١)

المحمدية ورضوا بالخمول والاستلقاء وان يكونوا عالة على غيرهم او عبيدا همهم ان يملئوا بطونهم ولا يهمهم بعد ذلك شيء ظنا منهم انهم عملوا كمال التوكل وهم قد ضلوا واضلوا عن سواء السبيل حيث خالفوا قول الله تعالى (وان ليس للانسان الا ماسعى) *

(١) قال النووى: هذا الحديث من بديع الطب عند أهله لأن الأمراض الابتدائية دموية أو صفراوية أو سوداوية أو بلغمية فان كانت دموية فشفاؤها اخراج الدم وان كانت من الثلاثة الباقية فشفاؤها بالاسهال المسهل اللائق بكل خلط منها فكأنه نبه صلى الله عليه وسلم بالعمل على المسهلات وبالحجامة على اخراج الدم وبالفصد ووضع العلق وما فى معناها وذكر الكى لأنه يستعمل عند عدم نفع الأدوية المشروبة ونحوها فآخر الطب الكى والنهى عنه إلى تأخير العلاج بالكى حتى يضطر اليه لما فيه من استعجال الألم الشديد فى دفع ألم قد يكون أضعف من ألم الكى اه * وقوله فى الحديث. «لا يكتوون» أى لا يكتوى أحدهم إذا اصابه مرض بالنار للمرض وقد جاء النهى عنه فى أحاديث كثيرة

وَجملةُ التَوَكُّلِ تفويضُ الأمرِ إلى الله تعالى والثِّقةُ به مع ما قدّرَ له من التَّسبُّب ففي الصَّحيحين أيضاً من حديث الزُّبير رضى الله عنه «لأَن يأخذَ أحدُكم حبلَه ثُمَّ يأتي الجبلَ فيأتي بحزمةٍ من حطبٍ على ظهره فيبيعها فيستغني بها خيرٌ له من أن يسألَ النّاسَ أعطوه أو منعوه» *

وفي صحيحِ البُخاري من حديث المِقْدام بن معدي كرب رضى الله عنه «ما أكلَ أحدٌ طعاماً قطُّ خيراً من أن يأكلَ من عملِ يديه قال

قال ابن الاثير انما نهى عنه من أجل انهم كانوا يعظمون أمره ويرون انه يحسم الداء وإذا لم يكو العضو عطب وبطل ، فنهاهم إذا كان على هذا الوجه واباحه إذا جعل سبباً للشفاء لاعلة له . فان الله هو الذي يبرئه ويشفيه لا الكي والدواء وهذا أمر يكثر فيه شكوك الناس يقولون لو شرب الدواء لم يمت ولو أقام ببلده لم يقتل، وقيل غير ذلك *

وقوله ولا يسترقون أي لا يستعملون الرقية وهي العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة وقد جاء في بعض الاحاديث جوازها، وفي بعضها النهي، وقد جمع بينهما ان الرقى يكره منها ما كان بغير أسماء الله تعالى وصفاته وكلامه في كتبه المنزلة. وان يعتقد انها نافعة لامحالة فيتكل عليها ، وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وسلم ماتوكل من استرقى وما كان بخلاف ذلك لايكره وقد أمر صلى الله عليه وسلم غير واحد من أصحابه بالرقية وسمع بجماعة يرقون فلم ينكر عليهم *

وقوله الطيرة هي بكسر الطاء وفتح الياء وقد تسكن هي التشاؤم بالشيء وقد ورد النهي عنه فأعلمنا الشرع انه ليس له تأثير في جلب نفع أو دفع ضر *

وَكَانَ دَاوُدُ لَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَدَيْهِ» (١) وَبِهِ أَنْبَأَنَا الْبَيْهَقِيُّ قَالَ أَنْبَأَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحَافِظُ. قَالَ أَخْبَرَنِي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ نُصَيْرٍ قَالَ حَدَّثَنِي الْجُنَيْدُ قَالَ سَمِعْتُ السَّرِيَّ يَذُمُّ الْجُلُوسَ فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ وَيَقُولُ جَعَلُوا الْمَسْجِدَ الْجَامِعَ حَوَانِيتَ لَيْسَ لَهَا أَبْوَابٌ * وَبِهِ أَنْبَأَنَا الْبَيْهَقِيُّ بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ دِينُكَ لِمَعَادِكَ وَدِرْهَمُكَ لِمَعَاشِكَ وَلَا خَيْرَ فِي امْرِىءٍ بِلَا دِرْهَمٍ * وَبِهِ أَنْبَأَنَا الْبَيْهَقِيُّ قَالَ أَنْبَأَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحَافِظُ. قَالَ أَخْبَرَنِي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَوَّاصُ قَالَ أَنْبَأَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ نَصْرٍ الْمَنْصُورِيُّ قَالَ سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ بَشَّارٍ خَادِمَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَلِيٍّ الْفُضَيْلَ ابْنَ عِيَاضٍ يَقُولُ لِابْنِ الْمُبَارَكِ أَنْتَ تَأْمُرُنَا بِالزُّهْدِ وَالتَّقَلُّلِ وَالْبُلْغَةِ وَنَرَاكَ تَأْتِي بِالْبَضَائِعِ مِنْ بِلَادِ خُرَاسَانَ إِلَى الْبَلَدِ الْحَرَامِ كَيْفَ ذَا وَأَنْتَ تَأْمُرُ بِخِلَافِ ذَا فَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ يَا أَبَا عَلِيٍّ أَنَا أَفْعَلُ ذَا لِأَصُونَ بِهَا وَجْهِي وَأُكْرِمَ بِهَا عِرْضِي : وَأَسْتَعِينَ بِهَا عَلَى طَاعَةِ رَبِّي . لَا أَرَى لِلّٰهِ حَقًّا إِلَّا سَارَعْتُ إِلَيْهِ حَتَّى أَقُومَ بِهِ فَقَالَ لَهُ الْفُضَيْلُ يَا ابْنَ الْمُبَارَكِ مَا أَحْسَنَ ذَا إِنْ تَمَّ ذَا *

(١) خص داود بالذكر لان اكله من عمل يده لم يكن لحاجة لانه ملك *

﴿ ١٤ ﴾ الايمَانُ بوجُوب مَحَبَّة النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ

لحَديث أنَس المُتَّفَق عَلَى صحَّته «لَا يُؤْمِنُ أحَدُكُمْ حَتَّى أكُونَ أحَبَّ اِلَيْه من والده وولده والنَّاس أجْمَعين» ۞

وَلحَديث أنَس فى الصَّحيحَيْن «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وَجَدَ بهنَّ حَلَاوَةَ الايمَان أنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أحَبَّ إلَيْه ممَّا سوَاهُمَا» الْحَديثَ، وَلحَديثه فيهمَا أيْضًا قَالَ «جَاءَ رَجُلٌ إلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ الله مَتَى السَّاعَةُ فَقَالَ مَا أعْدَدْتَ لَهَا فَقَالَ يَا رَسُولَ الله مَا أعْدَدْتُ لَهَا كَثيرَ صيَام وَلَا صَدَقَة إلَّا أنِّى أحبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ قَالَ أنْتَ مَعَ مَنْ أحْبَبْتَ» (١) ۞

---

(١) قال القاضى عياض : اعلم ان من أحب شيئاً آثره وآثر موافقته . وإلا لم يكن صادقاً فى حبه وكان مدعياً ، فالصادق فى حب النبى ﷺ من تظهر علامة ذلك عليه وأولها الاقتداء به واستعمال سنته واتباع اقواله وأفعاله وامتثال أوامره واجتناب نواهيه والتأدب بآدابه فى عسره ويسره ومنشطه ومكرهه ، وشاهد هذا قوله تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) وقوله فى الحديث الاول « لا يؤمن احدكم » الخ وذلك لان سبب الحب المنفعة وكلما كانت اعظم فالمحبة امكن ولذلك ترى الانسان يحب اهله وولده لما يأمل من المنافع على يدهم ويحبهم اكثر من غيرهم لما شملوه من عطفهم واسبغوه عليه من نعمهم ومهما عظمت نعمهم فانها لا تساوى شيئا من نعم رسول الله ﷺ حيث أرشده إلى طريق الهدى ودله

على سلوك جادة الصواب وعلمه كيف يعيش فى الحياة وكيفية الافادة والاستفادة منها إلى ان ترك المسلمين على المحجة البيضاء ليلها كنهارها سواء فانار له الحياة الدنيا ودله على الطريق الموصل إلى رضاء ربه فيفوز فى الآخرة فى جنات عدن التى وعد الرحمن عباده ويحل عليه رضوان الله تعالى فلا يغضب عليه ابدا وهذه نعمة لا يمكن ان تعادلها نعمة حاصلة من بشر لان معظم منفعة البشر تنحصر فى الجسد والمادة وغاية مايقدر ان ينفعه به ان يحفظ له حياته اويغذيه بما يقتات به بخلاف الرسول الاعظم سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه فان نفعه عام فى الدنيا والآخرة اذن يجب ان يكون الرسول احب الناس إلى كل فرد بالنظر لما يحصل له، روى الحافظ ابو نعيم فى الحلية عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « جبلت القلوب على حب من احسن اليها وبغض من اساء اليها » وكان اعظم الاحسان على الامة ماجاء به رسول الله ﷺ، فلا يؤمن شخص لا يرى الرسول احب اليه من والده وولده فيوافقه فى كل مافعل ويكره كل مايكره اذ لا محبة بغير اطاعة فترك هواه لما يريده المحبوب يستحسن كل ماأراده ويستقبح كل ماحذر منه ويتبع النهج الذى كان عليه فيهتدى بهديه ويقتدى بسنته وهذا ادنى درجات الحب واعلاها ان يفديه بنفسه وان يرى كل مصيبة دونه امراً حقيرا كما وقع لهند بنت حزام قتل ابنها خلاد وزوجها عمرو بن الجموح واخوها عبدالله والدجابر ولما لقيتها عائشة حيث كانت خرجت فى نسوة يستروحن الخبر وسألتها عن خبر الجيش فقالت أما رسول الله ﷺ فصالح وكل مصيبة بعده جلل واتخذ الله من المؤمنين شهداء وسألتها من هؤلاء قالت اخى عبد الله وابنى خلاد وزوجى عمرو ابن الجموح، فتامل هذه المرأة التى بلغ منها الايمان مبلغه أن جعلت مصيبة قتل اخيها وابنها وزوجها جللا اى امرا حقيرا بالنسبة لسلامة رسول الله ﷺ، وكذلك أبى بن كعب لما ارسله رسول الله ﷺ يوم أحد يسأل عن سعد

ابن الربيع فوجده جريحا وبه رمق فقال له إن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله امرني انظر أفي الاحياء انت ام في الاموات فقال انافي الاموات قد طعنت اثنتي عشرة طعنة واني قد انفذت مقاتلي فأبلغ رسول الله ﷺ عني السلام وقل له : ان سعد بن الربيع يقول لك جزاك الله خيرا ماجزى نبيا عن امته وابلغ قومك عني السلام وقل لهم ان سعد بن الربيع يقول لكم لاعذر لكم عندالله ان يخلص اليكم نبيكم وفيكم عين تطرف اه ، وكذلك انس بن النضر عم انس بن مالك لما سمع يوم احد قتل رسول الله ﷺ قال ماتصنعون بالحياة بعده ، موتوا على مامات عليه رسول الله ﷺ ثم استقبل القوم وقال لسعد بن معاذ هذه الجنة ورب الكعبة اجد ريحها دون احد وقاتل حتى قتل ووجدنا فيه بضعا وثمانين جراحة مابين ضربة بالسيف او طعنة برمح او رمية بسهم ، لاشك أن هذا هو الحب وهذا هو الايمان الحنيفي الذى استطاع به الاسلام ان يدوخ العالم ويخرجه من الضلالة إلى الهدى ومن النار إلى النور ومن عبادة الاوثان إلى التوحيد الصرف وينشر السلام في اقطار الارض كافة وذلك لتحققهم بدينهم ويفهمون ان حبهم لرسول الله هو حبهم لله عزوجل قال تعالى (ومن يطع الرسول فقداطاع الله) فلا شك ان حبه حب لله قطعا .

وذكر البغوى في تفسيره ان ثوبان مولى رسول الله كان شديد الحب لرسول الله ﷺ قليل الصبر عنه فاتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن في وجهه فقال له رسول الله ﷺ « ماغير لونك ؟ فقال يارسول الله مابي مرض ولاوجع غير انى إذا لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ثم ذكرت الآخرة فاخاف ان لاأراك لانك ترفع مع النبيين وانى ان دخلت الجنة في منزلة ادنى من منزلتك وان لم ادخل الجنة لاأراك ابدا » فنزلت هذه الآية وهي (ومن يطع الله ورسوله فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا) *

(١٥) الايمان بوجوب تعظيم النبي ﷺ وتبجيله وتوقيره لقوله تعالى: (وتعزروه وتوقروه) وقوله (فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه) والتعزير ههنا التعظيم بلا خلاف وقوله: (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً) أي لا تقولوا له يا محمد يا أبا القاسم بل يا رسول الله يا نبي الله ولقوله (لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) وقوله (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) الآيات *

وبه أنبأنا البيهقي قال وهذه منزلة فوق منزلة المحبة إذ ليس كل محب معظما: كمحبة الأب لولده والسيد لعبده من غير تعظيم بخلاف العكس *

(١٦) شح المرء بدينه حتى يكون القذف في النار أحب اليه من الكفر لحديث أنس المتفق عليه «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ثم قال وأن يلقى في النار أحب اليه من أن يرجع إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه» (١) *

---

(١) قوله «شح المرء بدينه» أي تمسكه به وشدة حرصه عليه وقوله «حتى يكون القذف في النار أحب اليه من الكفر» وذلك لان الانسان متيقن

بأن هذه الحياة الدنيافانية وان امامه حياة أبدية سرمدية لاتعب فيها ولا شقاء ومهما طال عمره فلا بد له من الموت،فالقذف فى النار لايضره بأكثرمن أن أضاع عليه أياماقليلة ولكن الشح فى الدين يكون سببا لحصول الانعامات الالهية والنعيم الابدى الذى لايتغير ولا يتبدل ، فشح الرجل عبارة عن أنه مؤمن حقاواثق بوعد الله ووعيده فلا يعدل بدينه شيئاولاتهمه الدنياولاتغشه بزخارفها كمانها لاتخيفه بنارها الذى لايلبث الانسان فيها الالحظات يسيرة فينتقل من عالم الفناء الى عالم البقاء وهناك يمر من نار وقودها الناس والحجارة لايخلصه منها ولا يستطيع أن يعبر جسرها إلابالايمان الحق السائق إلى الأعمال الصالحة ويرجح هذه النار المؤقت عذابها على نارلاينقضى عذابها هم فيها خالدون كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرهاليذوقوا العذاب الأليم ولاشك أن ترجيح النار الثانية على الأولى هو الايمان بالله واليوم الآخر والتصديق بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم *

وهذا الشح المطلوب انما هو فى الدين وأما فى الدنيا فقد جاء ذمه وقبح من اتصف به لان الانسان كلما كان أكثر افادة للناس كان أعظم أجراً وأرفع ذكرا وأعلى قدرا ، ولاشك أن من اعتقد بالموت الذى لم يفلت منه أحد ولم ينجو منه ملك ولاسوقة لارفيع ولا وضيع لاكبير ولاصغير لاذكر ولاانثى تيقن ان مالديه من الاموال والاثاث حثالة الدنيا وقاذوراتها فمن كان عاقلا فلا يبخل على بنى نوعه بما يزيد عن حاجته والافان شحه على قدر نقصان ايمانه طبعا ولا ينبغى ان يسرف فى الاعطاء حتى يكون عالة على الناس يتكففهم بل عليه امتثال قوله تعالى : (ولاتجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا) والله أعلم *

وَلحَدِيثه أيْضًا فى صَحِيح مُسْلِمٍ أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ فَأَعْطَاهُ غَنَماً بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَأَتَى قَوْمَه فَقَالَ اسْلِمُوا فَوَاللهِ انَّ مُحَمَّداً لَيُعْطِى عَطَاءَ رَجُلٍ لَا يَخَافُ الفَاقَةَ وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ يَجِيءُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا فَمَا يُمْسِى حَتَّى يَكُونَ دِينُه أَحَبَّ الَيْه وَأَعَزَّ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا فِيهَا ٭

﴿ ١٧ ﴾ طَلَبُ العِلْمِ وَهُوَ مَعْرِفَةُ البَارِى تَعَالَى وَمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَعِلْمُ النُّبُوَّةِ وَمَا تَمَيَّزَ بِه النَّبِيُّ عَنْ غَيْرِه وَعِلْمُ أَحْكَامِ اللهِ تَعَالَى وَأَقْضِيَتِه وَمَعْرِفَةُ مَا تُطْلَبُ الأَحْكَامُ مِنْهُ كَالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالقِيَاسِ وَشُرُوطِ الاجْتِهَادِ (١) ٭

---

(١) لان دين الاسلام حث عليه ولم يجعل للجاهل قيمة فتراه حرمه حتى من لذة العبادة وهى الخشية من الله باداة انما المفيدة للحصر فى قوله تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) ذلك لان الجاهل لا يشترك مع الانسان الا بالمشى والاكل والشرب وهذه توجد فى بقية البهائم اذن يحق لنا ان نسمى الجاهل بهيمة لانه لم يستفد المواهب الالهية واننا ندعوه بالميت باعتبار الفضيلة والامانة . التى كلف الله بها الانسان واما ان كان من ارباب الضرر والاذى فيجوز ان يدخل فى عداد الحيوانات ذوات السموم، وقد بين لنا المؤلف العلم وهو عبارة عن الاعتقاديات والاخلاقيات والعمليات وليس معناه ان نترك علوم الآلة وبقية العلوم العقلية كالنحو والصرف واللغة والبلاغة والوضع والمنطق فان هذه مرقاة يتوصل بها إلى تلك، وقد اصبحنا فى عصر

وَالقُرْآنُ وَالحَدِيثُ مَشْحُونَانِ بِفَضِيلَةِ العِلْمِ وَالعُلَمَاءِ قَالَ اللهُ تَعَالَى (إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ) (شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالمَلَائِكَةُ وَأُولُو العِلْمِ قَائِماً بِالقِسْطِ) (وَعَلَّمَكَ مَالَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً) (يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ) (١)

لا يمكننا الاستغناء عنها ولا شك ان مالا يتم الواجب الا به فهو واجب فاذن هذه العلوم مطلوبة كتلك وقد ذكرها المصنف فى شروط الاجتهاد وإنما لم يفصل الامر ويوضحه لانه اراد ان يتحرى الواجب لذاته كمعرفة الله وكيفية اداء العبادات واما هذه العلوم فانها واجبة لغيرها ولذلك تجده ذكرها ضمنا بصورة لاتخفى على من كان عنده ادنى تأمل *

(١) قوله: (انما يخشى الله من عباده العلماء) الخشية كما قال الراغب الاصفهانى فى مفرداته: خوف يشوبه تعظيم وأكثر مايكون ذلك عن علم بما يخشى منه ولذلك خص العلماء بها فى قوله: (انما يخشى الله من عباده العلماء)

وقوله (واولوا العلم قائما بالقسط) أى وشهد اولوا العلم بان لا اله الا هو وشهادتهم بمعنى الايمان منهم ومايقع من البيان للناس على السنتهم، واختلف فى اولى العلم هؤلاء من هم؟ فقيل هم الانبياء وقيل المهاجرون والانصار قاله ابن كيسان، وقيل مؤمنو اهل الكتاب قاله مقاتل، وقيل المؤمنون كلهم قاله السدى والكلبى، والحق ان يفسر هنا باهل العلم العاملين من المؤمنين سواء كانوا من امة محمد صلى الله عليه وسلم او من الامم السابقة اذ لاوجه للتخصيص وفى ذلك فضيلة لاهل العلم جليلة ومنقبة نبيلة لقربهم باسمه واسم ملائكته، والمراد بأولى العلم علماء الكتب المنزلة على غير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اذا كانوا

من الأمم المتقدمة ، وعلماء القرءان والسنة ومايتوصل به إلى معرفتهما إذا كانوا من امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ٭

وقوله تعالى (وعلمك مالم تـكن تعلم) الآية حيث منحك العلم النافع بان اطلعك على اسرار الدين والحـكم التى أرادها الله من احكام التكاليف فاوقفك على حقائق ذلك كله ولذلك كان فضله عليك عظيما حيث اجازلك ان تتصف بصفة الاله وهى العلم ، ولاشك ان هذا اعظم من كل شىء فى الحياة ، ولايخفى عليك ان العلوم الصناعية كالزراعة والنجارة هى مطلوبة وشريفة فلذلك ان الشخص الذى لايعلم صناعة ولا يتقن فناقيمته فى نظر ابناء الدنيا اقل ممن يعلم الصنائع ويتقنها وهذا شاهد عيان وهى حقيرة بالنسبة لعلوم الدين لان الاولى تعود الى الجسم والبدن والثانية تعود الى الروح والعقل وهما اشرف من الجسد فما يتعلق بهما يكون أعظم وأشرف لأن العلوم المادية مهماصعدت وارتقت درجتها لايمكن أن تعود بخير كبير الا اذا كانت اداة أوآلة للعلوم الدينية ولذلك كان الكثير من أبناء الاسلام الذين يؤمون أوربا لتلقى العلوم المادية العصرية ولم يكن في قلبه مثقال ذرة من العلوم الدينية لايتسع صدره للمسائل الشرعية والأحكام الفقهية لأن سنة الله فى خلقه ـ المرء عدو ماجهل ـ فلا يدرى الا الاحتقار ولا يعرف الا الغطرسة والخيلاء فيجعل نفسه وقفاً على الطعن فى الدين الذى هو حياة الأمة الحقيقية ، واذا أراد أحدنا أن يفهمه معنى الدين ومزاياه ومحاسنه أبى أن يستفيد ويفهم وهذا هو السر الذى جعل المتعلمين فى أوربا والمتلقين علومهم منها لاخير فيهم لابناء دينهم ولا منفعة منهم لمواطنيهم فانا لله وانا اليه راجعون ٭

العلم حسن ولـكن متى ؟ إذا عاد بالنفع واما اذا طلبه ليبقى عالة على غيره الذي يحتقره ويزدريه ليت شعرى من المحتقر والمهان ؟ أليس اليد العليا خير

من اليد السفلى فكل ماورد فى شرف العلم فهو لاشك محمول على علوم الدين الذى جاءت لاصلاح المجتمع الانسانى، أليس منها الالهيات؟ وبها يعلم الانسان أن فوق قوته خالقا لاتخفى عليه أعماله فهو يخشاه، أمره بالعدل فهو يطيعه ونهاه عن الظلم والتعدى فهو يسمع له ويطيع لأنه الحافظ الذى لايزول، الحكومة مهما كانت قوية عادلة لايمكنها أن تراقب كل الناس سرا وجهرا فاذا خلا الرجل ولم يجد مانعا يحول دون تنفيذ مأربه من الذى يمنعه إن لم يكن خوف الله الشاهد الرقيب، أليس من علم الدين الأخلاقيات ؟ وهو تطهير النفوس من الادران والنقائص كالظلم والغدر والغش والكذب والحسد والشح والقتل والسلب والنهب، وتحلية النفس بالكمالات كالعدل والانصاف والرحمة والصدق والحب والمودة والكرم والعطف والغيرة ومؤازرة المظلوم وكف الأذى عن الناس، أليس منها العبادات ؟ وهى تكفل كيفية معاملة الشخص مع ربه ومع غيره من بنى نوعهم وغيرهم، وسيأتى عند كل مسألة مايتعلق بها من البحث ولكن بصورة اجمالية، نقول: ان العلوم كفلت سعادة الدارين الدنيا والآخرة وان الذى حمل الجماعة الملحدين على انتقاصها جهلهم بها وعدم اطلاعهم على أسرارها وتمسكهم بأنهم على جانب عظيم من العلم المموه، وغاب عن ذهنهم قوله تعالى : (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) ٭

أظنهم يسلمون معى قلة بضاعتهم وأن الزمان شاهد عدل على ذلك فان الاكتشافات الحاضرة لو رآها علماء المادة الذين ماتوا قبل خمسين سنة لعدوا أنفسهم جهلاء والعلوم الطبيعية لاشك أنها لاتقف عند حد فاذن يعترف بالضرورة أن علمه قليل وأنه لايكون الرجل عالما الامن عرف أنه لايعلم ٭

نعم لايعلم لانه لايزال يجهل تركيب ذاته وانتظام دورته الدموية وكيفية تصريف الغذاء وجريان الهوى وحقيقة اليقظة والنوم فهو كلما زعم ازدياد

العام فهو فى جهالة ومتى ادرك هذه النقطة فقد أدرك العلم وتمتع بلذته *

لا يخطر على بال أحد أن العلوم الدينية تمنع العلوم المادية كلا وألف كلا بل هى تقبلها وترحب بها وتعدها من الوسائل الواجبة ينبغى معرفتها فان فيها بيان سر الله فى كونه وكشف غامضات الحياة فكلما انتشر العلم المادى الحقيقى فان العلم الدينى يقوى لانه يجعل الانسان يعظم الخالق ويقسره على الاذعان لقدرته ويجبره على الاعتراف بألطافه وأنعامه وكلما علم أن هذا الملك العظيم واسع فانه يعلم ويستنتج منه عظمة مبدعه وهذا هو التوحيد الذى يدعو اليه الدين ووقف أنفسهم على نشره علماء المسلمين *

وانظر الى قوله تعالى: (والذين اوتوا العلم درجات) اى ان الذين حملوا العلم وعملوا به يرفعهم الله درجات فوق درجة المؤمنين الذين لم يحملوا العلم وهذه مزية عظيمة لا ينالها الانسان الا بالعلم لأن العالم يعلم الحلال وكيفية الاستفادة منه ويعلم الحرام والشبهات وكيفية الاحتراز منهما ويدرى محاسبة النفس وكيفية اداء العبادة على وجه الخشوع والتذلل مالا يعرفه غيره فيقلده غير العالم ويتبعه ، ولكن هذه المنزلة العظيمة والمقام الرفيع يقابلهما اخطار حرجة لان الانسان كلما عظم مقامه كان وقوع الهفوات منه والمعاصى اشد واعظم وهكذا شأن كل ذى منصب سام ان يكون خطره كبيرا على قدر مقامه رفعة وعلوا ، وبين الرسول صلى الله عليه وسلم درجات العلماء العاملين فى قوله « فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد سبعون درجة » رواه ابن عبد البر حافظ المغرب فى كتابه جامع بيان العلم وفضله وهو من انفس المؤلفات فى بابه وقد طبعناه والحمد لله *

وقوله: (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) الجواب لا لان اولئك

أُولُوا الأَلْبَابِ) (١) *

وَفِى الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمٌ اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤَسَاءَ جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا (٢) *

يسيرون فى نور وعلى هدى من ربهم وهؤلاء فى عماء او فى نور يمدهم به اهل العلم فالفرق بينهما كالفرق بين البصير والاعمى او بين النور والظلمة ذلك لان العلم والفكر حياة الروح فاذا فقدهما المرء فقد بقى قلبه بلا حياة وجاز ان يحسب فى ضمن الاموات وفرق عظيم بين الحى والميت *

(١) قوله: (انما يتذكر اولوا الالباب) أى ارباب العقول السليمة فان العقل الذى هو صفة غريزية يلزمها العلم بالضروريات عند سلامة الآفات، وسمى عقلا لانه يعقل صاحبه ويمسكه عن الوقوع فى المخالفات كما يعقل البعير بالعقال ويسمى لبا ايضا لانه الصفوة واللب والخلاصة في الانسان، ويسمى الحجى لاصابة الحجة به والاستظهار على جميع المعانى، ولا يمكن ان يتذكر الا ما كان حائزا على ما ذكرناه

(٢) أى أن حملة العلم تموت ويبقى المجال واسعا للجهلاء ويمكنك أن تطبقه على عصرنا هذا لأن العلم الشرعى والمادى قد وضع فى طريق طلبهما عراقيل كثيرة يشق العبور منها اليه يزعمون أنهم يريدون بذلك تنظيم العلم وتحسين طرق تحصيله ثم وضعوا رسومات ومصاريف وتقاليد تصد كثيرا من الناس عن التعلم وتكون هذه سببا لحرمان أبناء الفقراء من هذه النعمة العامة وحظروا التحصيل الا حسب البرنامج الذى قررته المدرسة فلا يحق

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ

لشخص دراسة العلم المحتاج اليه إلا ان يدرس معه ماتشاء المدرسة إما لمنفعة مخصوصة أو توهين عزيمة الطالب وذلك كله تعميم للجهل ونشر للضلالة بين الناس ولاسيما النغمة الأخرى وهى أن العلم منحصر فى الذين يحملون مايسمونه شهادة أهلية أو عالمية ابتدائية أو نحو ذلك من الالقاب المصطلح عليها عندهم فيمنحون فلانا أستاذاً وفلانا دكتورا فيتباهى بالشهادة المذكورة وذلك اللقب فيكون سببا لحرمانه من العلم الحقيقى ووسيلة لاضاعة ما تعلمه فى أثناء التحصيل لأنه رأى نفسه أرفع من غيره لما أوتى من لقب وحاز من شهادة وهذا بالنظر لتقديس الناس والحكومات لها حتى صح قول القائل - شهادة بلا علم خير من علم بلا شهادة - فانك ترى الشخص من هؤلاء بهيئة وغطرسة تحف به الكبرياء ويحتاط به الغرور كأن الله خلق الناس عبيدا له، همه تزيين الشكل والاعتناء بالقيافة وهذا الفريق هم الذين جعلوا دينهم تبعا لهواهم « فسئلوا فأفتوا بغير علم» لانهم لا يملكون الا اللقب أو الشهادة ولا يعرفون غير ذلك وغرتهم أنفسهم فأنفوا من تعلم علوم الدين فكان جوابهم وفق خيالهم الفاسد «فضلوا» بزيغهم عن طريق الحق وبعدهم عن جادة الصواب «وأضلوا» الناس الذين يقتدون بهم مخدوعين بظواهرهم فكان لهم من النكال والعذاب قسط عظيم، اللهم رحماك يارب فانك قادر على كل شيء ✡

وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فيه علمًا سَهَّلَ اللهُ له به طَرِيقًا إلى الجَنَّة وَمَا اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وحفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه (١) ٭

---

(١) هذا الحديث جامع لانواع القواعد المرعية والآداب الشرعية ومرشد الى الفضائل فمن نفس عن مؤمن كربة نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة لانه نفس عن اخيه المؤمن لاجل ايمانه ولاشك ان الجميل ان ذهب فى الدنيا لايذهب فى الآخرة، وهو بشارة جميلة مشوقة الى عمل الخير وقضاء حوائج المسلمين ونفعهم بما تيسر ويستطيعه الانسان من علم اومال او اشارة راى او نصيحة اومعاونة لينال المكسب العظيم والربح الجسيم يوم لاينفع فيه مال ولا بنون الامن اتى الله بقلب سليم لان قرض الشخص الله يمنحه الله اضعافا مضاعفة خلاف قرض العبد العبد٭

ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا بزيادة المال والعيال المباركين وفى الآخره بالنعم الجسام ان شاء الله تعالى لانه تسلط على اخيه وقت الاستحقاق فدفعته رحمته الى التأجيل لوجه الله جل وعز فلا ريب ان الله لايضيع عمله بل بشره من الآن ان جزاءه سيكون جزاءاً موفورا ويوفق فى اموره كلها وهذا هو الجارى بين ارباب المعاملة السمحة فان ثروتهم فى ازدياد وكسبهم فى نمو ببركة تساهلهم مع اخوانهم ٭

ومن ستر مسلما لالغاية دنيوية ولا لمقصد سيء وانما لانه بشر خطاء والخطأ جائز عليه ليس معصوما فأحب ان يريه كيفية الادب عساه يستحي

﴿١٨﴾ نَشْرُ العلمِ لقوله تعالى (وَلَتُبَيِّنُنَّهُ للنَّاسِ ولا تَكتمونه) وقولُه: (ولِيُنذِروا قومَهم إذا رجعوا إليهم) *

وحديث أبي بكرة في الصحيحين أن النبي قال في خطبته بمنى ألا لِيُبلغ الشاهد منكم الغائب فلعل من يبلغه يكون أوعى له من بعض من سمعه»،

وحديث أبي هريرة في سنن أبي داود من سُئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من النار يوم القيامة (١) *

منه فيستحى من الله فهذا الرجل جزاؤه ان يستره الله فى الدنيا بأن لا يكشف له سترا ولا يظهر له عيبا اوبان يوفقه بأن لا يقع منه ذلك ، وفى الآخرة بأن لا يفضحه على رءوس الاشهاد *

ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما يبغى بذلك وجه الله تعالى ويستعين به على آخرته شأن العالم وهوان يعرف عجزه وقدرة ربه فيلتجىء اليه ويحتمى بكنفه ويلوذ بحماه فيكون عمله هذا الشريف قد سهل له طريقا الى الجنة لان العلم الشرعى يصير المرء يخشى من عذاب الله ويقدر جلاله ويدرى قدره، وجزاء الذى يخشى ربه الجنة ، وهذا المقصد لا يمكن الوصول اليه الا من طريق العلم لان الجهل قد يسوق المرء إلى أن يخرج عن جادة الصواب التى كان سائرا عليها فيتبع هواه الى ان يكون من الهالكين *

(١) لاشك أن نشر العلم من أعظم شعب الايمان اذ به يرتفع الجهل ويقل الفساد وتتقدم البلاد و تكثر المشاريع الحيوية وتنتشر الصناعات ويسود الامن وتسمو الامة ، وقوله تعالى : (لتبيننه للناس ولا تكتمونه)

أى لتبينه أهل العلم بقول الحق وايضاح الاحكام مع التحرى اللازم فى ايراد الادلة واقامة الحجج ، وعطف عليه قوله تعالى : (ولا تكتمونه) عن أهله سواء كان الكتم فى الالفاظ أو المعانى وهذا يشمل ما يتخذه بعض خونة العلم من نقل النص وتحريف المعنى على طريق المغالطة إذا علم أن الخصم لا يفقه الدسيسة التى ارتكبها فى تحوير المعنى ، أى يحرم عليكم أن تؤدوا أمانة الالفاظ وتخونوا المعانى فان هذه جريمة عظمى يجب على العاقل أن يتباعد عنها لاسيما إذا كان النص لا يدل لرأيه أو مذهبه فيحاول محاولة الغالب ليقهر خصمه ، وقوله عز وجل : (ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم) بين أن السفر لاجل العلم واجب إذا كان لا يمكن للانسان أن يحصله في وطنه لان الرجوع لا يكون الا عن سفر ، وفى هذا حض على العلم وانه ينبغى لاجله شد الرحال وترك البلاد العارية عنه بدليل أن الله جعل له نفارا كنفار الجهاد لانهما توأمان فنجاح الامة بالسيف والعلم لأن السيف وسيلة للعلم ، ألا ترى ان الاسلام لما قويت شوكته وانتشرت مباديه الشريفة وكثرت الفتوحات وصار الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ، وبقى حثالة من الكفر نزلت آية (لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى) ٭

وقوله : «من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام» الخ لانه خالف أمر الله تعالى حيث أمره بنشر العلم فحرص عليه وكتمه خشية على نفوذه الموهوم أو اسمه الخيالى أو لقبه الكاذب فرجح الباطل على الحق وبخل فى تعليم غيره كى ينتشر الجهل الذى هو الموت الحقيقى لان الجاهل عبارة عن متحرك أو حى يمشى ولا يعقل ويفكر ، فكاتم العلم أراد هلاك الامة وشرع فيه حيث بخل فيما لا حق له فى الاستئثار به فاستحق هذا الوعد الشديد والله أعلم ٭

وروى البيهقى باسناده عن الامام عمر بن عبد العزيز الأموى رحمة الله عليه أنه قال من لم يعد كلامه من عمله كثرت خطاياه ومن عمل بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح ، وعن الحارث المحاسبى العلم يورث الخشية والزهد يورث الراحة والمعرفة تورث الانابة ، وعن ابن سعد أن من عمل بعلم الرواية ورث علم الدراية ومن عمل بعلم الدراية ورث علم الرعاية ومن عمل بعلم الرعاية هدى إلى سبيل الحق * وعن مالك بن دينار إذا طلب العبد العلم ليعمل به كسره علمه وإذا طلبه لغير العمل زاده كبرا (١) وعن معروف الكرخى إذا أراد

قوله : من عمل بعلم الرواية الخ أى الوارد عن الله عز وجل وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم دل على ان لذلك الشخص عقيدة صحيحة ونية حسنة حيث اخلص فى علمه وعمله وسلم مقاليد امره إلى خالقه فيكرمه الله تعالى بعلم الدراية فيستطيع ان يكشف بمواهب الله تعالى اسرار الاحكام ويفصح عن معضلات المسائل ويحل عويصات القضايا جزاء خروجه من حوله وقوته وتسليمه لما اراده الله، واذا عمل بالدراية ارتقى الى درجة مرتبة الحكم ومنصب العلم وعرف المواقف التى يمر عليها السائرون الى مولاهم وادرك مغزى الشريعة فقد هدى الى سبيل الحق ووصل الى ما تصبو اليه نفس كل عاقل دنيا واخرى ه

(١) قوله : كسره علمه أى لينه وهذبه وزاده تواضعا لله ورفعة بين الناس ولذلك تجد العالم بعلمه أو طالب العلم كذلك مهذبا متواضعا حليما رحب الصدر

اللهُ بعبدٍ خيراً فتح عليه بابَ العمل وأغلق عليه بابَ الجدل وإذا أرادَ اللهُ بعبدٍ شرّاً أغلق عليه بابَ العمل وفتح عليه باب الجدل ۞

وعن أبي بكر الورّاق من اكتفى بالكلام من العلم دون الزهد والفقه تزندق ومن اكتفى بالزهد دون الفقه والكلام ابتدع ومن اكتفى بالفقه دون الزهد والورع تفسّق ومن تفنّن فى الأمور كلِّها تخلّص ۞

وعن الحسن البصرى رحمه الله أنه مرّ عليه رجل فقيل هذا فقيه فقال أو تدرون من الفقيه؟ إنّما الفقيهُ العالمُ فى دينه الزّاهدُ فى دنياه القائم على عبادة ربه ۞ وعن مالك بن دينار قال قرأت فى التّوراة إنّ العالم إذا لم يعمل بعلمه زلّت موعظته من القلوب كما يزلّ القطرُ عن الصّفا، وأنشد عن ابى بكر بن أبى داود لنفسه (١) ۞

من غصّ داوى بشرب الماء غصّته ۞ فكيف يصنع من قد غصّ بالماء

وعن أبى عثمان الحيرى الزّاهد:

---

(١) القطر بفتح القاف وسكون الطاء المطر واحده قطرة، والصفا جمع صفاة وهى الصخرة والحجر الأملس، فانظر الى هذا التشبيه ما أبلغه ولا تكن ممن علم ولم يعمل ۞

وَغَيْرُ تَقِيٍّ يَأْمُرُ النَّاسَ بِالتُّقَى ❊ طَبِيبٌ يُدَاوِي وَالطَّبِيبُ مَرِيضُ

نَسْأَلُ اللهَ التَّوْفِيقَ لِلْعِلْمِ وَالعَمَلِ وَنَعُوذُ بِجَلَالِ وَجْهِهِ مِنَ الخِذْلَانِ وَالحِرْصِ وَالأَمَلِ (١) ❊

(١٩) تَعْظِيمُ القُرْآنِ المَجِيدِ (٢) بِتَعَلُّمِهِ وَتَعْلِيمِهِ وَحِفْظِ حُدُودِهِ

---

(١) وفي رواية وغير تقي يأمر الناس بالتقى طبيب يداوي الناس وهو عليل

(٢) من شعب الايمان تعظيم القرءان الكريم وذلك بأداء ماله من الحقوق بان يكثر من تلاوته ويتدبر آياته ويعمل بحلاله ويتجنب حرامه ويتقن قراءته قال الله تعالى: (ورتل القرءان ترتيلا) ويعلم الغير بان القرءان كلام الله وكتابه المنزل على رسوله محمد ﷺ وانه معجزة الاسلام الدائمة والحبل الذى من تمسك به استوثق ونجا من رعونات اكدار الحياة ووصل إلى ربه تعالى موفقا مسرورا منعما مأجورا وهذا هو التعظيم الحقيقى فان من احب شيئا اكثر من ذكره واذاعة نبئه والا فانه يكون مدعيا لادليل على صحة قوله ولذا يقول البوصيرى :

والدعاوى مالم يقيموا عليها بينات اصحابها ادعياء

فمن يدعى تعظيم القرءان يكون قائما بأداء حقوقه على الوجه المطلوب مع حفظ كيفية الدفاع ليذودوا عنها الذين سولت لهم انفسهم ان يمسوا كرامة تلك الاحكام فيذبونهم عنها ولا يترك يدا اثيمة تتناولها بنقد مزيف او قذف باطل فيقف نفسه على اداء حقوق القراءن ويجرد قلمه للدفاع عن المهاجمين وبيان الحكم التى تكون سببا لرسوخ عقيدة المؤمنين ❊ وانظر إلى قوله تعالى: (لو انزلنا هذا القرءان على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشيه الله) هل بجده ينطبق عليك ؟ ❊

وَأَحْكَامه وَعلْمِ حَلَالَه وَحَرَامه . وَتَبْجِيل أَهْلِهِ وَحُفَّاظه وَاسْتشعَارُهَا يُهِيجُ إِلَى الْبُكَاء من مَوَاعيد الله وَوَعيده . قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى (لَوْ أَنْزَلْنَا هٰذَا الْقُرْآن عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَه خَاشعًا مُتَصَدِّعًا من خَشْيَة اللّٰه) وَقَالَ (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) وَقَالَ (وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلّٰهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا) *

قوله تعالى : (انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون) الآية أى أن المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم لقرآن كريم وشريف لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فى كتاب مكنون أى محفوظ من أن تصل اليه يد المبدلين والمحرفين (لا يمسه) اى لا يلمسه الا الذين هم على طهارة لأنهم هم أهل التعظيم والتبجيل، ولذا قال الامام الشافعى رضى الله عنه: إن مس القرآن على المحدث حدثا أصغر حرام مستنتجا ذلك من الآية الكريمة ومؤيدا نظريته بالسنة المطهرة فان النبى ﷺ كتب الى عمرو ابن حزم «لا يمس القرآن من هو على غير طهر» رواه الدارقطنى والحاكم والبيهقى فى الخلافيات ، وقوله : (تنزيل من رب العالمين) تعظيم للقرآن الكريم لان عظمة الكلام على قدر نفوذ عظمة متكلمه فبذكر قوله : (رب العالمين) اظهار العظمة التى لا يوجد لها مثيل ولا شبيه *

وقوله تعالى : (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال) الآية بيان لعظم شأن القرآن وفساد رأى الكفرة الذين لم يقدروه حق قدره حيث قالوا آتنا

وَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فِيمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَفْضَلُكُمْ أَوْ خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ وَقَالَ فِيمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ (١) فَوَالَّذِي

من الآيات التى تشبه آيات من قبلك من الانبياء كقلب العصا حية وإحياء الموتى ونحو ذلك ، وذلك بسبب عنادهم مكابرة وتماديا فى الزيغ والضلال فقال: (لو أن قرآنا سيرت به الجبال) حين انزاله كما فعل بالطور (أو قطعت به الأرض) كالحجر الذى انبجست منه اثنتا عشرة عينا (أو كلم به الموتى) كالاحياء لعيسى عليه السلام لكان هذا القرآن مصدرا لكل خارق لما ينطوى عليه من العجائب من آثار قدرة الله تعالى، وفى الاعجاز بعد التحدى فيه كله والنازل الى عشر سور فالى سورة واحدة والتذكير والانذار والتبشير والتخويف مما يختص بالعقلاء مع بقية الأحكام التسع التى جمعها بعضهم بقوله :

ألا إنما القرآن تسعة أحرف سأنبيكها فى بيت شعر بلا خلل
حلال حرام محكم متشابه بشير نذير قصة عظة مثل

(١) قوله: تعاهدوا القرآن بالمواظبة على تلاوته لان الانسان مهما اوتى من قوة الادراك وقوة الذهن وجودة التصور لا يمكن ان يحيط بكلام الله تعالى وانما يقف على بعض مما يصل اليه فكره وهذا السر الذى جعل القرآن جديداً لنا أن معناه لا ينقضى ولا يمكن لعقل ان يحيط به، فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن القرآن اشد تفلتا من الابل اذا اطلقت من عقلها هو الواقع والمشاهد بل والمعقول لان الابل تجد فى نفسها قوة فمتى ضعفت او زالت عنها تلك القوة فانها تستعمل ما عندها من العزم فتذهب شاردة، والقرآن كلام الله على

نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتاً مِنَ الابِلِ فِى عَقْلِهَا، وَقَالَ فِيمَا رَوَيَاهُ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا لَا حَسَدَ إِلَّا فِى اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ هَذَا الْكِتَابَ فَقَامَ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَهُوَ يَتَصَدَّقُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ *

اقل الاحتمالات وحسب عقول المخاطبين فيه تشابه من حيث انه كلام واجب الوجود والانسان ممكن وقد جعل الله كتابه فى اقصى درجات البلاغة ومنتهى الاعجاز بحيث لا يمكن البشر من مجاراته للاتيان بمثله لهذا لا يحل الا فى قلب مؤمن وانك لتجد المنافق يكلف نفسه اتعابا شاقة وعناءاً كثيرا ليحفظه فلا يتسنى له ذلك وان تمكن فلا يلبث أن ينساه فى القريب العاجل وهذا من معجزات القرءان ، وقد شاهدنا أن من كان من المداومين على تلاوة القرءان ويتقن حفظه شغلته الدنيا او غرته فتجد كل من كان فى اعتقاده خلل لا يستطيع ان يقرأ القرءان على وجه صحيح وانما يغلط فيه بعد ان كان مثالا للحفظ والضبط . (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) *

قوله : «ان الله يرفع بهذا الكتاب اقواما ويضع به آخرين» أى يضع الذين لم يستفيدوا من تلاوته شيئا فلا يعملون بما فيه من الاوامر ولا ينتهون عما فيه من الزواجر فكان القرآن سبب انحطاطهم اذ لولا القرآن لكانوا من اهل الفترة ولا يكلفون بالاعمال، واما الذين يرفعهم القرآن فهم الذين دأبهم دراسته والحرص على معانيه للوقوف على معرفة ما يراد منهم من الواجبات والمستحبات ليقوموا بها وينشروا الفضيلة بين الناس ليستفاد منها وليعمموا دين الله والشرع الشريف، والعقل الحبل الذى يربط به البعير *

وَقَالَ فِيمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ « إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ » :

﴿ ٢٠ ﴾ الطَّهَارَاتُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى (إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ) الآية * (١)

---

(١) الطهارة هى التنزه من الادناس وهى قسمان معنوية وهى تنزيه القلب وتنقيته عن نجاسة الكفر والنفاق وسائر الاخلاق الذميمة الباطنة، وحسية وهى النظافة المخصوصة بغسل أعضاء مخصوصة المنوعة الى وضوء وغسل وتيمم وغسل بدن وثوب ونحوه، ولما كانت الشريعة الاسلامية كفلت للناهج سبيلها الحق سعادة الدنيا والآخرة وكانت سعادة الدنيا بعضها يتعلق بشخصه منفردا وبعضها يتعلق به مع غيره مرتبطا به حسب الاجتماع الذى لا يستغنى عنه البشر لانه القوة التى يسيطر بها على الحيوانات كافة وكانت الطهارة من القسم الثانى جعلها من الايمان وقسمها إلى فروع، فمنها ما يتعلق بازالة النجاسات وهذه أمر بالطهارة منها فى كل وقت بحيث لا يجوز ابقاء التضمخ بالنجاسة لغير حاجة، ومنها ما يتعلق بالنجاسة المعنوية وهو الحدث الاكبر ذلك لان الماء الذى يخرج من المرء يجتمع من أعضاء الوضوء كافة لهذا يحس المرء عقبه بفتور ومن المحسوس الذى لا يحتاج الى إثبات ان الانسان ينشط فى أعضائه متى اغتسل فترى الشريعة الاسلاميه تلاحظ حالة المرء فى نشاطه وكسله لان شأن الحياة ان يتعاقب فيها النقيضان، ولما كان الخمول يعقب اللذة وفى غالب الاحوال لا ينشأ خروج المنى الا عن لذة قد ينسى الانسان حاله عقبها فامره بالغسل لتعود اليه قوته . ولما كان من الواجب المحتم على كل مسلم مقيم صلاة

وَلِحَدِيث أَبِي مَالِك الاشْعَرِي رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ فِي صَحِيح مُسْلِم الطُّهُورُ شَطْرُ الايمَانِ وَالْحَمْدُ لِلّهِ تَمْلأُ المِيزَانَ وَسُبْحَانَ اللّهِ وَاللّهُ أَكْبَرُ تَمْلآنِ أَوْ تَمْلأُ مَابَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَالصَّلاَةُ نُورٌ وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبرُ ضِيَاءٌ وَالقُرآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْعَلَيْكَ كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا ☆ (١)

الجمعة أمره بالغسل فى كل جمعة اذ يجوز أن لايحصل له مايوجب الغسل وشأن الانسان أن يلوث جسمه بالرشح والاوساخ اذا أهمل نفسه ولم يتعهدها فأمره بغسل الجمعة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم» ولهذا قال الامام أحمد بوجوبه لان المرء قد يغفل عن نفسه فلا يظن وجود نتن فى جسده والاجتماع عادته أن يترك الموجودين فى حرارة تظهر ماهم عليه من رائحة جيدة أو عاطلة وكانت الجمعة فرضا أمر الشارع بالغسل لها والتطيب فيها كما أمر بالاغتسال عند كل اجتماع يحصل بين الناس ، وجمع المصنف «الطهارات» نظرا لانواعها ☆

(١) قوله: «الطهور شطر الايمان» أى نصفه لأن الايمان يطهر نجاسة الباطن والطهور يطهر نجاسة الظاهر وكذلك قوله. والحمد لله الخ لأن الحمد والتسبيح ثناء الله وتنزيهه فهو يزيل الادران الباطنة لما فيه من التفويض والافتقار إلى الله تعالى وهذه هى العبودية المحضة فثوابها لوكان جسما لملأ ما بين السماء والأرض لأن اتساع النور مما لايمكن انكاره أصلا، وقوله الصلاة نور لأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر وتمنع من وقوع المعاصى وتهدى الى الصواب وتصلح النفس الامارة بالسوء أو تتغلب عليها فتقسرها على الرضوخ الى

طرق الخير المشروعة فتكون سبباً لسطوع نور المعرفة الالهية كما أن النور يحول دون وقوع من يهتدى به فى حفرة أو هوة، وقوله : والصدقة برهان لان المال جبلت النفس على حبه فاذا تجرد المرء عن الغايات الدنيوية وانفق فى سبيل الله كان برهاناً على صحة ايمانه حيث وثق باليوم الآخر فأعد له عدته او بأن الله هو الرزاق فصرف ماله لايبغى وراء ذلك نفعاً الا من خالقه ، ويحتمل ان تكون الصدقة برهانا له يوم القيامة كالشهادة التى تكون سببا لصحة الدعوى واثباتها فى الدنيا فيفزع اليها العبد كما يفزع الى بينته وحجته ، وقوله «والصبر ضياء» لان صاحبه سائر فى طريق معتدلة آمن على نفسه من الزيغ بالخروج عن جادة الصواب كمن يسير فى ضياء يعرف مقصده، وقوله : «والقرآن حجة لك» ان انتفعت به فتلوته وعملت بما فيه من اتباع المأمورات واجتناب المنهيات يصير شفيعا لك يوم القيامة والا فهو حجة عليك يكون خصما لك يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، وقوله «كل الناس يغدو» الخ أى إن كل إنسان بالضرورة يسعى فان كان باع نفسه لله وفى سبيل طاعته فقد اعتقها من العذاب وان كان باعها للهوى والشيطان باتباعهما فيوبقها أى يهلكها والله أعلم ٭

والحكمة فى الوضوء ظاهرة هى أن الاطراف متعرضة لسموم الرياح ومكشوفة يقع عليها الغبار وتأتى اليها الحشرات المضرة كالذباب والبعوض وغيرهما فالماء يزيل تلك الأوساخ ويبرد الحرارة الحاصلة من السموم وغيرها ويكون سببا فى المحافظة على جمال الخلقة الأصلية (ولقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم) ولا يخفى أن للبشرة رونقا وحسنا اذا لم تتغير بما يتلبد عليها من غبار ونحوه فتنقلب بهجتها الى شكل مخالف منفر فرحم الله عباده وألزمهم بهذا العمل ليحتفظوا بجمالهم وصحتهم من طريق العبادة التى يؤجرون عليها، وهذه حكمة يبديها الفكر ولفكر آخر أن يبدى حكمة أخرى وهكذا لأن نظريات الباحثين عن التشريع وحكمه كثيرة لأن المولى يمنح خلقه مايشاء من المواهب ٭

وَلَحَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ أَيْضًا لَا يَقْبَلُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ صَلَاةً بِغَيْرِ طُهُورٍ وَلَا صَدَقَةً مِنْ غُلُولٍ (١) *

وَلِحَدِيثٍ حَسَنٍ عَنْ أَبِي كَبْشَةَ السَّلُولِيِّ عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ، رَوَى الْحَلِيمِيُّ عَنْ يَحْيَى بْنِ آدَمَ فِي قَوْلِهِ * الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ * لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى سَمَّى الصَّلَاةَ إِيمَانًا فَقَالَ (وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ) أَيْ صَلَاتَكُمْ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَلَا تَجُوزُ الصَّلَاةُ إِلَّا بِالْوُضُوءِ فَهُمَا شَيْئَانِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا نِصْفُ الْآخَرِ *

(٢١) الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ) أَيْ صَلَاتَكُمْ وَقَوْلِهِ (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ) وَقَوْلِهِ (إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا) *

وَلِحَدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ * أَنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ (٢) *

---

(١) الغل الخيانة فى المغنم والسرقة من الغنيمة قبل القسمة ، وقد يراد به معنى أعم من ذلك كالحقد والشحناء *

(٢) دل هذا الحديث وأمثاله على خروج تارك الصلاة من الدين

وعدم اتصافهم به فالحديث صريح فى أن العلامة الفارقة بين الاسلام والكفر
هى الصلاة فوجودها دلالة على اسلام من اتصف بها وقام بأدائها وعدمها
برهان على كفر من لم يتلبس بها ، فتارك الصلاة يصح أن يحكم بكفره
ظاهراً ولاسيما أن الشريعة الاسلامية قد أباحت دمه لأنه أصر على عدم
الرضوخ لاهم الاعمال والاركان الاسلامية فدعواه الاسلام كذب صريح
ومين لاشك فيه ، هذا اذا كان تارك الصلاة يدعى الاسلام وامتنع من
أدائها أما اذا كان مستهزأ بالاسلام فهو أجدر بسفك دمه والقاء جيفته
للكلاب كى يرتدع غيره ممن تحدثهم أنفسهم باللعب فى الديانة الاسلامية *

وانظر إلى غالب أهل زماننا كيف ترك الصلاة ولا أظن أنه كسل منهم .
بل اعتقاد أنها ليست من الدين ، ولربما سخروا من فاعلها وهزؤا به وهذا مشاهد
ولا سيما من تخرج من المدارس العالية ودرس كتب الطبيعة ومذهب
الماديين فانه أشد سخطا . وأسرع تجاهراً بعداوته . واللوم كله فى ذلك يرجع
الى علماء الدين وأئمته . لأنهم لو تقربوا الى الأمراء وبينوا لهم ماينشأ عن
ترك الصلاة من المفاسد المضرة بالهيئة الاجتماعية والمصالح العمومية .
بدليل قوله تعالى : (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) وطلبوا المساعدة
منهم لاخذوا بيدهم وأعانوهم على مطالبهم . ولو اعتنى رؤساء العلم والدين
بارسال خطباء ووعاظ الى البلاد والقرى يرشدون الناس الى ذلك . ويحثونهم
على التمسك بدينهم وإظهار شعائره ويلقنونهم العقائد الصحيحة . والمسائل
الراجحة والدلائل الشرعية والعقلية . لساد الدين وظهرت معالمه . لكنهم
تساهلوا . وعن الاهم أعرضوا ، والى الوظائف والمرتبات جنحوا . والى
الذين ظلموا ركنوا . أنى يظهر الدين والعلماء ساكتون ، نسأل الله السلامة *

النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ قَالَ الصَّلَاةُ لِوَقْتِهَا قُلْتُ ثُمَّ أَيُّ قَالَ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ قُلْتُ ثُمَّ أَيُّ قَالَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ قَالَ وَحَدَّثَنِي بِهِنَّ وَلَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي *

وَحَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فِيهِمَا صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً *

وَحَدِيثُ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ * مَا مِنِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَمْ يَأْتِ كَبِيرَةً وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ وَبِهِ أَنْبَأَنَا الْبَيْهَقِيُّ قَالَ وَلَيْسَ فِي الْعِبَادَاتِ بَعْدَ الإِيمَانِ بِاللهِ الرَّافِعِ لِلْكُفْرِ عِبَادَةٌ سَمَّاهَا جَلَّ وَعَلَا إِيمَانًا وَسَمَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ تَرْكَهَا كُفْرًا إِلَّا الصَّلَاةَ *

﴿٢٢﴾ الزَّكَاةُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) (١)

---

(١) أصل الزكاة النمو الحاصل عن بركة الله تعالى، يقال زكا الزرع يزكو إذا حصل منه نمو وبركة، وفي الشرع اسم لما يخرجه الانسان من حق الله تعالى الى الفقراء والمساكين، وتسميته بذلك لما يكون فيها من رجاء البركة أو تزكية النفس وتنميتها بالخيرات والبركات أو لهما جميعا

وَقَوْلُه تَعَالَى (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ)(١)

فان الخيرين موجودان فيها، وهى من أعظم أركان الاسلام وفوائدها ملموسة محسوسة لافرق بين المنفعة الشخصية أو العمومية ، والنفس مجبولة على الشح ، قال تعالى: (واحضرت الأنفس الشح) وهو عيب كبير له تأثير وسلطة على الاضرار بمعظم الفضائل وهو أشد أنواع البخل فالزكاة تزيل هذا المرض النفسانى العائق عن السير إلى مراتب الكمال لتطلع النفس الى أسمى المناصب وتزداد بعدا عن صفات البهيمية، وهى تخفف من بؤس الضعفاء وذوى الحاجات اذا لم تزل جميع ما احاط بهم من الشقاء والتعاسة، فلولا الزكاة لهلك الفقراء جوعا أو ساقهم ذلك الى الفوضى والاشتراكية كما وقع فى روسيا أخيرا سنة ١٣٣٧ هـ حيث انقلبت رأسا على عقب ولم تبرح تتخبط فى دياجى الضلالة وتنشر هذه البدعة السيئة بكل مالها من حول ولاقوة حتى ظهر ضلال هذه البدعة وأدركها الكثير فأصبحت بعض الدول تحاربها وتدعو الدول الأخرى الى محاربتها خوفا من سمومها، وها نحن منتظرون ما يحصل فى دولة أسبانيا بسبب هذه العقيدة الزائغة والمذهب المهلك للمجتمع الانسانى والقاضى عليه بالتعاسة الى الأبد، اللهم انصر الحق وجنوده واخذل الباطل وحزبه وضع الاغلال فى أعناقه والقيود فى أطرافه حتى يهلك كمدا ويزول جميعه من العالم الجسمانى *

(١) انظر الى هذه الآية الشريفة ونظائرها الدالة على توبيخ مانعى الزكاة وتقريعهم وتعذيبهم العذاب الاليم ، والاحاديث الواردة فى ذلك

وقوله (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) *

مما يحمل الانسان على اخراجه زكاة ماله وبدنه واعطائها مستحقيها لانها تربى المال وتزيده حسا ومعنى كما هو مشاهد لمخرجيها من حفظ مالهم من الآفات وعدم تضييعه فى المهلكات *

ولكن كيف تنفع تجربة، وتعظ واقعة أو يحجز اسلام وايمان أو يفيد بيان وقد استحوذ على أغنياء زماننا الشيطان واستبطنهم ، فخالط اللحم والدم، والعصب والمسامع ، والاطراف ثم أفضى الى الافخاخ والاصماخ ثم ارتفع حتى باض وفرخ فخشاهم نفاقا وشقاقا، واشعرهم خروجا وخلافا اخذوه قائدا يطيعونه ودليلا يتبعونه وآمرا ناصحا يستشيرونه ، متى الى الكتاب والسنة يرجعون وبآثار السلف يقتدون؟! انا لله وانا اليه راجعون، ان من كان عقله صحيحا يدرك أن النقود آلة لتبادل المنافع ولذلك تجد الشريعة المحمدية لم تحظر جمع المال المشروع ولم تبح للرجل عند الموت ان يتصدق باكثر من ثلث ماله لان الاحتياج غير مرغوب فيه وكلفنا الشارع بمحافظة مال السفيه ونسبه الينا لأن المسلمين جسد واحد قال : (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما فيها) فما ورد من الآيات فى الزجر مصروف الى المال الذى لا يؤدى حقه وهو المعنى بالكنز *

قال ابن عمر رضى الله عنهما : كل ما اديت زكاته فليس بكنز وان كان تحت سبع ارضين وكل مالم تؤد زكاته فهو كنز وان كان فوق الارض

وقال جابر : اذا اخرجت الصدقة من مالك فقد أذهبت عنه شره وليس بكنز *

وَلِحَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذاً إِلَى الْيَمَنِ قَالَ لَهُ ﷺ إِنَّكَ تَأْتِي قَوْماً أَهْلَ كِتَابٍ فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ . فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَإِيَّاكَ وَدَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ :

وَحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ * مَنْ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ لَهُ مَالُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعاً أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتَانِ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ يَعْنِي شِدْقَيْهِ ثُمَّ يَقُولُ أَنَا مَالُكَ أَنَا كَنْزُكَ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) *

---

(١) الشجاع بضم أوله وكسره الحية الذكر وقيل مطلقا والاقرع الذي لا شعر على رأسه لكثرة سمه وطول عمره، والزبيبتان تثنية زبيبة وهي نكتة سوداء فوق عين الحية تدل على انه اشد أنواع الحياة واخبثها، والشدق جانب الفم *

(٢٣) الصِّيامُ لقوله تعالى (كُتِبَ عَلَيكُمُ الصِّيامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ) (١) *

---

(١) الحكمة فى الصوم هى أن الانسان حالة وسطى بين الملكية والجسم اللطيف المنافى الكثافة وبين البهيمية والشهوة الحيوانية فهو مركب من المادتين ولذلك كان الانسان أفضل من الملائكة لما يصيبه من العناء الشديد والصعوبة فى مجاهدات النفس ثم ان الشريعة كلفت الانسان بامور يستعين بها على نجاح أمره وصلاح حاله فان البهيمية التى يتقهقر بها الانسان الى درجات الشقاء ارادت الشريعة قهرها او جعلها تحت سلطة الملكية وذلك لأن قوة الأولى واستفحال أثرها يكون بالغذاء فى الأكل والشرب والانهماك فى سائر الأعمال الشهوانية فشرع الله الصوم لترجع النفس خاسئة فتنقاد لامر الروح وتفعل حسب ارشاداتها ونصائحها الى أن تصير كالآلة المسخرة لها *

فاذن الصوم عبارة عن منفعة تعود على الصائم فليس القصد منه الاضرار حاشا الشريعة المطهرة أن يوجد فيها ذلك أو يحتمل حصول ما تؤاخذ عليه ولهذا جاز الافطار المريض والمسافر لانه يضر بالاول وقد يعوق الثانى عن كثير من أعماله شأن السفر ولهذا قال تعالى : (وان تصوموا خير لكم) *

ولما كان هلاك النفس أو شدة الاضرار بها أو اخفاف الشهوة غير جائز شرعا شدد الشارع النكير على صوم الوصال وحرمه وكره صوم الدهر لان الصوم مقصود لغلبة النفس لتخضع لامر الروح فتتغلب الصفة الملكية على الصفة البهيمية *

واذا تغلبت الروح فهذا هو الكمال لان الرجال تتفاوت فى قوة الارادة

وشدة العزيمة ومن كان طوع أمر شهوته فانه جبان النفس ضعيف الهمة لايقدر على مخالفة النفس الامارة بالسوء . فكان الصوم عونا كبيراً وناصرا عظيما يضعضع قوى النفس وينهكها فيتركها تسلم القياد للروح وتستسلم لها فتكون عونا وهذه المزية المطلوبة من الانسان حيث جمع شمله ووحد قواه وأصلح بين الخصمين وصير آلة الشر مسعفا للخير ومروجا له وعاملا فى سبيل إحيائه وانمائه ٭

وأخال ان هذا السر الذى جعل الصوم واجبا فى كل الديانات فهو مختلف النوع والشكل متحد الهدف وهو قهر النفس والغلبة عليها كما قال تعالى : ـ كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ـ أى تتخذون من اجتناب الشر وعمل الخير وقاية من عذاب الله وغضبه بالصوم المهذب للنفس الباعث على قوة الارادة التى تجعل الانسان عظيما مبجلا فى دنياه وآخرته مقدساً فيهما محترما ٭

وقد اوجب الله صيام شهر رمضان على حساب الأشهر القمرية لأنها متحولة فيمر على الانسان فصول السنة كافة ويشاهد الحر والبرد والسموم والزمهرير فتكون هذه شهوداً له على إخلاصه وطاعته لربه ولأن الناس متفاوتون بحسب المزاج فمنهم من لايتأثر من الحر فاذا أتاه البرد تأثرت نفسه ومن سهر لايبالى بالبرد فاذا حل فصل الحر ضعفت قوى بهيميته وأصبحت السلطة بيد الملكية أى الروح وحدها لامنازع لها، وهكذا يقال في بقية الفصول اذ المقصد اصلاح النفس وتربيتها على علو الهمة وتمرينها على الأعمال الكبيرة فانها اذا صبرت على الجوع والعطش ولم يخطر على بال الصائم بقية الشهوات فقد نجا من شرور الحياة وأصبح لايبالى بالاقدام على الأمور العظام ولاتهمه الكوارث مادام ذا عزم متين وإرادة فعالة ٭

وَلِحَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَصَوْمِ رَمَضَانَ وَحَجِّ الْبَيْتِ (١) *

---

(١) قوله : « بنى الاسلام على خمس » وذلك لأن العبادة لا تخلو إما أن تكون قولية أو غير قولية . فالأولى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله . وغير القولية إما أن تكون تركية وإما أن تكون فعلية فالأولى الصوم لانه ترك الاكل والشرب واللغو والكلام الفاحش ، والفعلية اما أن تكون بدنية خالصة أو مالية خالصة أو مركبة منهما غالبا فالاولى أعنى البدنية الخالصة الصلاة والثانية أى المالية الخالصة الزكاة ، والثلاثة أى المركبة منهما الحج لانها مركبة من النفقات وتعب الطريق وانما قلنا غالبا لان الحج يصح من رجل قاطن مكة فهو يستطيع أن يذهب ماشيا بدون نفقة ولا مصرف إلى عرفات ويعود من يومه الى مكة وأيام منى يتردد فيها بين مكة ومنى والمسافة قصيرة لكن هذا نادر والنادر لا تبنى منه قاعدة فالاغلب أن الحج مركب من عبادة بدنية ومالية وانما كان البناء على خمس مع أن البناء يكون على أربع بحسب الجهات الاربع لكن لما كانت الاركان الاربعة لا تصح اذا انفقد خامسها وهى شهادة ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فهو كبيت الشعر يجعل على خمسة أعمدة أحدها فى الوسط والبقية فى الجهات الاربع تبع للاوسط فما دام المتوسط قائما فمسمى البيت موجود ولو سقط معظم الاركان ولكن الاوسط اذا سقط سقط مسمى البيت وكذلك الايمان اذا وجد وحده يحتفظ صاحبه بمسمى الاسلام بلا فائدة تعود عليه غير مسئولية الكفر واذا زال فلا فائدة له من عمله والذين اشركوا حبطت أعمالهم والعمدة فى ذلك كله على الايمان *

وَحَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِيهِمَا «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ (١) الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمَائَةِ ضِعْفٍ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ يَدَعُ طَعَامَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي» «لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ» «وَلَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ

---

(١) قوله: «كل عمل ابن ءادم يضاعف الخ» أى ان من فضل الله تعالى أن جعل الحسنة مضاعفة بمقادير معينة متفاوتة على حسب الاخلاص فى العبادة إلا الصوم فانه لله تعالى وذلك لانه أبعد الاعمال عن الرياء فيستطيع الانسان أن يظهر بمظهر المفطر وهو صائم حتى لا يستطيع أن يعرفه أحد، واذا دعى لاكل يحتج بعدم ملاءمته له أو يأتى من الاعذار الكثيرة بخلاف الصلاة فان رؤيتها ممكنة لجليسه وكذلك الزكاة لابد أن يعلم الآخذ وأما الحج فانه أشهر من نار على علم *

ولكن الصوم يمكن اخفاؤه على جلسائه فهو معهم من قبل الفجر ويزعم بأن نفسه لا تريد الأكل اذا ألحوا عليه الى أن يصير الغروب فلهذا قال فى الحديث القدسى: وأنا الذى أجزى به وجزاؤه عظيم بما يليق بكرمه العام وفضله الواسع وهذا شأن الكريم اذا أخبر أنه يتولى الجزاء بنفسه فانه يقضى أن الأجر عظيم جدا ولاسيما وقد استغنى الصائم عن الطعام والشراب تقربا الى ربه بما هو صفة لله وان تفاوتت ماهيتها لان صفات الله لا يشبهها شىء *

وقوله: للصائم فرحتان فرحة عند فطره وذلك يعود على النفس حيث أطلق من سراحها وابيح لها ما كان محظورا عليها، وفرحة عند لقاء ربه فينال جزاءاً غير محدود يليق بكرم الله تعالى *

وقوله: لخلوف فم الصائم الخ أى تغير فم الصائم لان الخلوف بضم

عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ» «الصَّوْمُ جُنَّةٌ الصَّوْمُ جُنَّةٌ» *

(٢٤) الاعْتِكَافُ لقوله تعالى (وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) (١) *

الخاء واللام معناه تغير رائحة الفم أكثر فواحا من رائحة المسك المندوبة في الجمع والاعياد وسائر المجتمعات الخيرية أى أن الصوم فضيلة لاتوازيه فضيلة لانه قد يكون سببا فى كثير من الاعمال لان الصوم قلنا يهذب النفس فاذا لم تكن النفس مهذبة فلا خير فى اجتماعاتنا بل قد تكون ضررا ووبالا على المجتمعين واداة للفساد يحركها الاعداء حسب اهوائهم ومنافعهم

ولما كان الصوم له هذا الفضل حسب المقصد والنتيجة فانه أفضل لانه مقصود لذاته ولغيره *

(١) قوله : الاعتكاف الاقامة فى مسجد بنية مخصوصة وانه من الشرائع القديمة بدليل الآية (ان طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود) ولم يبرح معمولا به الى زماننا هذا إلا انه أصبح اعز من الكبريت الاحمر لاتجد من يعمل به الا نادرا حتى الذين يظهرون بمظهر الصلاح والعبادة ويواظبون على السنن واحياء ما اندثر منها وقد لاتجد من يعرف هذا الاسم بين معظم العوام لانه صار مهجورا لا يألف اليه أحد *

قد يقولون : ان الناس يعيبوننا اذا تجردنا لعبادة ربنا ليت شعرى هل هذا الاوسوسة او تلبيس من إبليس كما يقوله العلامة الحافظ ابن الجوزى ؟ لانه اعترف بأن عيب الناس له أشد من عذاب الله أو أن التجنب عنه أكثر فائدة من ثواب الله عز وجل *

لقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله كما رواه البخارى عن أبى سعيد الخدرى: «لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه. قلنا: اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟» على طريق الاستفهام الانكارى أى ليس المراد غيرهم. ولاريب أن الجماعة الذين يتركون أحكام دينهم خشية من كلام أهل الكفر يخشون سيوفهم أكثر واشد وتصدق عليهم آية (اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية) ولايخجلون من قولهم : انا نستحى من الناس ولايستحيون من الله . (يستخفون من الناس ولايستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون مالا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم فى الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا) لو أنصف الرجل لعلم أن المعيب اما أن يكون كافرا وهذا لايكترث بقوله لانه لايريد منك الاسلام ايرضى منك عن احكامه (ولن ترضى عنك اليهود والنصارى حتي تتبع ملتهم) فان كنت تقصد بهذا مرضاتهم فقد تمسكت بأذيال المستحيل وخيال الأوهام وان كان مدعى الاسلام فاما أن يكون جاهلا للحكم فتعرفه به ويستقبله به ببشاشة وطمأنينة وان كان عالما ويزجرك عن ارتكاب المشروع لنفسك فانه زنديق مارق عدو للاسلام فى ثياب ابنائه فلا حكم له ولاعبرة به وان اذاعة امره بين المسلمين للاجتناب منه ومن دسائسه من اشد العقوبات له اذ انه يستغل الاسم فيتاجر به لاعداء الدين *

والاعتكاف حكم شرعى له فوائد جمة فقد قلنا ان للصوم فوائد ومنها قمع شهوة النفس فقد يجوز ان المرء يبقى فى وساوس مرتقبا الليل ليستفيد فى ترك نفسه ترتع فى الأكل والشرب والنكاح ولايجديها الصوم فائدة تامة فى الرجوع الى الأدب المطلوب منها فشرع الاعتكاف لتأديب نفوس

وَلِحَدِيثِ عَائِشَةَ فِي الصَّحِيحَيْنِ «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُ ثُمَّ اعْتَكَفَ أَزْوَاجُهُ مِنْ بَعْدِهِ» *(١)

الذين لم يتأثروا من الصوم اوان نفوسهم البهيمية وان ضعفت فهى لا تبرح قوية ، فالاعتكاف آخر العلاجات التى تزيل تلك الامراض، وفيه انصراف عن الخلق الى الحق ليعبد الله متجردا عن العلائق والعوائق ، فهو اذن مفيد لكل واحد من اى الطبقات كان لان فيها درءا لمفاسد النفس وجلبا للمنافع الدنيوية والاخروية والثواب ورضاء البارى تعالى ولذلك كان يواظب عليه رسول الله ﷺ ولا يتركه لما فيه من الفوائد والمنافع العظيمة *

(١) قوله كان يعتكف العشر الاواخر فيه إشارة الى أن الصيام يمرن النفس على ان تألف العبادة فلما مضى عليها عشرون يوما وعلمت ان ليس فى مقدورها إفساد المسلم صيامه رضخت واستكانت فيترقى بها الى أن يجمع عليها الليل والنهار وتتفرغ للعبادة بصورة جدية لأنها لو كلفت بهذا فى اول الأمر قد يأبى من كان ضعيف الرأى غير حازم اوان الشىء الثقيل قد لا يستطيع المرء تحمله لأول وهلة فيحصل عكس المطلوب ولان التكليف التدريجى يسوق النفس الى القبول مرغمة أولا ثم الاستلذاذ به حتى تتطلب زيادته لأن العبادة وان كانت فى اول الأمر ثقيلة وكبيرة الا على الخاشعين فهى فى آخر الأمر لذة ونشاة لا يريد تركها ، فكان اعتكاف الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله تعليما لنا كيف يجب ان نمرن نفوسنا على عمل الخير والرضوخ الى الحق . وكان

وَلِمَا رُوِىَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ «قَالَ : مَنِ اعْتَكَفَ فُوَاقَ نَاقَةٍ فَكَأَنَّمَا أَعْتَقَ نَسَمَةً او رَقَبَةً» * (١)

يداوم عليه صلى الله عليه وسلم فى كل عام لأن الأنسان لا يسوغ له ان يترك نفسه حسب هواها بعد ان جربها فطاوعته مرة أو مرتين بل عليه ان يتعهدها في كل عام على الأقل مرة لتيأس من الأمانى التى يوسوس بها الشيطان من احتمال تغلبها على الروح واليأس احدى الراحتين فيزول الخصام ويسود الوآم وهذا هو المطلوب *

(١) قوله فواق ناقة الخ الفواق بضم الفاء وهو الزمن الواقع بين الحلبتين ، وقوله فكأنما أعتق رقبة وذلك لأنه اعتق نفسه فى الاعتكاف من رق النفس والشيطان والهوى لأن هؤلآء يدعون إلى كراهة العبادة ويرغبون فى الانهماك فى شهوات البطن والفرج واللسان لأن جلوسه للعبادة فى المسجد المعد لذكر الله يمنعه من اطلاق لسانه فى غير مالا يعنيه مما لا يوافق الشريعة والوطء يحرم على المعتكف فلم يبق إلا الأكل وهذا فيه خلاف بين المذاهب فالحنفية يشترطون الصوم لتزول الوسائل كافة والشافعية لم يشترطوا ذلك وقالوا اذا منعنا لسانه وفرجه فاذا ملأ بطنه يكون وبالا عليه نعم السنة أن يصوم أى أنه يؤجر لا أن الاعتكاف لا يصح بدون الصيام واستدلوا على ذلك بحديث عمر رضى الله عنه «انى نذرت أن أعتكف ليلة فى الجاهلية فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أوف بنذرك» ولو كان الصوم شرطا فيه لم يجزه بالليل وحده اه مهذب *

فتامل كيف أن نذر الاعتكاف الواقع فى زمن الجاهلية وفترة الرسل يكلف الشارع الناذر بادائه والمسلمون الذين كان نبيهم عليه وعلى آله افضل الصلاة والسلام يلازمه لا يفعلونه ولا يهتمون به كأن الدين عبارة عما تجد النفس

﴿ ٢٥ ﴾ الحَجُّ لقَوْله تَعَالَى (وَلله عَلَى النَّاسِ حَجُّ البيتِ مَنْ اسْتَطَاعَ اَلَيه سَبِيلًا) وَقَوْله (وَأَذِّنْ فى النَّاسِ بالْحَجِّ يأتُوكَ رِجَالًا وعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يأتين مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيق) وَقَوْله (وَأَتِمُّوا الحَجَّ وَالعُمْرَةَ لله)

فيه لذتها والانكى من هذا أن الذى يزعم الانتصار لسنة فعلت مرة أومرتين ينادى بلزوم احيائها وإقامتها ولكن سنة داوم عليها الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم حتى توفاه الله تعالى تصبح مهجورة غريبة لا تجد من يتعهدها ولا من يلتفت اليها اللهم الا اذا كان على طريق الندرة والشذوذ فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم *

وقول المصنف رحمه الله تعالى : ولما روى الخ يشير الى ضعف الحديث لأنه اخرجه العقيلى فى الضعفاء من حديث أنس بن عبدالحميد عن هاشم بن عروة عن أبيه عن عائشة بلفظ «من رابط» بدل «من اعتكف» وانس هذا منكر الحديث، قاله الحافظ ابن حجر فى التلخيص *

الحج فى اللغة كما قال الخليل : كثرة القصد الى من يعظمه ، وقال ابن قتيبة : حج البيت مأخوذ من قولك حججت فلانا اذا عدت اليه مرة بعد مرة فقيل حج البيت لأن الناس ياتونه فى كل سنة ، وقيل لأن الناس يعودون الى البيت بعد التعريف يوم النحر ثم يعودون اليه لطواف الصدر، وقال الجوهرى : حج بنو فلان فلانا اذا اطالوا الاختلاف اليه قال هذا الاصل ثم تعورف استعماله فى القصد الى مكة للنسك اه ، ويقال حج يحج بضم الحاء و كسرها ورجل حاج وقوم حجاج وحجيج وحجج بضم الحاء كنازل ونزل ونسوة حواج غير مصروف، والحج بفتح الحاء

وكسرها المصدر وكذلك الاسم بفتح الحاء وكسرها المرة الواحدة من الحج والاكثر الكسر والقياس الفتح *

واما معناه فى عرف الشرع فهو قصد بيت الله الحرام لأداء عبادة مخصوصة بزمن مخصوص وهو احد عمد الأسلام واسسه التى بنى عليها فرض عين بالاجماع معلوم من الدين بالضرورة وهو الركن الأعظم الذى يدر على الأسلام والمسلمين الفوائد الجمة لأنه منتهى الأمور الاجتماعية فان الاجتماعات تبتدىء فى صلاة الجماعة بالصلوات الخمس ثم تصعد الى صلاة الجمعة حيث لا تكون إلا المساجد الكبيرة وفيها الخطبة الموضوعة لتذكير الناس عيوبهم المسببة لانحطاطهم ولتبيان ما يحتاجون اليه فقد تنتشر المضرة ولا يدرى العوام عنها شيئا حتى تحدث امراً عظيما وتنتج ضرراً كبيراً وتفهيم كل فرد على حدة شاق جداً ولكن الخطيب يستطيع ان يفهم الناس عنها فى مرة واحدة فتنتشر فى جهات المدينة وبعد الجمعة صلاة العيد حيث يجتمع القرويون واهل البلاد فيحصل التعارف والتآلف والتناصح والتوادد وفيها الخطبة المعدة لبيان حاجات الأمة من تنفير من مكروه او تشويق الى أمر مطلوب . *

ولكن مع الأسف ان اصبح سقوط الأخلاق فاشيا الى درجة يخجل الأنسان من التصريح بها ولا سيما فى البلدان الواقعة تحت الحماية او الانتداب فان الخطيب لا يكاد يتم خطبته الا وصورتها قد أصبحت منقولة بالحرف فى دوائر الاستخبارات والاستعلامات بل قد تنتشر فى الأزقة لا لأجل تعميم الفكرة ليت الأمر كذلك فان هذا حسن جداً وهو الغاية ولكن لأجل نقد الخطيب والتشنيع عليه وابلاغ ولاة الأمر بواسطة الاشاعة ان هذا رجل يخدم دينه وأمته فيجب اضراره والايقاع به وذلك بواسطة الطوائف المختلفة حتى أنهم يعلمون عن شؤننا أكثر من معظم اصحابنا وأما مايقع فى كنائس النصارى وفى بيع اليهود وفى

وَالْحَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَصَوْمِ رَمَضَانَ وَحَجِّ الْبَيْتِ » ☆

نوادى المبشرين فذلك لا وصول الى العلم به الا بصعوبة ولم نعهد مسيحيا اويهوديا أذاع للمسلمين عورات قسسهم وأحبارهم وكأن المسلمين ناقمون على الاسلام يريدون القضاء عليه بسرعة، أقول وهذا ليس فعل المسلم لأن المؤمن لا يفعل ذلك أصلا لان الانقياد الظاهر لاقيمة له وأنما الاصل على مايحويه الفؤاد من الاخلاص والايقان انماذكرناه لا يتجاوز المقاطعة الواحدة ولكن الاجتماع الاكبر هو الحج الذى يجتمع فيه كل المسلمين بواسطة ممثليهم فلا يمكن ان يوازيه تعارف اذ لو صرف الانسان المبالغ الطائلة وساح السنين العديدة لما قدر أن يدور هذه البلدان الكثيرة ولما استطاع أن يقف على نواياهم كما يعرب عنها ابن المحل الذى عاش فيه وخبره وذلك هو الهدف المقصود من الحج حيث يحصل التعارف ويكون معرضا اكبر للمسلمين يتشاكون ان كانوا فى ضيم فيوحدون المسعى ويجمعون الكلمة المتفرقة ويهيئون للعدو الاستعدادات التى تمنعه من دخول البلاد او تمزق شمله فى بلاد اذا حدثته نفسه باضرار المسلمين وما وجد فى مدينة يذيع بين المسلمين كافة من علم ورأى صائب وعمل نافع وصناعة مقبولة وفن مستحدث واتحاد جميل، وهذه هى المنافع التى اشار اليها قوله تعالى (ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله) فقد جعل فوائد الحج عبارة عن شهود المنافع وذكر الله تعالى وقدم شهود المنافع لأنه اقدم ولقوله صلى الله عليه وسلم كما رواه الدار قطنى عن جابر «ابدؤا بما بدأ الله به» ولأن ذكر الله المحض

وَحَدِيثُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ
عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ مَا الْاسْلَامُ؟
قَالَ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ وَأَنْ تُقِيمَ الصَّلَاةَ

لا زمن ولا مكان ولا صفة له قال تعالى «الذين يذكرون الله قياما وقعوداً وعلى جنوبهم» فاذن الغاية هى المنافع التى ذكرناها حيث تظهر فيها شوكة المسلمين باجتماع جنودهم وبيان قوتهم لان الحج لا يذهب اليه الا المستطيع الصحيح الوجود قال تعالى (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا) فالحج هو قوة المسلمين التى يركنون اليها والأمل القوى فى الوصول الى النجاح بسببه ، وهذا لا يخفى على اعداء المسلمين لذلك تجد الرؤساء المغتصبين والحاكمين البلاد بسيطرتهم الغاشمة واستبدادهم الفظيع يضعون العراقيل الثقيلة ويشددون على الأشخاص الذين يريدون اداء الحج لاسيما اذا كانوا ممن فقهوا الدين وعرفوا حكمة مشروعيته ولهم غيرة على دينهم وحب لأمتهم ، ولو ذكرنا جزئيات ذلك لبلغ البحث مجلدات ويدرى ذلك كل من تجرع غصص الامة ورأى الاهانات واختلاق الاسباب تارة باسم الضبط والانضباط ومرة باسم الصحة والمحافظة عليها واخرى باسم تحقيق الهوية وتطبيق الجواز الذى لا يتحصل عليه الا بشق الانفس وأخيرا يمنع الحاج من ركوب باخرة غير التى تخصصها له حكومته ولا حاجة لبحث أمر معلوم يعرفه الخاص والعام ✽

ورغما عن أن المسلمين اهملوا حكمة هذا الركن الاساسى للاسلام وأن أعداء الدين لا يخفى عليهم ذلك فان جيش الجواسيس الذى يحج لنقل الأخبار وتحرى ارباب العلم والنهى والدين لا يستهان بعدده وبما يختلقه

وَتُؤْتِىَ الزَّكَاةَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ وَتَعْتَمِرَ وَتَغْتَسِلَ مِنَ الْجَنَابَةِ وَتُتِمَّ الْوُضُوءَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ قَالَ فَإِنْ فَعَلْتُ هَذَا فَأَنَا مُسْلِمٌ قَالَ نَعَمْ قَالَ صَدَقْتَ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ ❊

من الافك وقول الزور والباطل مندفعاً بالحقد او الطمع ❊

نعم أن أعداء الدين يعلمون ذلك لأن الذين يدعون الزعامة فى العلم والرأى وأن لهم حقا فى السيادة قولا وعملا حجهم أورو باليتعلموا هناك الوسائل التى تورث محو الاسلام أو توجب انتشارفساد الاخلاق والعقائد الزائغة أوتقتضى تفريق كلمة المسلمين أو تغير مايأمر به الدين من الاتحاد والوفاق وحب الخير وعمله والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بحيث ينشرون انواع الدسائس وأصناف المكر والخداع وضروب الألحاد والسفاهة ❊

والانكى من هذا كله ذهابهم لاجل العلم والتحصيل فكأن العلم عبارة عما ذكرنا من النقائص والرذائل. انالله وانا اليه راجعون ❊

ان نصف المصاريف التى يبذلها المتزعمون لاوروبا بسخاء يكفى لأنشاء أكبر جامعة اسلامية تنشر العلم النافع ويحفظ الدين والاخلاق من الضياع ولكن هى النفوس الخبيثة لا تريد الا المغازلة والمعاقرة واطلاق السراح لشهواته التي يمنعها الدين من وجهه لهذا يعاديه ولا يذهب لاداء الحج الا اذا صار الحجاز والعياذ بالله تعالى مباحا لما يشتهيه ونعوذ بالله من هذا الامر الذى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ويرحم الله الشيخ الجنبيهى حيث يقول فى تأبينه الملاحدة المنشور بآخر كتابه أصدق النصائح ❊

وَرُوِىَ عَنْ أبى أُمَامَةَ البَاهِلىِّ «أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ قَالَ مَنْ لَمْ يَحْبِسْهُ مَرَضٌ أَوْ حَاجَةٌ ظَاهِرَةٌ أَوْ سُلْطَانٌ جَائِرٌ وَلَمْ يَحُجَّ فَلْيَمُتْ إنْ شَاءَ يَهُودِيًّا وَإنْ شَاءَ نَصْرَانِيًّا » (١)

سلوا الفقيد أطاف البيت محتسبا ... أم زار مسجد طه كالذى زاروا

كلا ولكنه كم زار عاصمة ... ترنو لزخرفها القينات أبصار

وهذا مرض فتاك كل من رأى البلاد الشرقية لا تزال ناقصة فى الفساد الذى نشرته بيننا الغرب رأسا وبالواسطة يجمع له نقودا ويذهب لاوربا ليرتع كالبهيمة فى شهواته ويدعى الزعامة فى العلم والوطنية اذ يقال تكلم مع الزعيم الفلانى وحضر فى المنزل الفلانى وتناول الشاى فى المقهى الكبير وحادثه صاحب الجريدة وكتب شيئا يطعن فى امته فحقت له الزعامة لانه لا يقدر عليها فى بلاده فهو يذهب ليشتريها ويقال عنه رجل مفكر حر صريح الرأى اذا كان آلة لبيع امته فى ثمن بخس بسوق كاسد هو اعطاؤه لقبا او السماح له بمقابلة احد العظماء او ارسال بطاقة تهنئة له . الا قاتل الله الجهل وعلى كل وان طال الزمان فالحق سيظهر واضحا الان حزب الله هم الغالبون ٭

(١) هذا الحديث ذكره ابن الجوزى في الموضوعات ، وقال العقيلى والدارقطنى لا يصح فيه شىء قال الحافظ العز بن جماعة فى كتابه ـ هداية السالك الى المذاهب الأربعة فى المناسك ـ : رواه الدارمى فى مسنده . والدارقطنى والبيهقى وقال ان اسناده وان كان غير قوى فله شاهد من قول عمر ولم يسمع منه وعن على رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله ولم يحج فلا عليه ان يموت يهوديا او نصرانيا وذلك ان الله تعالى يقول : (ولله على الناس

حج البيت من استطاع اليه سبيلا » رواه الترمذى باسناد ضعيف بين ضعفه، ولا التفات الى قول ابن الجوزى انه حديث موضوع فان الترمذى قال : ان كل حديث فى كتابه معمول به الا حديثين وليس هذا احدهما والله اعلم ، وقد حمل جماعة من العلماء الحديث على الزجر و التغليظ بمعنى ان فعله أشبه فعل اليهود والنصارى ، وقيل محمول على المستحل فيكون بذلك كافرا اه ، وقال الحافظ ابن حجر فى التلخيص بعد ما أورد له طرقا اربعة احدها موقوف كل منها لايخلو عن ضعف قلت : واذا انضم هذا الموقوف الى مرسل ابن سابط علم ان لهذا الحديث اصلا ومحمله على من استحل الترك وتبين بذلك خطأ من ادعى انه موضوع اه *

وقوله صلى الله عليه وسلم « فليمت إن شاء يهوديا و إن شاء نصرانيا » لأن ترك ركن من أركان الاسلام يشبه بالخروج عن الملة ، وإنما شبه تارك الحج باليهودى والنصرانى وتارك الصلاة بالمشرك لأن اليهود والنصارى يصلون ولا يحجون ومشركو العرب يحجون ولا يصلون *

(فائدة) الحج لايجب فى العمر إلا مرة واحدة ونقل ابن المنذر الاجماع على ذلك ، وفرض سنة ست من الهجرة ، وقيل سنة خمس ، وهل كان واجبا على الشرائع قبلنا أو هو مختص وجوبه بهذه الأمة ، حكى الامام نجم الدين ابو داود سليمان بن خليل الشافعى المكى فى مناسكه الكبرى وجهين وقال : إن الصحيح أنه لم يجب إلا على هذه الأمة وفى ذلك نظر وأهل الجاهلية قبل البعثة كانوا يحجون وكان الحج أصل دينهم ولكنهم خلطوا أعمالا ماهى مأثورة فى الحج عن ابراهيم عليه السلام وانما هى اختلاق منهم وفيها إشراك لغير الله كتعظيم إساف ونائلة صنمان وكالاهلال لمناة الطاغية . وكقولهم فى التلبية لاشريك لك إلاشريكا هو لك . وأعمالا انتحلوها فخرا وعجبا كقول حمس نحن قطان الله فلا

(٢٦) الجهاد لقوله تعالى (وجاهدوا فى الله حق جهاده (١)

نخرج من حرم الله . وكذكرهم آباءهم ايام منى وكاجتناب المحرم دخول البيوت من أبوابها وكانوا يتسورون من ظهورها . وكراهيتهم التجارة موسم الحج . واستحبابهم أن يحجوا بلا زاد ويقولوا نحن المتوكلون الى غير ذلك وقد نهى الشارع عنها كلها وجاء بما هو أيسر وأرفق بحال الناس والله أعلم ٭

(١) قوله الجهاد هو الدعوة الى الدين الحق والقتال مع من لا يقبله فهو آخر علاج يستعمله المرشد فى اصلاح المجتمع الذى طرأ عليه الفساد او اصابه الخلل كمثل المريض الذى أشرف على الهلاك ولم يرض باستعمال العلاج النافع بأنه يجبر على تجرعه قهراً عنه كى يصح ويزول الالم عنه فيبقى عضواً نافعا فى المجتمع الانسانى ولا يبرح شاكرا له نعمته عليه حين الشفاء بعد ان كان يكرهه فى قلبه وكذلك الجهاد فانما ابيح لوقوفهم فى سبيل نشر الدعوة الى الله فكان دفاعا عن حمى الاسلام الذى تعرض له الكفار مرات عديدة يريدون رفعه من عالم الوجود ولما رأوا انه قوة الهية وسطوة ربانية وقفوا قليلا واعدوا جموعهم ليفتكوا به فتكة لا تبقى للمسلمين باقية وهذا ما حدى الخلفاء الراشدون الى ارسال الجيوش متتابعة ويقبلون منهم الاسلام او انهم يؤدون الجزية ويعترفون بالطاعة فلا تحدثهم أنفسهم بالظلم والغدر ٭

فالجهاد امر لابد منه للامة تجاه العداء المستحكم حسب الاختلافات والحزازات رغم ما يدعون ان العصر الحاضر يتطلب الاخوة والمساواة مع ان الاخوة والمساواة نغمة لخداع الشعوب الضعيفة وقائلها لا تتجاوز حنجرته ، من المعلوم ان الاسلام يدعو الى الاتحاد والمساواة فجعل الذمى

كالمسلم فى الاحكام يقتل به لحديث «لهم مالنا وعليهم ماعلينا » ولما اهملوا امر الجهاد ولم ينظروا لامر العدو ولم يرقبوه فكانت النتيجة مانراه اليوم من جعل الاسلام بل الشرق باسره تحت حكم الغرب اوطوع اشارته يفعل فيه مايشاء ويريد، وماأمر مصر. وسورية. وفلسطين والعراق ببعيد، ان قتل النفوس امر عظيم ولكن اصلاح المجتمع امر اعظم منه وأهم فكما ان الطبيب الحاذق لايتأخر عن قطع عضو فاسد يخشى منه سريان المرض الى بقية الجسم فيسبب موته كذلك الجهاد اذا كان سببا فى موت اناس فهو يسبب حياة آخرين حياة سعيدة. وعلى الأقل يحتفظ فى إصلاح الأطفال وتربيتهم تربية تعود عليهم بالنفع الجزيل.

هذا فى الجهاد البدنى للكفار وبقى للمسلمين جهاد ايضا على مراتب ثلاثة وهى إزالة المنكرات بالبدن ثم بالقول ثم بالقلب بأن يكره صاحبها ويوجد جهاد كبير وهو إصلاح النفس فان هذا أهم الجهاد لان الجيش الذى يتشكل من نفوس غير صالحة كيف يرجى منه الاصلاح ؟ لاريب انه يظهر عند المقدرة ماتنطوى عليه نفسه الخبيثة من المنكرات.

فاذن أعظم الجهاد إصلاح النفس وتربيتها على الفضائل والمزايا الكاملة واجتناب كل فعل قبيح ، وهذا الجهاد هو الذى يعوز المسلمين اليوم فقد يتحرون وسائل كثيرة للاصلاح ولا يمكن أن تتم مادام من يقوم به غير صالح لان الماء القذر لايزيل القاذورات بل اذا كانت النجاسة لم تصب بعض المحلات يكملها هو بالتلويث والافساد فلا يمكن نجاح أمر إلا بمجاهدة النفس وتعويدها على اجتناب المحرم والمكروه واتباع المفروض والمستحب.

يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً)(١)(يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ) * (٢)

---

(١) قوله وليجدوا فيكم غلظة وذلك ليعلموا أن لكم بأساشديدا وأن عندكم قوى عظيمة لاتبالون بهم ولا بجموعهم . ولأن الرفق بالعدو تسليم النفس له يفعل فيها مايريد ماعدا انه يطمعه ويجعل قواه المعنوية تزداد فيدوم الحرب بخلاف ما اذا رأى خلاف ذلك فانه يوهن عزمه فيضطر الى التسليم وإلقاء السلاح وهذا هو المطلوب .

(٢) قوله حرض المؤمنين على القتال أى حثهم على القتال بكثرة التزيين وتسهيل الخطب فيه حتى كأنه الاصل حتى لاينفروا منه وكان هذا رخصة نعمة تجاه ما لاقوا من الكفار من العذاب المتنوع والاضطهاد المختلق بسبب تمسكهم فى دينهم ثم لما انتشر الاسلام أبيحت محاربة الذين يقفون فى سبيل الدعوة الاسلامية وأما الذين لم يعارضوا الاسلام فأولئك يقال لهم لكم دينكم ولى دين ماداموا لايضمرون للمسلمين عداء . ولاسوءاو إلا فان دين الاسلام هو دين الهداية والارشاد لايجبر الناس على تعاليمه التى يقبلها العقل السليم ويستريح لها فؤاد المدرك الاديب قال تعالى (لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لاانفصام لها والله سميع عليم)

ان دين الاسلام أباح محاربة الذين لايرضون مقارعة الحجة بالحجة ولا يفهمون الدليل ولا يصغون الى البرهان الواضح بل يريدون بقوتهم وسفاهتهم أن يزيلوا الاسلام أو ينالوا منه نيلا وهؤلاء جوزوا من جنس عملهم لانهم لافائدة فى إصلاحهم إلا بالقوة لبعدهم عن المعقول والتعقل

وَلِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي الصَّحِيحَيْنِ سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ قَالَ الايمَانُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَقِيلَ ثُمَّ مَاذَا قَالَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ قِيلَ ثُمَّ مَاذَا قَالَ حَجٌّ مَبْرُورٌ * (١)

دين الاسلام ليس دين الحرب . وإنما هو دين الهداية والحرب آلة من الآلات التى لا تستعمل إلا عند الضرورة بشهادة أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله لما قهر قريشا عدة مرات ويوم الحديبية بايعه اصحابه على الموت وطلبت قريش الصلح على أن يعود من حيث أتى ويعتمر فى العام القادم فرضى بالصلح واعتمر عمرة القضاء بعد أن كان من النصر وغلبة قريش على قاب قوسين أو أدنى فهل بعد هذا يشك أحد بأن الاسلام يريد الحرب إلا لكونه غير مقصود لذاته .

وأشبه بهذا ما فعله الملك ابن السعود حين حارب الامام يحى ملك اليمن واستولى على الحديبية وكان النصر حليفه فطلب الامام يحى من الملك ابن السعود الصلح فأجابه بدون شرط ولا قيد حقنا لدماء المسلمين وحرصا على السلم *

التاريخ شاهد بأن الدين الاسلامى لم ينتشر الا من طريق الهداية والارشاد لان الانصار لما أسلموا كان المسلمون مستضعفين لا حول لهم ولا طول وكان معظمهم يتحمل أنواع العذاب من ضرب وجرح وحبس واصطلاء بالرمضاء فى حين أن الاسلام ينتشر بسرعة هائلة فى ربوع المدينة بين الاوس والخزرج أنصار الدين وحماته . نعم ينتشر بسرعة فان بنى عبد الأشهل سادات عشيرة الاوس أسلموا فى يوم واحد ولم يكن فى المدينة الا مصعب بن عمير يعلمهم التوحيد والقرآن والاحكام الالهية

(١) قوله أى الاعمال أفضل؟ قال الايمان بالله تعالى ورسوله لانه

وَحَدِيث عَبْد اللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِي

لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَسَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا وَاعْلَمُوا

أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ * (١)

لايصح بدونه عمل أصلا قال تعالى (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) ورواية ورسوله موجودة فى صحيح مسلم وهى رواية محمد بن جعفر وقوله ثم الجهاد فى سبيل الله وهو يشمل القتال لاجل الدعوة الدينية وقتال النفس لجلبها الى المنهج السوى والصراط المستقيم فيشمل أنواع العبادات من صلاة وصوم وزكاة لان فيها من المجاهدة مما لايحتاج الى اقامة برهان لوضوحه وظهوره وقوله «حج مبرور» هو الذى لم يخالطه شىء من المآثم وخص الحج لما فيه من مشقة التعب وبذل المال للنفقات ومشقة الفراق التى هى أصعب أنواع الآلام النفسانية حتى قيل فيها .

لولا مفارقة الاحباب ماوجدت ... لها المنايا الى أرواحنا سبلا

(١) قوله «لاتتمنو القاء العدو» برهان واضح على صحة ماقلناه من أن دين الاسلام دين الفطرة وأنه لم يقبل الحرب الا للضروره فمن قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يتبين للمنصف أن الحرب الذى أجازته الشريعة الاسلامية عبارة عن عملية جراحية يحتاج اليها لشفاء المريض أشفق الاطباء وأرحمهم به اذ يعملها لاخيه وابنه وأعز الناس لديه وقد يختارها لنفسه فاذن هى ضرورة والضرورة تقدر بقدرها وقوله «فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف» أى حيث يرجحون الحياة الباقية على الحياة الفانية ويعلمون أن الموت أمر لابد منه ولا من تجرع كأسه

فلا الحرب يقصر الاجل ولا الجبن يبعده (أينما تكونوا يدركم الموت
ولو كنتم فى بروج مشيدة) فالجنة تحت ظلال السيوف نظرا لعظم
المبذول لان الانسان لايملك شيئا فى الحياة أعظم وأعز وأكرم وأغلى
من الحياة فاذا بذل نفسه مرضاة لربه فأصبحت الجنة قريبة اليه أقرب من
كل شيء ما بينه وبينها إلا الموت لانها تحت ظلال السيوف إن مات و محفوظة
له ان عاش ويبقى سعيدا فى دنياه وأخراه .

ولا يخفى أن الجهاد كما أنه من الايمان فتعلم وسائله من الايمان قطعا
لان مالايتم الواجب الا به فهو واجب فيفترض معرفة كل أسباب الحرب
والآلات المستعملة فيه لان من يحارب ولا يتقن الحرب لافائدة فيه
مقصودة للامة اذ قد يكون ضررا ووبالا عليها بخلاف مالو أجاد الرماية
وعرف فنون الحرب وأساليبه وعلم مراوغات الاعداء وكيفية الخداع
وطرق الرماية وصورة تعبئة الجيش والتمرن على الطيران . والوقاية من
الغازات الخانقة والسامة وغير ذلك من الآلات المهلكة الحديثة فان القوة
الصغيرة تستطيع مقاومة القوة الكبيرة اذا كانت غير منظمة لان عدم
الانتظام سبب قوى فى الفشل والخذلان .

ومن دسائس الاعداء تنفيرهم المسلمين من الجندية واراءتهم اياها
بالشكل المكروه المنفر والا فان الامة التى تعرف قدرها ولها أمل فى
تقدمها ورقيها ونيل استقلالها ومضاهاتها لدول العالم القوية الراقية تقبل
بكل سرور على الجندية والفرد الذى لايدخلها لمعذرة مشروعة يعد نفسه
حقيرا ناقصا أو عضوا أشل فى جسم الامة ويجب أن يرى ذلك اليوم
يوم خلاصه من القرعة يوم حزن وأسف ويوم مصيبة وشقاء حيث يقوى
العدو بنقصان شخص منا يقف تجاهه يوم تشتعل نار الحرب لا نا أصبحنا
فى عصر الحرب فيه يكون بالعلم فقد يجوز أن شخصا واحدا اختصاصيا

﴿٢٧﴾ المُرَابَطَةُ فى سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لقوله تعالى (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ) (١)

وَلِحَدِيثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِىِّ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ فى صَحِيحِ البُخَارِى رِبَاطُ يَوْمٍ فِى سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَافِيهَا وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا (٢) *

بشئون الحرب وعنده استعدادات يمنع وحده كأعظم الحصون من أعظم جيش لان الآلات أصبحت مهيئة منظمة اذا انطلقت رصاصات الرشاش واشتعلت نيران الآلات الجهنمية التى يديرها شخص أو أشخاص قليلة تعتقد ان أمامك كتائب عديدة او جحفل جرار ، ولا يخفى عليك ماصنعت ايطاليا بالحبشة واتفاق كثير من الدول ضدها ومقاطعتها الاان ذلك كله لم يؤثر عليها لكثرة استعدادها وما لديها من الآلات المهلكة بسرعة ولذلك فما اغنت النذر والخلاصة اذا وجب الجهاد تجب معرفة مايحتاج اليه وتعيين المقدار الذى يكفى الامة يختلف باختلاف الزمان والمكان *

(١) قوله المرابطة وهى ملازمة التخوم للوقوف فى نحو العدو وحفظ ثغور الاسلام من ان تدخلها الاعداء وصيانتها من ان تمس بأذى او تعد

(٢) قوله رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا ومافيها لان الدنيا زائلة لا تبقى ولا تدوم فلو ان انسانا ملك جميع الدنيا وتصرف متلذذاً بنعيمها فانه ان لم يحصل منه وبال فلاخير فيه أصلا والا فان الدنيا مزرعة الآخرة وهى المقدمة التى نتيجتها الآخرة وعليها المدار فى الحساب والعقاب والثواب بل فى الجنة نفسها فانها وان كان دخولها بفضل الله فان اقتسامها بحسب الأعمال *

فكل ما ذكر من الدنيا فهو محمول على نعيمها الزائل ولذتها الفانية فالاجر الذى يحصل من رباط يوم خير من الدنيا وما فيها بلاشك ولا شبهة لانه دائم باق عمل لوجه الله تعالى والاعمال تشرف بحسب من تعمل له والمراد من اليوم الزمن القصير فان المرابطة قد تكون ساعة واحدة فان الوقوف فى وجه العدو ساعة واحدة تحت خطر هجومه أمر عظيم وبحسب عظمه يحصل الاجر والثواب. وقوله « وموضع سوط أحدكم » اختار ذكر السوط لأنه أقل آلات الجهاد ومع كونه تافها له هذه القيمة الزائدة وفيه اشارة الى أنه ينبغى أن يكون الانسان على استعداد من انواع السلاح حتى السوط اذ قد يحتاج اليه لسوق دابة مثلا فى ساعة عسر فانه وان كان حقيرا لا يقوم السيف مقامه وفى هذا تعليم لنا بلزوم تهيئة الادوات التى يحتاج اليها المحارب وأدناها السوط الذى هو خير من الدنيا وما عليها، وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى قطعة من الحديث وتمامه « والروحة يروحها العبد فى سبيل الله او الغدوة خير من الدنيا وما عليها »

فالروحة هى السير فيما بين الزوال الى الليل والغدوة السير من أول النهار الى الزوال اى ان السير الى الحرب سواء كان قليلا أو كثيرا لا يوازى أجره شيئا لأنه الحافظ لكيان الاسلام والسبب الذى يتوطد به الامن وتستقر السكينة ويستتب النظام ويعيش الناس فى سعة ورغد حيث تزول القلاقل ويستريح الناس من خوف مهاجمة العدو وتنكيله لا سمح الله لاسيما اذا استولى محتلا شأن الغالب الظالم الغشوم، وفائدة العدول عن قوله « وما فيها » الى قوله «وما عليها» هو ان معنى الاستعلاء اعم من الظرفية وأقوى فقصده زيادة المبالغة ٭

وَالْمُرَابَطَةُ تُنْزَلُ مِنَ الْجِهَادِ وَالْقِتَالِ مَنْزِلَةَ الاعْتِكَافِ فِى الْمَسَاجِدِ مِنَ الصَّلٰوةِ ، لِأَنَّ الْمُرَابِطَ يُقِيمُ فِى وَجْهِ الْعَدُوِّ مِثْلَ قِيَامِهِ مُتَأَهِّباً مُسْتَعِدًّا لَهُ (١) *

---

(١) قوله « والمرابطة تنزل من الجهاد منزلة الاعتكاف » ذلك لأن المعتكف يكون على استعداد للعبادة فلا يدخل وقت الصلاة الا وهو غالبا على استعداد لها فكذلك المرابط لا يبرح مستعدا لمناضلة العدو أو هجومه على غرة فهو عبارة عن الجهاد وزيادة حيث أن المجاهد يرقب عدوه عن كثب فيستعد له أما المرابط فانه لا يدرى متى يرى العدو غفلة فيطبق بجموعه للتنكيل بالمسلمين وايذائهم والغاية بحسب النتيجة ففائدة المرابط اعظم لأنها دائمة والجهاد موقت وافضل الاعمال أدومها والمرابط اذا اغفل وظيفته وأهمل التعاليم الذى القيت اليه فان الامة تذهب كل قواها اذ لو حشد العدو جموعه وساقها دفعة واحدة والمسلمون على غير استعداد أما تكون النتيجة الخراب والدمار ومن درس التاريخ يجد معظم الوقائع المهمة كانت من هجوم العدو وخصمه غير مستعد فلولا تفريق قوى بغداد ايام المستعصم بواسطة ابن العلقمى وهجوم هلاكو على البلاد وهى على غير استعداد وانتظام للحرب لما حصلت تلك الكارثة التى اضاعت مجد الاسلام منذ تلك الساعة التعيسة الرهيبة المؤلمة ، وكذلك طرابلس حينما هاجمها الطليان على غرة من أهلها وهم فى غفلة من مهاجمة العدو وغير استعداد برا وبحرا فكان ما كان *

اعتماد الامة عامة والجيوش المحاربة خاصة على المرابطين حتى أن الحرب اذا اندلعت ألسنة نيرانها فالعدو الماحل لا تبرح عينه على المرابطين كما وقع فى غزوة احد فان الصحابة بينما كانوا غالبين وكان المرابطون للجيش يحرسونه من هجوم العدو من جهة الجبل خمسين راميا والامير عليهم عبد الله بن

(٢٨) الثَّبَاتُ لِلْعُدُوِّ وَتَرْكُ الفِرَارِ مِنَ الزَّحْف لقوله تعالى

جبير قال له انضح عنا الخيل بالنبل لا يأتونا من خلفنا واثبت مكانك ان كانت لنا أو علينا وفى رواية ان رأيتمونا تتخطفنا الطير فلا تبرحوا حتى أرسل اليكم وإن رأيتمونا ظهرنا على القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل اليكم وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا وهذا هو المرابطة بعينها فلما رأوا الغلبة للمسلمين تركوا مواقعهم ظنا منهم أن الحرب قد وضعت أوزارها فعاد فريق من قريش من المحل الذى لا أحد مرابط به الا الامير وأفراد قلائل ذبحوا فانكسرت المسلمين وانقلب الظفر عليهم بعد أن كان لهم *

من هذه الحادثة يتبين لك مزية المرابطة فى الحرب وفى السلم وأنها الجهاد وزيادة لأنها كافلة فى الحالتين للامان والظفر *

قوله «الثبات للعدو» أى حين اللقاء بأن لا يهاب هجماته ولا يكترث بوثباته وليعلم المؤمن أنه على حق من ربه وان وعد الله حق وكان حقا علينا نصر المؤمنين وان الله لا يخلف الميعاد . وهذه الوعود اذا آمن بها الانسان عن اعتقاد ويقين جازم يعلم بأن مصيره الى النجاح والتوفيق لا محالة فاذا ثبت فقد حقق ما كان يعتقده مما وعد الله به فى كتابه وعلى لسان رسوله . ولأن عدم الثبات يترشح منه أن الخصم على حقية من عمله وان الكافر على باطله أثبت عقيدة من المؤمن على حقه لأن الخطر محدق بالجانبين فمتى لم يثبت شهد عليه عمله أنه كان كاذبا فى دعوى الايمان ووقوع الموت وأن الآجال مقدرة حيث اختار الحياة الموقتة وافسح للكافر ان يستولى عليه ويتصرف فيه كما يشاء ويزيد على الحياة الفانية جعل دينه لا يساوى عيشا سافلا تحت ضغط الخصم وسلطة العدو ورحمة من يرى سفك دم المسلم شرفا له وفخرا *

وقوله « وترك الفرار يوم الزحف » بالواو وفى نسخة « بأو »
وهى على معنى الواو اى ان من الايمان ترك الفرار لما ينتجه الفرار من
انواع المضرات التى لا يستطيع القلم ان يفصح عنها وانما يدركها ذوقا من
عاش تحت سلطة الاجانب باسم حماية أو وصاية غير آمن على عرضه
ولا على دينه ولا على ماله ولا على حياته وانما هو حيوان مسخر للاستفادة
تحت ستار قوانين اوجدها الاستعمار واختلقتها اذهان المستعمرين *

والاغرب أن المسلمين الى الآن لم يفيقوا من غفلاتهم ولم يتنبهوا
لما أحاط بهم منتظرين المعونة بدون ان يقوموا بعمل وسهل لهم ذلك
احاديث المهدى الذى لا يكلمك احد الا وهو ينتظر المهدى وانه يحرره
بسيفه من الاستعباد ، مهلا ياقوم ان المهدى لو ظهر بزمانكم فهل يحارب
وحده ام يتطلب جنودا منكم ؟ فاذن انتم على كلا الحالتين مكلفون
بالثبات فى الحرب قبل ظهور المهدى وبعده وعليكم بالوقوف فى وجه
العدو وتأمير احدكم عليكم ممن ترضون دينه وجرب فى الثبات وعدم
الفرار من العدو حساً ومعنى وعرف بالاخلاص للاسلام والشفقة على
المسلمين غيور على مصلحة الدين قائم باحكامه عملا *

الثبات مطلوب امام العدو لا فى الحرب وحده بل هو مطلوب فى كل
الامور لأن المحاربة قد تكون بغير السيوف اشد فتكا واعظم اثرا واعمق
جرحا واكثر اتلافا واضرارا لقد علمنا التاريخ انه ما فتح فاتح بلدة
الا وكان قد هيأ قلوبا يسكنها مع جنوده وعند دخوله وجد صدورا رحبة
لاستقباله واقامة الحفلات والمهرجانات تشجيعا له وتحسينا لعمله
من الذين يبيعون دينهم ووطنهم وقومهم لشهوات انفسهم قاتلهم الله انى
يتوبون والى الله يرجعون ولدينهم ووطنهم يخدمون *

الحرب يكون باعتماد الامة على ايجاد ماتتقوت به وما تلبسه بواسطتها
ومقاطعة كل ما يأتى به العدو غير الضرورى الذى يستعمل ضده فى الحرب

(إذا لقيتم فئة فاثبتوا) ، (إذا لقيتم (١) الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفاً لقتال أو متحيزاً الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) * (يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين) الآيتين *

والمخاصمه لأن فاتح البلاد فى عصرنا الحاضر معظم هدفه ترويج التجارة والاستفادة من الزراعة ان كانت الارض زراعية فلو قوطعت التجارة هل يكون مكسب الفاتح الا ضياع الاموال والتعب؟ وهل لو وحد الناس صفوفهم ولم يراجعوا العدو فيما يحدث بينهم من المشاكل ؟ ماذا تكون فائدته سوى اضاعة الاموال الطائلة التى يصرفها على جنوده المرابطين خشية الانقضاض عليه والاشتفاء منه وتحرير البلاد من ظلمه واستبداده؟ أذن ان البلاد لم يفتحها عدو وانما فتحها أهلها المذبذبون وسلموها الأخصامهم فهلا يفيقون من سكرتهم ويندمون على فعلتهم ويتلافون جناياتهم باستعمال عكس الطرق التى كانوا استعملوها تمهيدا لفتح العدو البلاد *

(١) قوله «اذا لقيتم فئة» اى جماعة من العدو فى الحروب المادية والمعنوية فاثبتوا تجاههم واجروا طاعة الله تعالى تنالوا الاجر وتحوزوا النصر الذى لا يتفق الا مع الثبات *

نعم ان الثبات مقرون بالنصر لأن سنة الله فى خلقه أن لا يحصل توازن العالم وحركاتهم الا بالاختلاف فما معنى الثبات الاحب لقاء العدو فلم يبق للخصم الا الهرب وكراهية الحرب فيصبح مغلوبا على أمره لأن المسلمين

وَلحَدِيث عَبْد الله بن أبي أوْفَى رَضِيَ اللهُ عَنْهمَا في صَحِيح البُخَارِيِّ «لا تتمنَّوا لقاءَ العدوِّ وسَلُوا اللهَ العافيةَ فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أنَّ الجنَّةَ تحتَ ظِلالِ السُّيوف»

لم يكن ليصيبهم ما حل بهم الا لكراهيتهم الموت وعدم رغبتهم فى الحرب وان وقع فلا يسمعون لقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا) وقوله «اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار» فى هذه الحالة التى هى اشق أوقات الحرب واصعب ساعاته يجفل منها الفؤاد ولا يكاد يثبت الانسان على حالة محافظا على طبعه واعتداله حيث يكثر فيها الموت وتتقادم القوى ويختلط الحابل بالنابل ويضيق المجال على الشجاع ولا تتسع الارض للجبان فينبغى أن تصبروا وتثقوا بوعد ربكم وتعلموا أن الموت حق وأنه فى ساحة الحرب من اشرف مايكون لما يصدر عنه من الشهادة والحياة التى يرزق فيها من عند الله تعالى واعلموا أن ترك الموطن الحربى يكون سببا لخذلان الجيش وانكساره فلا يجوز أن يولى الانسان دبره لأنه يفتح مجالا للعدو كى يغلب ويتغلب ويكون قد أعطى ظهره غرضا لسهام الاعداء وموقعا لضرب السيوف حسبما يختارون اللهم الا ان يكون متحرفا لقتال غايته أن يفتك بهم فان هذا لا اثم فيه اذ يجوز أن يتمكن من قهر العدو بقتل عميد القوم أو من يؤثر فى نفسية الجنود من الشجعان المعدودين أو يكون متحيزا الى فئة رآها غلبت على أمرها فيتصل بهم ليرد ويخفف عنهم كوارث الهجمات لأنه يجوز أن يغتنم العدو فرصة الاشتغال بالحرب فيوجه قوته على جناح من الجبهة او فريق مخصوص ليقضى عليه فيوهن عزيمة المسلمين فمن رأى مثل ذلك

﴿ ٢٩ ﴾ أَدَاءُ الْخُمُسِ مِنَ الْمَغْنَمِ الَى الامَامِ أَوْ عَامِلِهِ عَلَى الْغَانِمِينَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ انْ كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللهِ وَمَا أَنْزَلْنَا) الآيَةَ * وَقَوْلِهِ (وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (١)*

فله ان يتحيز اليهم ما لم يكن مأمورا بالوقوف فى محل معين لأن للقائد نظرا عاليا وخبرة وتجربة قد يعجز عن فهمها الجنود كحادثة احد والرماة التى ذكرناها فمن فعل هذا فلا جناح عليه ومن لم يقصد ما ذكرنا فقد باء بغضب لا يخرج منه أصلا ومأواه جهنم لأنها تليق به ويستحقها لما أورث المسلمين من مصيبة الانكسار وعار الذلة وان جهنم بئس المصير لأنها محل من غضب الله تعالى عليه بمخالفة مأموراته وقوله لا تمنوا الخ تقدم شرحه قريبا ص ٧٨ فارجع اليه *

(١) قوله «اداء الخمس» اى ان يؤدى المجاهدون خمس مايغنمونه الى بيت المال لأنهم لا يستحقون الاربعة اخماس وذلك لأن الحرب تحتاج فى حالتى الحرب والسلم الى أموال لا يمكن تأديتها ودفع الاحتياج الا بواسطة هذا الخمس فهو القوة التى ترتكز عليها معظم الاعمال النافعة وفيها حفظ الامن لانه لولا الخمس لاضطرت الحكومة الى أخذ أموال الناس بالطرق التى لا ترضى بها الشريعة كما هو فعل حكومات عصرنا الحاضر فلو ان الخمس يبقى محفوظا للمهمات لكان دافعا لكثير من المظالم التي يسببها عجز ميزانية الحكومة فتضع رسوما مجحفة وانظمة تئن منها الامة فتكثر الشكوى

وَلحديث ابن عَبَّاس رَضى الله عنهما فى الصَّحيحَين عَن وفد عبد القيس، آمرُكم بِأَربَعٍ وأنهَاكم عن أربعٍ ؛ آمرُكُم بالايمَان بالله وحده، اتدرون ما الايمان بالله وحده ؟ قالوا الله ورسوله اعلم . قال شهادة أَن لَا إله إلا الله وان محمداً رسول الله واقام الصلوة وايتاء الزكاة وَصيام رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس وأنهاكم عن الحنتم والدباء وَالنَقير وَالمزفت قال احفظوهن وأخبروا بهن من وراءكم (١) *

ويتفاقم الامر فيشتد الخصام بين الامة وبين الحكومة لكن لو وجد الخمس محبوسا فى بيت المال لكان وجود ذلك نادرا ودافعا من وقوع ذلك * وقوله «وما كان لنبى أن يغل» يقال غل فى المغنم يغل فهو غال وهو أن يأخذ من الغنائم ما لا يستحقه بان يتناول شيئا قبل القسمة فهذا ما دام لا يجوز لنبى فغيره بطريق الاولى وفى هذا من الزجر الادبى ما يمنع الناس من الغلول بقطع النظر عن أن الخيانة لا تجوز مطلقا فكيف بالخيانة فى حالة الحرب أو بعد الحرب مع أنه ينبغى له شكر الاله على ابقائه سعيدا غازيا لا ان يلوث شرفه بعرض يسير تافه لا قيمة له بعد أن نال اجر الجهاد الذى لا يعادله اجر فى العظم

«١» قوله الحنتم هى جرار مدهونة أخضر او احمر اعناقها على جنوبها او الجرار المتخذة من طين تعجن بالدم والشعر وقيل الحنتم ما طلى من الفخار بالزجاج وقوله الدباء اراد به القرع اليابس المتخذ أوعية *

وقوله النقير هو جذع ينقر فى وسطه يكون وعاء واما المزفت فهو الوعاء المطلى بالقار، ومعنى النهى فى هذه الاربعة انه نهى عن الانتباذ بها

وذلك بان يوضع فيها مع الماء تمرات او زبيب ليحلو ويشرب، وحكمة تخصيص المنع بها انها يسرع اليها الفساد فيتخمر الموضوع فيها بسرعة ويصير نجساً حراما يستحق الاراقة وفيه اضاعة مال وقد يجوز ان يشربه بعد اسكاره وهو غير عالم باسكاره وانما لم يمنع الانتباذ فى اسقية جلود الحيوانات لأنها لا يخفى فيها المسكر وكثيرا ما يشقها لرقتها ولا تفهم ان معناه حل النبيذ المتعارف الآن فانه خمر حرام بنص القرآن وما سماه نبيذا فهو انه لا يبرح حلوا ومتى وجد فيه اللذع أصبح مسكرا وكل ما اسكر كثيره فقليله حرام، وهذا النهى منسوخ بالحديث الذى رواه مسلم فى صحيحه عن بريدة «ان رسول الله ﷺ قال كنت نهيتكم عن الانتباذ الا فى الاسقية فانتبذوا فى كل وعاء ولا تشربوا مسكرا» اه وهذا مذهب جمهور العلماء وكره قوم الانتباذ فيها منهم الامام مالك والامام احمد واسحق ابن راهويه وهو مروى عن ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم وذكر هذا الحديث تكملة للاستدلال على ان من الايمان أن يعطى المسلمون الخمس من المغانم لبيت المال *

وهذا الحديث مما عده جماعة من العلماء مشكلا - كما قال الامام محيى الدين النووى رحمه الله تعالى - من حيث أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال «امركم باربع» والمذكور هنا خمس وليس هذا اشكالا عند من نظر بتحقيق وقد اختلفوا فى الجواب عنه فالصحيح ما قاله الامام أبو الحسن بن بطال وغيره قالوا امرهم بالاربع التى وعدهم ثم زادهم خامسة وهى اداء الخمس لأنهم كانوا مجاورين كفار مضر وكانوا أهل جهاد ويكون « وان تعطوا من المغنم الخمس » معطوفا على اربع أى أمرهم باربع وبان يعطوا، وقيل: فيه غير ذلك، وإنما لم يذكر الحج لأنه لم يكن فرض بعد وما وقع فى بعض النسخ من ذكر الحج فانه سهو أو زلة قلم تنبه لذلك والله يتولانا جميعا بمنه وكرمه *

﴿٣٠﴾ العتق بوجه التقرب الى الله عز وجل به لقوله تعالى: (فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة) ۞ وحديث أبي هريرة رضى الله عنه فى الصحيحين «من أعتق رقبة أعتق الله بكل عضو منها عضوا من أعضائه من النار حتى فرجه بفرجه» (١) ۞

---

(١) قوله «العتق» هو قوة حكمية يصير بها الرقيق اهلا للتصرفات الشرعية فلأجل القربة من الله تعالى هو افضل الاعمال لأن الافضلية بحسب ماينجم عنها ولاشيء اعظم على المرء منة من هبة حياته له ومنحه حرية كان قد فقدها او افقده اسلافه اياها فالعتق مطلوب الشريعة لأن فيه المساواة بين افراد البشر ولم تجوز الشريعة الرق الا الضرورة والضرورة تقدر بقدرها ولذلك حث على العتق حتى جعل عقبات جهنم لا يستطيع العبور عليها من لم يعتق نسمة وكان فى مقدوره ذلك والا فان الله لا يكلف نفسا الا وسعها وجعل كلا من كفارة قتل الخطأ وكفارة الظهار وكفارة اليمين عتق رقبة فاذن ان الرق عبارة عن دور موقت متى انتهى لزومه ينبغى أن يزال ۞

نعم انه موقت لأن الرق اجيز على المحاربين الذين وقفوا فى وجه الاسلام وحاربوا لأجل قمع الدعوة الدينية فجعل الشارع السلطة على الارقاء بيد الامير كما يشاء فاما القتل واما الرق واما الفداء . ولا ينفعه اسلامه من الرق بل يخلصه من القتل فقط لأنه يحتمل أن يكون كاذبا يريد غش المسلمين فيبقى رقيقا حتى إذا ظهر صلاحه وتبين صدق اسلامه فان سيده بطبيعة الحال وحسب الشفقة والحنان الاسلاميين يعتقه واحتمال الصدق كان سبب نجاته من القتل ۞

وإنما سرى الرق الى نسله من بعده لأن المرء اذا علم انه اذا وقع أسيرا تبقى العبودية والرق فى عنقه وعنق اولاده من بعده تخور قواه ولا يستطيع مصادمة الاسلام ومحاربة المسلمين وأما اذا علم ان الرق ينحصر فيه فقد يسوقه العداء الى مفاداته بنفسه لأنه آمن على عياله واولاده فيحارب الدين غير هياب ولا وجل ولا يرتدع عن غيه .فاذن ان حكمة الرق بينة لأنه لا يكون إلا لمن بلغ به العداء الى حصر أوقاته فى سلوك اسباب عرقلة انتشار الاسلام واذية المسلمين وهذا حقه الرق حتى اذا امن من كيده ومكره وقبل الدين كأن يريد ان يزول هو من وجه الارض ويثبت الدين فقد استحق العتق وكان عتقه سبباً لغفران ذنب المعتق إن شاء الله تعالى *

قوله « فلا اقتحم العقبة » أى لم يقدم على الامور العظام من مجاهدة النفس والهوى ولم يعبر العقبة ليعبر من جسر جهنم وما ادراك ما العقبة الكاملة من نوعها هى فك الرقبة بواسطة اعانة الغير عليها كمساعدة مالية أو مكانية وإما بعتق النسمة لما روى الامام احمد فى مسنده عن البراء بن عازب الانصارى « ان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله جاءه أعرابى فقال يارسول الله دلنى على عمل يدخلنى الجنة قال عتق النسمة وفك الرقبة قال يارسول الله اليسا واحداً قال لا عتق النسمة ان تنفرد بعتقها وفك الرقبة ان تعين فى ثمنها »

وإنما كان العتق عقبة لأن الانسان يحب بطبعه ان يمدح وأن يكرم فكيف اذا رأى من بنى جنسه عبداً له يأتمر بامره ويستعمله كبهيمة عندئذ تشح نفسه باخراج ذلك من يده فسماه الله عقبة لأن الطريق المحتوى على العقبات قل من يسلكه من الناس غير ارباب الهمم العالية *

وقوله « حتى فرجه بفرجه » اشارة الى فضل العتق وأنه افضل الاعمال مكفرا للذنوب لأن الفرج مصدر للزنا الذى هو افحش الذنوب واعظم القبائح وأشنع الامور ولذلك جعل الشارع نصاب الشهادة لاثباته اربعة رجال

﴿ ٣١ ﴾ الْكَفَّارَاتُ الْوَاجِبَاتُ (١) بِالْجِنَايَاتِ وَهِىَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَرْبَعُ كَفَّارَاتٍ كَفَّارَةُ الْقَتْلِ ، وَكَفَّارَةُ الظِّهَارِ وَكَفَّارَةُ الْيَمِينِ ؛ وَكَفَّارَةُ الْمَسِيسِ فِى صَوْمِ رَمَضَانَ ، وَمِمَّا يَقْرُبُ مِنْهَا مَا يَجِبُ بِاسْمِ الْفِدْيَةِ لِأَنَّهَا إِمَّا عَنْ ذَنْبٍ سَبَقَ أَوْ يُرَادُ بِهِ التَّقَرُّبُ إِلَى اللهِ تَعَالَى بِشَيْءٍ ـ يَعْنِى إِثْرَ أَمْرٍ قَدْ وَقَعَ ـ ذَنْباً كَانَ أَوْ غَيْرَ ذَنْبٍ ۞

ومع هذا فان العتق يكون وسيلة لمغفرة هذا الذنب . وفى هذا الحديث دلالة على أن يكون العبد المعتق غير خصى ولا فاقد عضو من الاعضاء النافعة فانه وإن كان عتق الناقص صحيحا مأجوراً عليه صاحبه لكن لايخفى انه اذا كان خصياً فالمنفعة قد انحصرت فى المعتق بخلاف مالو كان غير خصى فانه يكون له نسل وذرية ويبقى الاجر ممتداً لسيده والجميل الذى فى ذمة أولاده والذكرى الحسنة عند الله وعند الناس ۞

(١) قوله «الكفارات» جمع كفارة وهى اسقاط ما لزم الذمة بسبب الذنب والجناية وانواعها ثلاثة عتق . وصدقة وصيام . وسميت كفارة لأنها تكفر الذنوب اى تسترها فى أول الامر حتى اذا ما اخلص فيها وتاب توبة نصوحا تتبدل حسنات قال تعالى (الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحاً فاولئك يبدل الله سيآتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيما) فاداء الكفارة برهان واضح على صحة التوبة وأنه قد ندم على ما فرط منه واعترف بما صدر منه حيث بدأ يتقرب الى ربه بما يرضيه من الاعمال التى تشق على النفس وتنفع المسلمين فالعتق شاق على النفس حيث اضاع عز ما يملكه وكان فى مقدرته أن يستفيد منه ويستعمله فى شئونه

﴿ ٣٢ ﴾ الايفاءُ بالعُقُودِ لقوله تعالى : (أوفوا بالعقود) قال

الخاصة والعامة لكن ندمه حال دون هذه الافادة وجعل نفسه تسمح بالغالى مرضاة لله تعالى وخلص نفساً مؤمنة من رق العبودية ونقلها الى دور سعادتها فاذاقها لذة الحرية وعيش الاستقلال فكان بعمله هذا قد استغفر وتاب ، وأما الصدقة فان مقدارها بينته الشريعة كى لا يحصل اضطراب واختلاف وعينت لكم جرم صدقة تليق بعظمه بخلاف العتق فانه للجميع لأنه مطلوب بحد ذاته وكفارة العتق وسيلة لترويجه ولا يخفى مافى بذل الاموال من المشقة على نفوس جبلت على الشح والطمع والهلع فالصدقة تهذب النفس وتنفع الذى أخذها ليزيل فاقته واحتياجه وأما الصوم فانه الزاجر للنفس عن غيها المضعف لقواها ولا سيما اذا كان متتابعاً كما في كفارة القتل وكفارة المسيس وانه عند قرب المدة اذا افطر يجازى عقوبة له باعادة ماصامه كله . وامتثال المكفر أمر الله فى تطبيقه ما اراده منه توبة صريحة يرجى منها تلافى مافرط منه قال تعالى (ومن تاب وعمل صالحاً فانه يتوب الى الله متاباً) أى يرجع الى الله ذى اللطف قابل التوب رجوعا مقبولا مرضياً ماحياً للذنوب محصلا للثواب الفائت ان شاء الله تعالى ٥

قوله « الايفاء بالعقود » وهو حفظ ما يقتضيه العقد قياماً بواجبه لا فرق أن يكون بين العبد وربه كالنذر ونحوه وبين العبد وعبد آخر مثله كالمعاملات ، وإنما كان الايفاء بالعقد من شعب الايمان لأن الايمان عبارة عن معرفة الله تعالى بذاته وصفاته واحكامه وافعاله فلا يكون مؤمنا من لم يصدق بالقرءان المشتمل على الاحكام ولا يخفى أن

أبْنُ عَبَّاسٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا يَعْنِى مَا أَحَلَّ اللهُ وَمَا حَرَّمَ وَمَا فَرَضَ وَمَا حَدَّ فِى القُرْآنِ كُلِّهِ * وَقَوْله (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ) ، (وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ) (وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَ) ، (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا) الآيَةَ *

من جملة الاحكام الانقياد لله تعالى فى جميع تكاليفه واوامره ونواهيه فيكون هذا العقد الثابت بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اوفوا بالعقود) احد الامور المعتبرة فى ماهية الايمان . وسماها عقوداً لأنه تعالى ربطها بعباده كما يربط الشىء بالشىء بالحبل الوثيق فكل عهد يجب مراعاته وتنفيذه الا مالا ترضى به الشرع من موجب ظلم أو اجحاف فى حق او نذر فى معصية فان ذلك لاينعقد اصلا . فلا يمكن ان يقال عنه ان الوفاء به واجب أو أنه من جنس الايمان؛ روى الامام مسلم فى صحيحه عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: ما بال اناس يشترطون شروطا ليست فى كتاب الله من اشترط شرطا ليس فى كتاب الله فليس له وان شرط مائة مرة شرط الله احق واوثق » اه .

فاذن العقود المعتبرة هى التى اجازها الشرع فعقود لم يجوزها الشرع كالربا لاينعقد الزائد ولهذا قال تعالى : (فان تبتم فلكم رؤس اموالكم لاتظلمون ولا تظلمون) اى لاتظلمون باعطاء اقل من رأس المال ولا تظلمون بلزوم اداء الزائد فكل ماورد به الشرع من العهود والعقود خاص بالجائز شرعا *

وقوله «يوفون بالنذر» اى انهم اذا نذروا طاعة فعلوها لأن النذر

لا ينعقد فى الامور المنكرات والمعاصى وسائر مالا ترضاه الشريعة لما روى الامام احمد فى مسنده عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «لا نذر فى معصية» وفى رواية عمران بن حصين «لا نذر فى معصية الله ولا فيما لا يملكه ابن آدم» فالنذر الذى مدح الله الموفين به هو النذر المقرى على طاعات يرضى بها الله تعالى .

وقوله « وليوفوا نذورهم » النذر فعل ما يلتزمه الانسان من المباحات بايجابه على نفسه تعظيما لله تعالى اى فليؤدوا النذور التى التزموها وشددوا على انفسهم فيها والنذر لا شبهة فى وجوب ادائه لكن صدوره فى نذر المال يدل على ان الناذر بخيل إذ لو كان كريما لعجل وتصدق على الفقراء بما نذره وفى العبادة لعبد الله قبل ان يكون واجبا ويعصى بالمخالفة أو بالتقصير . وترى الشريعة الاسلامية كيف تلاحظ جانب العدل والانصاف إذ قد يضطر الانسان الى نذر مضر به مخالف لما امر الله به فلا تلزمه وتجعله لغواً لما روت عائشة «ان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله قال « من نذر ان يطيع الله تعالى فليطعه ومن نذر ان يعصيه فلا يعصه » حتى ولا يلزم الناذر كفارة فى الايمان التى لا تنعقد .

قوله « واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم » أى أوفوا بكل عهد تلتزمونه باختياركم لا فرق بين أن يكون لله أو لغيره وسواء كان ذلك الغير مسلما ام كافراً قال ميمون بن مهران: من عاهدته وف بعهده مسلما كان أو كافرا انما العهد لله تعالى «ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها» اى لا تبطلوها بعد ذلك التوكيد فان حكمها باق وإن تنفيذها واجب إلا اذا كان الصلاح فى عدم لزوم الوفاء فينتقل تنفيذ اليمين الى بدله وهو الكفارة وذلك لما روى الامام احمد فى مسنده ومسلم فى صحيحه والترمذى فى سننه عن ابى هريرة «ان رسول الله ﷺ قال: من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها

وَلِحَدِيثِ عَبْدِ اللّٰهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِىَ اللّٰهُ عَنْهُ فِى صَحِيحِ الْبُخَارِى

«لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُقَالُ هٰذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ» ٭

فليأت الذى هو خير وليكفر عن يمينه » اه فالدين الاسلامى الذى جعل الكذب لا يجتمع مع الايمان فى قلب واحد لاشك انه لايريد انتقاض اليمين بمعنى افسادها بل لابد من تنفيذها ما لم يكن المقبول شرعا عدمه لأن النذر اذا كان فى المعصية لا ينعقد ففائدته ظاهرة بانه لزوم توكيد الطاعة فمتى وجدت فهى المقدمة لأنها مقصود النذر الاصلى ولذا ورد الحديث الصحيح الذى ذكرناه محسنا المخالفة والكفارة فيما اذا كان انفع كمسئلة حلف ابى بكر على مسطح يوم حادثة الافك على ان لاينفق عليه فنزلت آية (ولا يأتل اولوا الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا الاتحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) ٭

قوله «لكل غادر لواء يوم القيامة» هذه رواية البخارى وفى مسلم زيادة وهى « يقال هذه غدرة فلان » كما هنا والمعنى لكل غادر لأجل غدرته فى الدنيا راية تنصب له بقدر غدره وهو عبارة عن علامة يشتهر فيها لدى اهل الموقف ليذموه، وقال الحافظ ابن حجر العسقلانى. هذا خطاب منه للعرب بنحو ما كانت تفعل لأنهم كانوا يرفعون للوفاء راية بيضاء وللغدر راية سوداء ليلوموا الغادر ويذموه فاقتضى الحديث وقوع مثل ذلك للغادر ليشتهر بصفته فى القيامة فيذمه اهل الموقف وأما الوفاء بالعهد فلم يرد فيه شىء ولا يبعد ان يقع كذلك وقد ثبت لواء الحمد لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم اه ٭

وَحَدِيثُ عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا* إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ * وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ * وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ * وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ» *

و «الغادر» هو من يواعد على أمر ولا يفى به وهو من اقبح الخصال واذمها ولاسيما اذا كان من صاحب ولاية أو نفوذ لأن غدره وضرره يتعدى اناساً كثيرين مع ان فى مقدرته ان يجتنب ذلك لأنه غير مضطر اليه ، وغدر الامير يشمل ترك شفقته على رعيته وعدم الاعتناء بهم بحيث لا يحافظ عليهم ولا يهتم بشؤنهم وكذلك الرعية اذا شقت عصا الطاعة على الأمير بغير وجه مشروع فانها تعد غادرة ، والغدر عام يشمل ارتكاب خلاف كل ما اودع المرء من احكام وتكاليف ومعاملات وغير ذلك *

قوله «أربع من كن فيه كان منافقا» الخ ، وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة «آية المنافق ثلاث» الخ واستشكل بعض العلماء الجمع بين الحديثين لتعارضهما وأجاب باحتمال أنه استجد له صلى الله عليه وسلم من العلم بخصالهم ما لم يكن عنده فاخبر اولا بثلاث وآخرا بأربع . قال الحافظ شهاب الدين ابن حجر : ليس بين الحديثين تعارض لأنه لا يلزم من عد الخصلة المذمومة الدالة على كمال النفاق كونها علامة على النفاق لاحتمال أن تكون العلامات دالات على اصل النفاق والخصلة الزائدة اذا أضيفت الى ذلك كمل بها خلوص النفاق على أن فى رواية مسلم من طريق العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة ما يدل على

ارادة عدم الحصر فان لفظه « من علامة المنافق ثلاث » وكذا اخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى سعيد واذا حمل اللفظ الأول على هذا لم يرد السؤال فيكون قد أخبر ببعض العلامات فى وقت وببعضها فى وقت آخر ، وقال القرطبى ايضا والنووى : حصل من مجموع الروايتين خمس خصال لانهما تواردتا على الكذب فى الحديث والخيانة فى الأمانة وزاد الأول الخلف فى الوعد والثانى الغدر فى المعاهدة والفجور فى الخصومة اه .

ووجه الاقتصار على العلامات الثلاث فى رواية أبى هريرة انها منبهة على ما عداها اذ اصل الديانة منحصر في ثلاث القول والفعل والنية فنبه على فساد القول بالكذب وعلى فساد الفعل بالخيانة وعلى فساد النية بالخلف لان خلف الوعد لايقدح الا اذا كان العزم عليه مقارنا للوعد أما لو كان عازما ثم عرض له مانع او بدا له رأى فهذا لم توجد منه صورة النفاق قاله الغزالى فى احيائه ، وفى الطبرانى من حديث طويل مايشهد له ففيه من حديث سلمان « اذا وعد وهو يحدث نفسه انه يخلف » وكذا قال فى باقى الخصال قال الحافظ ابن حجر : واسناده لا بأس به ليس فيهم من اجمع على تركه وهو عند ابى داود والترمذى من حديث زيد بن ارقم مختصر بلفظ « اذا وعد الرجل اخاه ومن نيته أن يفى له فلم يف فلا اثم عليه » اه .

والنفاق فى اللغة مخالفة الباطن للظاهر فان كان فى اعتقاد الايمان فهو نفاق الكفر والا فهو نفاق العمل ويدخل فيه الفعل والترك وتتفاوت مراتبه . والخصلة ـ بفتح أوله الشعبة والجزء من الايمان ، اوحالة من حالاته ، ويحمل النفاق هنا على نفاق العمل لانفاق الكفر ولا يأتى اشكال على هـــذا من حيث أن هذه الخصال قد توجد فى المسلم المجمع على عدم الحكم بكفره ويقويه ماجاء عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين قال لحذيفة : هل تعلم فى شيئا من النفاق ؟ ولا ريب أنه لم يرد نفاق الكفر بل أراد نفاق

﴿ وَحَدِيثُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ « انَّ أَحَقَّ الشُّرُوطِ أَنْ يُوفَى بِهِ مَا اسْتَحْلَلْتُمْ بِهِ الْفُرُوجَ » ﴾

العمل ، وقيل المراد باطلاق النفاق الانذار والتحذير عن ارتكاب هذه الخصال وأن الظاهر غيرمراد ، واذا اردت زيادة البحث فى ذلك فعليك بشرح الامام النووى على صحيح البخارى طبع ادارتنا ص١٩٤ والله أعلم

وقوله « واذاوعدأخلف » قال صاحب المحكم يقال وعدته خيرا ووعدته شرا فاذا اسقطوا الفعل قالوا فى الخير وعدته وفى الشر اوعدته، وحكى ابن الأعرابى فى نوادره اوعدته خيرا بالهمزة فالمراد بالوعد فى الحديث الوعد بالخير وأما الشر فيستحب اخلافه وقد يجب مالم يترتب على ترك انفاذه مفسدة ، واما الكذب فى الحديث فحكى ابن التين عن مالك أنه سئل عمن جرب عليه كذب فقال أى نوع من الكذب لعله حدث عن عيش له سلف فبالغ فى وصفه فهذا لا يضر وانما يضر من حدث عن الأشياء بخلاف ماهى عليه قاصدا الكذب انتهى أفاده الحافظ فى الفتح ❊

قوله « ان احق الشروط ان يوفى به » الخ هذا الحديث ليس على اطلاقه، بل هو محمول عند الشافعية على شرط امر مرضى لدى الشرع كالعشرة بالمعروف والنفقة وما يتعلق بها وتعيين التصرف وكيفية السلوك وانتظام الحركة البيتية لامطلقا كأن يشترط ان لايقسم لها ولا ينفق عليها فانه ضرر بها ولا يسافر بها ولا يتزوج عليها فانه ضرر عليه ولاضرر ولاضرار فى الاسلام ولما ذكرنا قبل الحديث « كل شرط ليس فى كتاب الله فهو باطل » وقال الامام احمد بوجوب مراعاة الشرط مطلقا استدلالا بهذا الحديث . وقوله « احق الشروط » اى اليق من غيرها بالوفاء ❊

﴿ ٣٣ ﴾ تَعَدُّدُ نِعَمِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَا يَجِبُ مِنْ شُكْرِهَا لِقَوْلِهِ تَعَالَى : (قُلِ الحَمْدُ للهِ) وقوله (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا) ، (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) ، (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ) وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا مَنَّ اللهُ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ وَذَكَّرَهُمْ بِهَا فِي كِتَابِهِ *

قوله « تعدد نعم الله عز وجل » فانها من شعب الايمان لأن النفس بعد ورود النعم عليها تغفل عن المنعم بها ولا تتصور ان حق هذه النعمة لا تزال ذمتها به مشغولة يجب اداؤها بالشكر لمعطى هذه النعم خالق السموات والارض وخالق الخلق لا على مثال سبق فاذا كان الانسان حينما ترتع نفسه فى بحبوحة الهناء والعيش الرغد يلاحظ شكر المنعم فقد اثبت ان له ايمانا راسخ البنيان وطيد الاركان حيث لم تغشه النفس الامارة بالسوء ولم يصغ الى الوساوس التى تشعر بها النفس وهى الغرور بسبب فتنة الغنى فتبين ان تعداد النعم اعتراف بالمنعم وانه من فضل الله عليه لانه ليس احق من كثير من المحرومين لولا العناية الربانية فلا بد لهذا الواصل من ثمن يكون كالعوض وهو شكر المنعم الواجب .

نعم كالعوض لأن الشكر على النعمة نعمة عظمى كما يأتى فى نفس هذا البحث عن المصنف فهو صورة عامل ولكن التوفيق من الله تعالى نعمة منه وكرما .

قوله « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » لأن الحساب يضيق عنها والعد ينتهى دونها فلو قطع الانسان النظر عن النعم كافة ونظر بامعان وحكمة الى نفسه لوجدها مشتملة على نعم غير قابلة الانحصار ذلك لأن

الجسم مركب من دم ولحم وعظم وكل قطرة من الدم فيها الالاف المؤلفة من الكريات الحمراء والبيضاء *

ولا شك ان هذه الالوف المؤلفة عبارة عن حيوانات حية كل واحد منها له جسم وهيئة بالنسبة الى نفسه فالقطرة الواحدة من الدم لا يمكن الوقوف على ما تركبت منه فكيف بالجسد كله وما فيه من اللحوم والشحوم والغضاريف والعظام والشرايين والاوردة وصورة انتظامها وكيفية انسجامها وتراكيبها باتقان بديع ووضع عجيب فتبارك الله احسن الخالقين *

فاذا كان الانسان يجهل ماهيته ولا يدرى عن نفسه وما يشتمل عليه جسده من الاضداد والمختلفات والنقائض مما يتيه فيه العقل ويحير اللبيب جعل فى الرأس نفسه مجار متعددة مالح وحامض وحلو ومر ولم يجاوز احد الآخر ولم يؤذه بل لم يؤثر فيه وتأمل فى حركة الوجود وعدم استقراره على حالة واحدة فهو فى كل شئونه وادواره فى تطور لا يقف عند حد ولا ينتهى سيره مادام النفس جاريا والحياة موجودة وهذا ما اعجز علماء النفس وفطاحل الاطباء فاذا كان الانسان لا يخبر نفسه على حقيقة تامة فكيف لا يخجل من دعوى العلم وزعمه الوقوف على حقيقة الافلاك وقياسها بالاذرع بشكل يعد من خالف رأيه جاهل احمق لا يتسع صدره للعلوم العصرية ولا يدرى عن المدنية شيئا *

مهلا أيها الرجل ادرك نفسك ثم سر الى غيرها من الارضيات فاذا كنت لا تدرى عنها إلا ظنونا وأوهاما كيف جسرت على دعوى علم اليقين فى الافلاك والسموات وانكار أعدادها أو انها غير موجودة ؟

لا نقول لك لا تتعلم ذلك لان الله قد أمرنا فى قوله (ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها

من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون) ولكن تقول لك لاتنكر كل مالاتعلمه فانك لم تعلم الاالنذر اليسير التافه وما أمامك مما تجهله شيء يضيق عنه نطاق الحصر فالعلم أن تعلم أنك لاتعلم والادب ان تقول رب زدنى علما *

الانسان يقف مبهوتا فى كيفية تركيب جزء من اجزاء البدن الظاهرة فكيف بما فى داخله من جوف الصدر أو جوف الدماغ وهذه كلها نعم من الله بالبداهة يعلم انه لا يستطيع حصرها . هذا بقطع النظر عن الغذاء الذى يأكله وعن كيفية استحالته الى نافع وغيره والى دم وقوة وفضلات وغير ذلك ، ثم فى كيفية حصول نفس الغذاء لأنه لايخلو اما أن يكون حيوانا وإما ان يكون نباتا فان كان حيوانا فازوجوده قائم بالتغذى من النبات ،وافتكر فى النبات وكيفية نموه ووصول الحياة اليه عن طريق الماء ثم نموه ثم استعماله بواسطة الآت لم يتوصل اليها المرء الا بالهام وعلم الهى حتى اخرجها من معادنها من قلب الجبال وتحت الأرض وهذه النعم لا يحصيها العد فكيف بغيرها من نعمة الهواء والماء والنار وتسخيرها باحداث قوى لاعمال كثيرة عديدة ولاسيما فى عصرنا هذا عصر البخار والكهرباء فمن أمعن فى هذه النعم غاب عن احصائها وان كان عمره آلاف السنين وخصصه الموقوف على ماهية هذه النعم فكيف بعمره القصير؟ الذى لا يتسع الالدعوى العلم والفخفخة والدعاوى الكاذبة والغطرسة والأثرة واحتقار من خالف رأيه زاعما ان كل مالايصل اليه فهمه القاصر ينبغى ان يكون غلطا صريحا او باطلا محضا وكم من عائب قولا صحيحا ، وآفته من الفهم السقيم ، وهذه الفكرة هى التى حدت بمن يزعم التنور فى الأفكار ان يطعن بالدين اعتقادا منه ان ما تلقاه من الحدسيات عن علماء الغرب هو مقدم على كلام الله تعالى جهلا منه حيث جعل الواجب المطلق القديم تحت ارادة تصور الممكن الحادث القائم وجوده بغيره *

والأنكى من هذا ان الفكرة العلمية لا تثبت الامدة يسيرة ثم يظهر للناس خطأها او ضعفها ولا يخجل من يعتقد فكرة أو رأيا أن يكون نصيبه ما اصاب من قبله وهذا هو الغرور والجهل المركب *

الانسان مهما بلغ من الرقي والعلم وقوة الذكاء وسعة الادراك فهو في درجة الامكان وفي دائرة العجز وضمن منطقة الاحتياج فكيف يتسنى له التطاول على من ساواه من الممكنات ان يقسره على شيء يجهل حقيقته الطرفان لأن مركزهما الأرض فمن ادراهما ان قد اصابا بما جزما في الشؤون السماوية حتى قالا بما هو رجم بالغيب *

ان احدهما يجهل ما في بلده وما في ضمن بيته بل ما تشتمل عليه جوانحه فكيف يحيط بما في السموات احاطة علم اليقين ؟ اليس هذا امرا عجيبا ؟ ايها الزاعم انك أحطت بما عليه السماء من التركيب والانتظام - بربك ان كنت تعتقد ان لك ربا - متى احطت علما بعدد النجوم وكم منها سيارات وثوابت وكم فيها من الأقمار والتوابع ؟ وكم المسافة بيننا وبين آخر كوكب تراه ؟ اذا كنت لا تستطيع جوابا عن ذلك فكيف تدري مقدار السموات وانها جسم لطيف أو كثيف ؟ ومن ادراك من عدها ؟ مادمت لا تعتقد بكلام رب العالمين المنزل لتحدى الناس باقصر سورة منه . ان نعم الله لا تعد ولا تحصى ومعرفة عدم احصائها هو احترامها فينبغي اداء الشكر بامتثال ما امر من العبادات *

قوله «واما بنعمة ربك فحدث» لان التحديث بها شكر لها ولاسيما اذا كان ممن يقتدي بعمله فينبغي له ان يجاهر كي لا يكون سببا لوقوع الناس بالحرام اذا نالوا من عرضه بفاحش القول وكلام الهجر وبمجاهرته يكون قد قوى جانب أهل الخير وجعل عددهم زائدا وأن القاعدة الجارية في الكون أن كل عمل كثر أتباعه فهو مقبول محمود تتسابق الناس للاشتراك به وقد روى البخاري في الادب

وابوداود والترمذي عن جابر «ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من اعطى عطاء فوجد فليجز به فان لم يجد فليثن به فمن أثنى به فقد شكره ومن كتمه فقد كفره ومن تحلى بمالم يعط كان كلابس ثوبى زور» * وهذا كله اذا لم يشتمل على رياء ويتضمن غرورا وانفة والا فان التكتم أولى، وقد روى أن أمير المؤمنين عليا كرم الله وجهه سئل عن الصحابة فاثنى عليهم خيرا فقالوا له حدثنا عن نفسك فقال مهلا فقد نهى الله عن التزكية اشار الى قوله تعالى (فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى) فقيل له اليس الله تعالى يقول (واما بنعمة ربك فحدث) قال فانى احدث كنت اذا سئلت اعطيت واذا سكت ابتديت وبين الجوانح علم جم فاسألونى *

واخرج ابوداود والترمذى وحسنه وابو يعلى · والبيهقى · والضياء عن جابر ابن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم قال» من ابلى بلاء فذكره فقد شكره وان كتمه فقد كفره » واخرج احمد والطبرانى فى الأوسط والبيهقى عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أولى معروفا فليكافى به فان لم يستطع فليذكره فان من ذكره فقد شكره »

وقال فى الآية (فحدث) اشارة الى انه ينبغى ان يكون ذكر النعمة حديثا بان تعيده مرة بعد اخرى ولا تنساه ليكون شكرك فى القلب واللسان معا، وقوله «واذكرونى اذكركم» اى اذكرونى بالطاعة والاخلاص والمجاهدة فى الدنيا اذكركم فى الهداية ومزيد الاختصاص فى الدنيا وبالرحمة فى الآخرة فلا احل عليكم بعده غضبى ابدا . وذكر الله معلوم بانه توجه القلب وصرفه الى التفكر فى اسرار المخلوقات لينعكس شعاع بصره الى عالم الجلال استدلالا بالاثر على المؤثر على ان تكون الجوارح مستغرقة فى الأعمال المأمور بها وبعيدة عن الأعمال المنهى عنها ولذلك سمى صلاة الجمعة ذكرا فى قوله (فاسعوا الى ذكر الله) فاذن قوله تعالى (فاذكرونى) متضمن للعبادات كافة *

وَلِحَدِيث أَبِى ذَرٍّ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ فِى صَحِيحِ الْبُخَارِىِّ « قَالَ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا وَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِى أَحْيَانِى بَعْدَ مَا أَمَاتَنِى وَإِلَيْهِ النُّشُورُ » ✿

وَحَدِيث صُهَيْبٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ فِى صَحِيحِ مُسْلِمٍ « عَجَباً لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ اِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ اِلَّا لِلْمُؤْمِنِ ، اِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ وَاِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ » ✿

قوله « باسمك اللهم اموت واحيا » اى احيا باسمك مدة حياتى ، واموت عليه فان اعتقادى ثابت فى الحياة وبعد الموت ان شاء الله تعالى ، وقوله « الحمد لله الذى احيانا بعد ما اماتنا » سمى النوم موتا لانه يزول معه العقل والحركة كما يزولان بالموت ومنه قوله تعالى (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها) أى يتوفاها حين ينامون فلا يتصرفون بشىء ولا يميزون شيئا كحالة الموتى ، وعن ابن عباس فى ابن آدم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التى بها العقل والتمييز والروح التى بها النفس والتحرك فاذا نام الانسان قبض الله نفسه ولم يقبض روحه ، ويحتمل ان يكون المراد هنا السكون كما قالوا ماتت الريح أى سكنت فيحتمل ان يكون اطلق الموت على النائم بمعنى ارادة سكون حركته لقوله تعالى (وهو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) الآية قاله الطيبى والله اعلم ✿

قوله « ان أمره كله خير » اى انه مأجور فى سرائه وضرائه أى لا ينفك الأجر ملازما مادامت نيته حسنة فى اداء العبادة والانسان لا يمكن ان يخلو

وَبه قَالَ البَيْهَقِيُّ قَالَ أَنَا الحَافِظُ أَبُو عَبْدِ الله قَالَ أَنْشَدَنِي أَبُو عَبْدِ الله بن أَبِي ذُهْلٍ . قَالَ أَنْشَدَ أَبُو الحَسَنِ الكِنْدِيُّ القَاضِي

اذَا كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَارْعَهَا ... فَانَّ المَعَاصِي تُزِيلُ النِّعَم

عن هاتين الحالتين اما السراء فيشكر الله وينال رحمته وجنته واما الضراء فيصبر عليها وينال اجره بغير حساب وجنات لهم فيها نعيم مقيم وهذه نعمة عظيمة لايقوم بها الاالشكر ولذلك جاء فى الثناء «الحمدلله على سرائه وضرائه» لان فى كل منهما اجراعظيما وثوابا جزيلا ماعدا الحكمة الالهية التى اوجدت ذلك الفعل بما يتعلق من اصلاح النفس اومنفعة المجتمع لان افعال الله تعالى تصان عن العبث وكلها صادرة عن حكمة بالغة تدل على قدرة الخالق وعلمه إنه على كل شئ قدير وقد احاط بكل شئ علما ﴿

قوله «فان المعاصى تزيل النعم» وذلك لانها تسبب غضب الله تعالى لمنافاتها العبودية اذ ان من عرف قدرة سيده وكرمه وعلمه لايسعه ان يخالف امره ويظهر عصيانه فالعاصى لسان حاله يتكلم عنه بانه غير معترف بوعيد الاله ولا مكترث بعذابه اذ لو كان مصدقا بما قاله الله فى كتابه لما اقدم على المخالفة فان المسافر اذا اراد سلوك طريق واخبره احد بوجود اشقياء فيها يسلبون الناس اموالهم دون ارواحهم فتجد ذلك المسافر يترك السفر او ينهج طريقا آخر لاعتقاده صدق المخبر وان كان جبانا يكفيه الخبر ولو من كاذب كى تتغلب الواهمة ، اما العاصى لو صدق الرسول بما جاء به لما ارتكب المعصية ولاسيما عقب النعمة اذ بدل الشكر بالمعصية فكان حقه زوال النعمة لمخالفته كما ان دوامها لمن راعى حقوقها بالشكر والاعتراف بفضل الآله جل جلاله ﴿

قَالَ أَخبرنا ابو عبد الرَّحمن السلمي قَالَ سمعت الحسين بن يوسف القزويني قَالَ سمعت أبا بكر أحمد بن اسحاق قَالَ سمعت الجنيد قَالَ سمعت السري يقول: الشكر نعمة والشكر على النعم نعمة الى أن لا يتناهى الشكر الى قرار *

وقد قال الامام الشافعي رحمه الله في أول كتاب الرسالة: الحمد لله الذى لا يؤدى شكر نعمة من نعمه إلا بنعمة منه توجب على مؤدى ذلك الشكر (١) *

وبه أنا البيهقي قال أنبانا ابو القاسم انبا احمد بن سليمان انا ابن أبي الدنيا الخ قال فانشدنا محمود الوراق *

لإن كان شكرى نعمة الله نعمة ... على له في مثلها يجب الشكر
فكيف يصح الشكر إلا بفضله ... وان طالت الايام واتصل العمر
اذا مس بالسراء عم سرورها ... وإن مس بالضراء أعقبها الأجر
وما منهما الا له فيه منة ... يضيق بها الأوهام والبر والبحر

---

(١) الذى في الرسالة هكذا «والحمد لله الذى لا يؤدى شكر نعمة من نعمه الا بنعمة منه توجب على مؤدى ماضى نعمه باداثها نعمة حادثة يجب عليه شكره بها»

وَأَخبرَنا مِنْ غَيْرِ رِوايَةِ الْبَيهقى جَماعَةٌ بيتَيْن فقط ۞

إِذَا كَانَ شُكْرِى نعمةَ اللهِ نعمةً ۞ عَلَىَّ لهُ فى مثلِها يجِبُ الشُّكْرُ

فَمالِى عُذْرٌ غَيْرَ أَنِّى مُقَصِّرٌ ۞ وَعُذْرِى إِقرارِى بِأَنْ لَيْسَ لِى عُذْرُ

﴿٣٤﴾ حِفْظُ اللِّسَانِ عَمَّا لَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ وَيَدْخُلُ فيه الْكَذِبُ

قوله « ويدخل فيه الكذب » وهو اخبار عن الشيء على خلاف ما هو عليه فهو اشنع الخصال واقبح الفعال اس المآثم وعلة الخبائث والفساد ذلك لانه مخل للنظام ومزيل للثقة والتبادل اللذين لا يستغنى عنهما المجتمع في حال من الأحوال فلا يحصل مرض ولا تقع فتنة الا وكان للكذب اليد الطولى فى ترويجها او تمهيد الشروع فيها لم يذم الدين الاسلامى خصلة كما ذم الكذب ۞

وعن عبد الله بن جزء قال « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هل يزنى المؤمن قال قد يكون ذلك قال يا نبى الله هل يكذب المؤمن قال لا ثم اتبعها صلى الله عليه وعلى آله وسلم بقول الله تعالى انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله » الآية ۞

فتراه اجاز وقوع الكبائر من المؤمن ولكنه لم يجز وقوع الكذب منه لما فيه من المضار التى اقلها رفع الاعتماد الذى يعيش به العالم وفيه أعظم ميزة للانسان لانه مدنى بالطبع لا يمكن ان يعيش وحيدا عن العالم بل لا بد له من اعوان يتبادل معهم المنفعة حيث ان الوظائف الموزعة بين افراد النوع الانسانى يستحيل أن يقوم بها واحد مهما عاش من العمر فهو كيف

يزرع مثلا ويوجد الآت الزراعة ومتى يستخرج المعادن من الأرض ليسبكها الآن بل ان الاستخراج نفسه يحتاج لأدوات تكفل بايجادها توحيد المسعى البشرى وانتقال الأعمال التى لم تكمل فى عصر الى العصر الذى بعده وهذا قسم العمل ولا بد من قسم يكفل النظام ويحفظ التوازن وعدم التعدى سواء أكان من المجموع نفسه ام من غير المجموع فاصبح هذا الجمع الغفير او الامة اوسم ما شئت محتاجا للتفاهم بعد اضطرار المجتمع الى كل واحد لانه لا معنى له الا انه جملة الأفراد وهذا يقوم به النطق ولذلك كان الفصل المميز للانسان عن غيره من الأنواع فلا يحصل الحد التام للانسان مع الجنس القريب الحيوان الا بالفصل القريب النطق حيث جعلوه فى مرتبة الذاتيات لشدة الاحتياج اليه فاذن لا تتم بيان ماهية الانسان التى هى الحيوان الناطق الا بالنطق لان الحيوان يشمل الانسان وغيره ☼

وحيث ان النطق هو الركن الأعظم الكافل لانتظام المجتمع البشرى فاذا كان خلاف الواقع فقد اصبح لا وجود له حكما اذ لا قيمة له اصلا بنظر العاقل فاتضح لنا ان الكاذب ليس انسانا لفقده الفصل المميز له كما قلنا وهو النطق فلا فرق بين كلام الكاذب وبين نبح الكلاب ونهيق الحمير من حيث ان كلا منهما لا تنتج منه فائدة ☼

هذا بحسب الصورة واما بحسب الحقيقة فان نبح الكلاب جدير بالتقديم عليه لأنه يستفاد منه فيما اذا اهر خائفا او اهر طامعا لا تخفى على صاحبه حالته لأنه لا يعرف خلاف الحقيقة اما الكاذب فانه يشوه الحق ويقلب الحقيقة فليت الأمر وقع عند اهماله ولكنه قد يجد من لا يدرى عنه شيئا وينخدع حتى يقع فى براثينه او براثين سيده ان كان آلة مأجورة لغيره وهذا ما جعل الشرق مستعمرة حيث لعب فيهم الكذب ادوارا مهمة لاعتقادهم انه لا وجود له عند المستعمر فيصدقونه ولا يصدقون كلام الله فى قوله (ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم) فوقع ما

وقع وكان امر الله قدرا مقدورا •

والمصيبة العظمى ان هذا المرض الذى قضى على الشرق واوصله الى ما هو عليه من التعاسة والشقاء ظن به الناس أنه كما كان سبب شقوتهم فسيكون سبب نجاحهم لذلك عم امره وطم وشهر واشتهر ولم يترك بيتا الا وتربع فيه اواستوطنه بل اصبح امرا لازما يعد من ضروريات الحياة فقائله محترم وتارك الكذب يعدونه مغفلا او لايدرى من الحضارة والمدنية شيئا •

والأغرب من هذا ان الوقاحة بلغت فى عصرنا الحاضر حدا لا يمكن تعريفه بعبارات مهما كانت بليغة ومهما اطنب فيها قائلها او اتسع ذلك لأن الكاذب لا يخجل من ان يكلفك بتصديقه اذا كان داعيا الى ضلالة اوان له غاية الا يقاع بك رغما عن علمه بانك عالم بكذبه فاذا وجد صلابة منك يزعم بان الكذب للمصلحة جائز وانه يريد منفعتك ويقدم بعض النقود بينة على صحة القول او ثمنا للحكم بالصحة فينخدع المغفل ويقع الاثنان فى قبضة ذلك الكاذب فيأخذهما وما ملكا وتكون تلك النقود اليسيرة بمثابة طعم يوضع فى الفخ للاصطياد ، والعجب ان كلمة «الكذب» ينفر عنها كل من يسمعها ولا تجد من يستحسنها ومتى وقع الخبر كاذبا تجد له انصارا مروجين له فلا أدرى لماذا ؟ وهل فقد الناس عقولهم ؟ ام ان ماهية الكذب تعاب من حيث هى فاذا وجد الكذب فى قول انقلب قبحه حسنا وخطره فرضا وعد قائله محنكا مجربا سياسيا مفكرا •

وقد اشتهر امر الكذب حتى لم يترك صنعة ولا طبقة الا وزاع فيها امره فالتاجر او صاحب الصنعة يعتقد ان بضاعته كاسدة اذا لم تروجها الأيمان الكاذبة وهذا سبب ذم التجار فى حديث البيهقى عن عبد الرحمن بن شبل قال سمعت رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله يقول «ان التجار هم الفجار قالوا يارسول الله أليس قد احل الله البيع قال بلى ولكنهم يحلفون

فيأثمون ويحدثون فيكذبون اه .

وقس عليها الطبقات العالية والبائسة الأولى تستعمله للتهديد وتهويل أمرهم والثانية للمكر والخداع والتملص من اضرار الاغنياء والزعماء وان نفس الطبقة تستعمله فى مدح الرجل والاطناب فى فضله ولاسيما فى وجهه واظهاره بمظهر الاجلال والتكريم مع أنه لايستحق الا الاهانة واللعن والطرد ، ولكن مصيبة الكذب وعمومها امر تغلغل فى النفوس حتى ازاح الايمان عن موضعه واشغل محله . هذا كله فى الكذب على الناس واما الكذب على الله ورسوله فذلك الخطب العظيم والطامة الكبرى ، وهو البلاء الذى اقعد المسلمين عن طريق السلف الناجح حيث زوروا على لسان الرسول احاديث قضت على مجد الاسلام ومزقت شمله بل كادت تزيل الاسلام من عالم الوجود لولا عناية الله ووعده الصادق على لسان رسوله كما رواه مسلم فى صحيحه عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم « لن يبرح هذا الدين قائما يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة » اه .

وذلك لان هذا الطريق اهون عليهم من غيره مادام امر الله باتباع السنة فى قوله تعالى : « وما اتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا » ولان كلام الله لا يمكن دخول تحريف عليه بعد قوله (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ـ كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) وكان الرسول قد اطلعه الله على ما تبغيه الطائفة السلولية من افتراء الاحاديث فقال صلى الله عليه وآله وسلم كما فى مسند احمد والصحيحين واصحاب السنن عن أنس « من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » ولكن طمعهم فى الاضلال عداوة أو للحصول على مظهر دنيوى موقت اغفلهم عن هذا الوعيد الذى برهن على ان اعتقادهم غير

صحيح لانه لوكان تاما لاحجموا عن النار ولوقفوا عندحدود الشريعة واتباع المأثور ٭

﴿ واقبح ﴾ من ذلك كله نعرة جديدة هى اخت الكذب بل العن منه هى أنكار السنة او الطعن فيها والحط من كرامة كل حديث يرويه أئمة المذاهب مقيد عنهم بمن روى بعدهم من المحدثين الذين هم اتباع أولئك الائمة فلم يخجلوا من الزام السابق بمن بعده بسنين واخبار المتبوع على ان يكون تابعا لمن بعده بسبب ان هؤلاء الجهلة وانجال السلوليين معنى اذا لم يعلموا الأمر ولم يطلعوا على الحديث او الدليل او كانت فكرتهم تقصر عن تصور تلك المعانى العالية فما اسهل من انكار الحديث اذا لم يوافق ذوقه واذا جاء الحكم حسب مزاجه فيؤيد صحته بحديث موضوع أو هو يفتريه أو يوسع لنفسه مجالا لتحكيم العقل واما الخصم فلا يحق له الفهم ولا القياس بل يجب عليه ان يقف عند ظاهر العبارة ولا يحمل حديثا مطلقا على آخر مقيد سبحانك هذا بهتان عظيم ٭

قوله « والغيبة » وهى ذكرك اخاك بما يكره وذلك بان تشيع عنه اولا من الأعمال التى لا مدخل له فيها وكانت موجودة بغير كسبه وارادته فهذا هو اساس الغيبة التى نهى عنها الشارع وذمها ذما قبيحا لان الديانة الاسلامية جعلت المرء مؤاخذا عن نفسه فقط فقد قال تعالى (كل نفس بما كسبت رهينة) فما يقع الآن من شتم الرجل بما عليه ابوه أو امه او خاله او عمه او اخته او اخوه فان هذا غيبة تحرم واكل لحم اخيه المحرم فلا يحق الكلام على هؤلاء من جراء هذا ولا على هذا من جراء أولئك واى ذنب له فى وجوده فى وسط بيئة ليس راضيا عن فعلها ، واشنع

من هذا أن يعيب خلقته باظهار ما فى جسده من عيوب كعور وعرج وبشاعة صورة فان هذا فى الحقيقة ليس غيبة للرجل وانما هو انتقاص لخالق الله وتحقير لصنعه البديع فهذا هو الذى ذمه الشارع بقوله «ذكرك أخاك بمافيه» فهذا هو الموجود فيه واما ماعليه من الاعمال الموبقة والأفعال المنكرة فانه لا يكره ذكرها فهو لم يستح من الله ليستحى من الناس فمن كان مجاهرا بظلم أو امر قبيح غير مشروع فذكر مثل هذا لا يسمى غيبة لأن صاحبه لا يكرهه بل يفتخر به على الأقران ويعد ارتكابه فضلا يستحق به التقدم على غيره فمثل هذا لامانع من ذكر ماهو عليه ليحذره الناس فلا يعتمدون عليه ولا ينغشون بالبراءة الأصلية بل قد يجب اذاعة حاله اذا ظن انه لا يقف عند هذا الحد بل لا يبرح حاله السيء فى ازدياد وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم كما رواه الترمذى عن أبى هريرة «من غش فليس منا» فشخص ليس منا لماذا ندافع عنه ونزعم أن هذا حرام امن العدل ان نسكت عن غيه وهو يزداد فى امره بغيا وعتوا؟ ثم ان الشريعة التى جعلت للعاصى حدودا وتعزيرات لا تقام الا بمشهد طائفة من المسلمين حاشاها ان تمنع التكلم بحق هذا العاصى الا ان يكون قد تاب عن غيه وسلك مسلكا حسنا فمثل هذا لا يجوز ذكر ماضيه لأنه لاداعى له الا اذى اخيه المسلم واضراره فهذا هو الحرام بلا شك او ان ذكره لمساويه كان منبعثا عن مسائل شخصية وغضب وعداوة ولولا ذلك لستر جميع سيئاته فهذا هو الغيبة التى حرمها الشارع ونهى عنها.

و(النميمة) هى التحدث مع قوم ليكشف لهم ما يكرهونه فينقله لغيرهم بعبارة او اشارة او غير ذلك وهذه من اقبح العيوب لأنها عبارة عن الغيبة

وَالْفحْشُ اذ القرْآنُ وَالسُّنَّةُ مَشْحُونَانِ بِذَلكَ

وتزيد عليها بان القصد السيء موجود فى اول الأمر وبداية الملاقاة فهو شر باعتبار المبدأ والمنتهى اذان الغاية منها هو الفساد والافساد فاذن جميع ماجاء فى ذم الغيبة داخل فيها وكل ماورد فى ذم الفساد يشملها فهى مركبة من شيئين قبيحين الغيبة والفساد بين الاخوان اوفى الأرض اذا كان عاما

قوله «والفحش» هو ماينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل الموزون وقد نهى الله تعالى عنه بقوله ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر فحفظ اللسان من الفحش هو من شعب الايمان العظيمة بل ان الفحش مناف لحديث البخارى وابى داود عن عبدالله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » وفقرة الحديث الأولى رواها مسلم عن جابر ايضا فقول الفحش ليس من شان المسلم فقد روى الامام احمد فى مسنده عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش» فهذا يكفى ذما للقائل بالفحش المنافى الايمان لأن اللسان غالبا يترجم عما فى النفس فما يكنه الفؤاد ويمتلأ منه يفيض على لسانه فينطق بما هو عليه من خير وشر ولذلك عرفوا الحليم بانه من يملك نفسه عند الغضب حيث يعرب عن خلوه عن مادة الفحش أو انها وان وجدت شان طبيعة الانسان فان وعاءه اوسع من ان يمتلئ بهذه المادة الصغيرة بنسبة اخلاقه الفاضلة ومزاياه العالية بخلاف من يتكلم بالفحش فهو يدل على دناءة طبعه او ان فى دماغه نقصانا فهو لا يتسع لما يرد عليه من المؤثرات فيتطور ويتغير وعلى كل فانه نقص مناف لأصل الايمان عادة او كماله حقيقة والله اعلم ❁

كَقَوْله تَعَالَى : (وَالصَّادقِينَ وَالصَّادقَات) وَقَوْله تَعَالَى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادقِينَ) وَقَوْله (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) وَقَوْله (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللّٰهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ) وَقَوْله تَعَالَى (وَالَّذِى جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) وَقَوْله (انَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّٰهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ) ☆

قوله «ان الذين يفترون» أى ان من كانت صفته افتراء الكذب على الله فى المعتقدات الدينية او فى المعاملات بين الناس أو فى نفسه ليغش به الغير مستعملا هيئته مصيدة للخلق ليغشهم لا يفلحون فلا يفوزون بمطلوب اخروى ولا ينجون من بلاء دنيوى فلهم فى الدنيا متاع قليل مدة حياتهم الجزئية بالنسبة لمضجع القبر والآخرة الباقية فلا يغرك ما ترى من رواج احواله او كمال شؤنه فان ذلك موقت ليزدادوا عذابا فوق العذاب بما كانوا يعملون ولذلك قال تعالى فى تكملة الآية (ثم الينا مرجعهم) أى ان مصيرهم الينا فى الآخرة لحكمنا بذلك عليهم فيجازون اشد الجزاء ويرون الاهوال والشدائد (ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) فى الحياة الدنيا فالعاقل يدرك ان نعيم ساعة خلفه عذاب دائم هو عين العذاب بل اشده لأن الانتقال من الرفاهية الى الشدة ومن النعيم الى الجحيم عذاب فوق العذاب ولهذا كان عذاب الكفار يوم القيامة اشد ما يكون عند ما يرون اصحاب الجنة كما قال تعالى (ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون)

وَلِحَدِيثِ عَبْدِ اللّٰهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ « إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللّٰهِ صِدِّيقًا وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللّٰهِ كَذَّابًا » ❁

وهذا جزاء الافتراء يوم القيامة اذ يفتضح صاحبه على ملأ الاشهاد ولا يكفيه ذلك حتى يطلب من اهل الجنة ماء كي يعرفوه لينتشر حاله وما كان عليه من القول بالباطل واختلاق الأمور التي ما انزل الله بها من سلطان فنسأله تعالى ان يحفظنا من الخطا في القول والعمل انه سميع الدعاء ❁

قوله «ان الصدق يهدي الى البر» أي يوصل بجميع انواعه الى طرق الخيرات كلها لأنه يطلق على صدق اللسان ويقابله الكذب ويطلق على صدق النية اي الاخلاص فيها فيراعي معنى الصدق ولا يغفل عن عمله بحيث يشرد عقله وفكره عند مباشرة العبادات ويطلق على الصدق في العزم بحيث يقوي عزمه انه اذا ولي امرا يؤديه حقه من اقامة قسطاس الحق وعدم ظلم احد من خلق الله ويطلق على الصدق في الوفاء وذلك عند استيلائه فعلا على منصب بحيث لا يدخل في قوله تعالى (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم وان الله علام الغيوب) ويطلق على الصدق في الأعمال بحيث تستوي سريرته وعلانيته فمن اتصف بالجميع فهو الصديق الحقيقي ❁

وحديث سهل بن سعد رضى الله عنه فى صحيح مسلم «من يضمن لى ما بين لحييه وما بين فخذيه أضمن له الجنة» *

وقوله «وان البر يهدى» اى يوصل الى الجنة وان الرجل ليصدق فى السر والعلانية ويتكرر ذلك منه الى ان يصل به فرط صدقه الى الصديقية وهى اعلى مرتبة بعد مقام النبوة فيدخل فى عداد تلك الزمرة التى من احبها فقد نجا وحشر معها فكيف بمن يعد منها وان الكذب ليهدى ويوصل الى الفجور وان الفجور يهدى اى يوصل الى النار لقوله تعالى (ان الأبرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم) *

وقوله «وان الرجل ليكذب» ويتكرر منه بدوامه عليه «حتى يكتب عند الله كذابا» فيحكم عليه بذلك ويظهره الله للملأ الاعلى وينتقل الى قلوب اهل الأرض والسنتهم فيستحق عقاب الكاذبين من لعن وغيره

وفى هذا الحديث اشارة الى ان التمرن له تأثير عظيم فى اثبات الخصلة التى عليها المرء من خير وشر فينبغى ان يواظب الانسان على عمل الخير ليكون له خلقا كما يجب عليه هجر الشر حتى يبلغ به الحال الى ان ينفر منه عند رؤيته فلا تطيب به نفسه لى لا يجد الشيطان والنفس مسلكا لافساده لأن لكل امرئ من دهره ما تعود *

قوله (من يضمن لى ما بين لحييه) بفتح الياء وسكون الضاد المعجمة والجزم من الضمان بمعنى الوفاء بترك المعصية فاطلق الضمان واراد لازمه وهو اداء الحق الذى عليه وقوله (لحيية) بفتح اللام وسكون المهملة والتثنية هما العظمان فى جانبى الفم واراد بما بينهما لسانه لأنه الواقع بين اللحيين اى حائطا الفم اللذان فيهما الاسنان من داخل الفم من كل ذى لحى وهو الناطق المعبر عما فى الفؤاد من الخفايا والمكنونات وقد جعل

الشارع العقوبة منوطة به والا فان الانسان قد يتصور امورا منكرة لو يؤاخذ عليها لما بقيت له حسنة ولحبط عمله فى اليوم الواحد مرات عديدة كما انه يؤاخذه فى قوله وان يكن غير مهتم بما يحصل منه بداعى المزح أو نحو ذلك فقد روى البخارى عن ابى هريرة مرفوعا «ان العبد ليتكلم بالكلمة لا يلقى لها بالا يهوى بها فى جهنم أربعين خريفا» حيث صدرت باختياره لها وكان عليه ان يمحص ما يتفوه به حتى لا يصدر عنه الا ما يرضى به الله تعالى .

وقوله «ما بين فخذيه» يريد بذلك الفرج لأنه منبع الفساد وخراب العائلات والبيئات حيث ان الانسان يتعلق قلبه بمن كان من ارحامه فافشاء الزنا يسبب اهمال الاولاد الحاصلين منه لعدم وجود من يربيهم تربية صحيحة فيعيشون غير كاملى الاخلاق محتقرين بنظر من يعرفهم ناقمين على المجموع الذى جعلهم منقطعين بلا رابطة صلة ولا وشيجة رحم يتعلقون بها لاسيما ان انتشار هذا الداء الفتاك فى امة يقلل نسلها الذى هو الجيل الآتى ويتركها متدهورة فى السقوط ونقصان المال والرجال والهيبة حتى لو كانت فى اوج العلا حالا فان مصيرها الى المحو والهلاك مستقبلا اما تدريجا واما بصورة مستعجلة .

وتأمل ادب الشارع حيث عبر عن الفرج بما بين الفخذين ليعلمنا كيف يجب أن نسلك مع الغير فى مخاطباتنا ومحادثاتنا بانتقاء الألفاظ البعيدة عن كل فحش وسفاهة ومجون .

ومن امعن النظر يجد الشر ينشأ من هذين الشيئين اللسان والفرج فكل الشر فيهما فمن حفظهما فقد استكمل انواع الايمان وحاز على اشرف حلية الآداب والفضائل .

وقوله «اضمن له الجنة» جواب الشرط مجزوم به

وَحَدِيثُ أَبِى شُرَيْحٍ الْخُزَاعِيِّ فيه أَيْضاً «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ» *

قوله «فيه ايضا» اى فى صحيح مسلم وكذلك فى البخارى فيكون متفقا عليه ورواه ايضا الامام احمد فى مسنده . والنسائى . وابن ماجه *

وقوله «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت» اى انه اذا اراد ان يتكلم فان كان ما يتكلم به خيرا يثاب عليه واجبا او مندوبا فليتكلم وان لم يظهر له انه خير فليمسك عن الكلام سواء ظهر له انه حرام او مكروه او مباح مستوى الطرفين فعلى هذا يكون المباح مامورا بتركه مندوبا الى الامساك عنه مخافة من انجراره الى المحرم او المكروه وهذا يقع فى العادة كثيرا او غالبا وقد قال الله تعالى (ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) وقد اخذ الامام الشافعى معنى هذا الحديث فقال اذا اراد ان يتكلم فليفكر فان ظهر له انه لا ضرر عليه تكلم وان ظهر له فيه ضرر أو شك فيه امسك، وروينا عن الاستاذ ابى القاسم القشيرى رحمه الله قال الصمت سلامة وهو الاصل والسكوت فى وقته صفة الرجال كما ان النطق فى موضعه من اشرف الخصال قال وسمعت ابا على الدقاق يقول من سكت عن الحق فهو شيطان اخرس قال فاما ايثار اصحاب المجاهدة السكوت فلما علموا ما فى الكلام من الآفات ثم ما فيه من حظ النفس واظهار صفات المدح والميل الى ان يتميز من بين اشكاله بحسن النطق وغير ذلك من الآفات وذلك نعت ارباب الرياضة وهو احد اركانهم فى حكم المنازلة وتهذيب الخلق، وروينا عن الفضيل بن عياض رحمه الله قال من عد كلامه من عمله قل كلامه فيما يعنيه وعن ذى النون رحمه الله اصون الناس لنفسه امسكهم للسانه والله اعلم اه من كلام النووى على مسلم باختصار *

﴿٣٥﴾ الْأَمَانَاتُ وَمَا يَجِبُ فِيهَا مِنْ أَدَائِهَا الَى أَهْلِهَا * لِقَوْلِهِ تَعَالَى (انَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ الَى أَهْلِهَا) . وَقَوْلِهِ تَعَالَى (فَلْيُؤَدِّ الَّذِى أُؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ) *

قوله «الأمانات» الخ جمع امانة وهى كل ما افترض على العباد كصلاة وزكاة وصيام واداء دين واو كدها الودائع وأوكد الودائع حفظ الاسرار ولعظم هذه التكاليف وصعوبة العمل بها على الوجه اللائق قال تعالى (انا عرضنا الامانة على السموات والأرض والجبال فابين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا) باعتبار اغلب افراد النوع حيث لم يحصل فى عصر من الاعصار ان كان المؤمنون هم اغلبية افراد العالم فكيف لو جمعت الأزمنة كافة ؟ فبهذا الاعتبار حكم على المجموع بانه ظلوم لأنه لم يؤد الامانة التى قبلها بحسن رضائه فخالف الفطرة الاصلية وعصا قلبه متبعا هواه جهولا حيث اضاع الأجر العظيم الذى وعده الله عليه من دخول الجنة فالرضاء الذى يحل عليهم فلا يسخط ابدا *

فان قيل ان الامانة هى التكاليف وقد رضى بها الناس جميعا لأن الكفار مكلفون باحكام الشريعة فينبغى ان يكونوا مأجورين من هذه الجهة ايضا فالواجب كما افاده الفخر الرازى ان الفعل اذا كان على خلاف الأمر لا يستحق الاجر فلو قال لعامل احمل هذه الأغراض الى قرية فحملها الى اخرى فى جهة ثانية لا يستحق العامل اجرا لمخالفته بل يجب عليه ضمان الغرر وبما ان الكافر لم يؤد ماقبله بفطرته السليمة وعمل بالعواطف وهوى النفس فهو يستحق العقاب والعذاب الدائم وانما لم تحملها السموات والأرض لفقدانها مزية العقل والادراك التى بها امتاز البشر

على بقية المخلوقات ان عمل بموجبها ٭

وقوله «ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها» المروى عن زيد بن اسلم ان هذا خطاب لولاة الأمر فى اداء واجب الوظيفة حفظا لحقوق الرعية من ان يصيبهم اجحاف او ظلم لأن ازالة ذلك حق فى رقبة الولاة واجب عليهم فهم المسؤلون عن كل ما يصيب الأمة من ضرر واذى لاختيارهم منصب الرآسة وعليهم ان يقوموا بواجب التربية والشريعة فان فعلوا ذلك فلهم من الأجر ما لا يمكن حصره لتضاعفه بمقدار من عمل به تتسع دائرة حسناتهم بقدر ما ينتشر العدل والاصلاح وإقامة شعائر الدين وعليهم من المسئولية بمقدار ما يعم من الظلم فهم المتحملون لكل وزر ومسئولية عامة كما ان لهم الأجر العام ولذلك كان كتاب النبى صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الى قيصر ملك الروم « أما بعد فانى ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين فان توليت فان عليك اثم الاريسيين – اى العمال والفلاحين – وياهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون ٭

وقوله « فليؤد الذى اؤتمن امانته » نزلت هذه الآية فى الذى ائتمن اخاه ولم يشهد عليه ولم يأخذ منه رهنا أى هذا المديون يجب ان يتقى الله ولا يجحد لأن الدائن لما عامله المعاملة الحسنة حيث عول على امانته ولم يطالبه بالوثائق من الكتابة والاشهاد والرهن فينبغى لهذا المديون أن يتقى الله ويعامله بالمعاملة الحسنة فى ان لا ينكر ذلك الحق وفى ان يؤديه اليه عند حلول الاجل اه من الفخر الرازى ومن المعلوم ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فالمقصود وجوب اداء كل امانة واما هذه بخصوصها فيجب ان تكون المحافظة عليها اهم لأنها عبارة عن تأسيس تبادل الثقة التى هى حياة الامة ولهذا كان التشديد على حفظ الامانة عظيما

وَلِحَدِيث أَبِى هرِيرة رضِىَ اللهُ عنه « أدِّ الأَمانَةَ الى مَن ائتمنكَ ، وَلاَ تَخُنْ مَنْ خَانَكَ » وَلِحَدِيثِه فى الصَّحِيحَيْنِ ، « ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه

حتى انه روى الطبرانى عن ابن عمر لا ايمان لمن لا امانة له ورواية البزار لا دين لمن لا امانة له ولا صلاة له ولا زكاة له اه . وهذا حق مشروع لأن من لا امانة له كاذب فى عبادته فلا ينبغى ان يحكم الانسان على رجل بمجرد صلاته انه رجل طيب فان سيدنا عمر لم يرض بتزكية من عدل شخصا لكثرة صلاته وقال له هل عاملته بالصفراء والبيضاء الى اخره فالدين المعاملة ولا عبرة بالظواهر ولا سيما فى عصرنا هذا فقد اتخذ الناس العبادة شركا لاصطياد الناس والاستيلاء على اموالهم ولهذا قال تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقد حذرنا الرسول عن قوم بقوله كما رواه البخارى « يحقر احدكم صلاته عند صلاتهم وصيامه عند صيامهم ايمانهم لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » فالدين المعاملة واعظم دعامة لها هى الامانة *

ترك المصنف عزو الحديث إلى مخرجه خلاف عادته، ولعله سهو منه عفى الله عنه ، وعزاه الحافظ السيوطى إلى البخارى فى تاريخه الكبير وسنن أبى داود والترمذى وحسنه والحاكم عن أبى هريرة ، والدارقطنى . والحاكم والضياء المقدسى عن انس بن مالك ، والطبرانى وكذا ابن عساكر عن أبى امامة الباهلى ، وابى داود والدارقطنى عن ابى بن كعب ، واختلف علماء الحديث فى تصحيحه فصححه جماعة منهم ابن السكن، وضعفه اخرون منهم ابن الجوزى لكن كثرة طرقه تقويه هذا فى السند واما المتن فصحيح المعنى

قوله « اد الأمانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك » هذا الحديث يمثل مزية الدين الاسلامى وانه دين السماح ودين العفو ودين المرحمة حيث يقابل المسئ بالاحسان والظلم بالرحمة والجور بالعدل

فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم . اذا حدث كذب . واذا وعد أخلف . واذا ائتمن خان » *

والتعدى بالصفح وانه ليشير الى آية (فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم) فلانؤاخذه بما فعل ونغمض النظر عن عيوبه فنتجاهل عنها ليرتدع ويعود الى الصواب اذا كان حرا كامل الادراك حسن الفكرة *

وما قتل الاحرار كالعفو عنهم ومن لك بالحر الذى يحفظ اليدا

ولكن لما كانت الأمة غير متساوية فى الاخلاق والتصور والتحمل جعل الشارع هذه مرتبة كبرى للذين لهم قدم راسخ فى الايمان وتحقيق فى الدين واما الجماعة الذين لايزالون فى دور البدء او فى حالة الغفلة ولم يصلوا الى تلك المرتبة فقد اباح لهم الشارع أن يأخذوا حقهم بلا ظلم ولا تعد قال تعالى (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليكم) وهذه رخصة لمن رأى ان نفسه لاتطيب بالمسامحة لأن نفسه لم تهذب كما ينبغى ولايزال مدفوعا بالعوامل النفسية *

قوله «فهو منافق وان صلى وصام» الخ اشارة الى وجوب عدم الاغترار بالصورة والاعمال الظاهرة فلايجوز ان نسىء الاعتقاد باحد ولكن لايسوغ لنا ان نقدسه قبل ان نعرف ما تنطوى عليه نفسه فكيف نثق بالرجل الكذاب ولو كان اعلم الناس ؟ ولاسيما بعض المشايخ الذين يزعمون ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يحضر دروسهم وغير ذلك من الافك العظيم ليحصلوا على شهرة ومكانة ونسوا عذاب الله وان ربك لبالمرصاد . ولا ينبغى ان نثق بالخائن ولو كان اكثر الناس عبادة ولا نعتمد على مخلف الوعد وان ظهر بمظهر الصلاح والورع . فالدين لم يترك لناشيئا من الخير الا امرنا به ولا جزءا يسيرا من الشر الا نهانا عنه ؟ وحاشاه ان يقبل

﴿٣٦﴾ ، تَحْرِيمُ قَتْلِ النُّفُوسِ وَالجِنَايَاتِ عَلَيْهَا لِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ) الآيَةَ وَلِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ) الآيَاتِ ٭

وَلِحَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ « قِتَالُ المُسْلِمِ كُفْرٌ وَسِبَابُهُ فُسُوقٌ » ٭

التغفل وان يكون المؤمن مغفلا يصدق كل ماقيل له ويتبع كل ناعق بل لو صدف ان وقع مرة فلا يحق له ان يقع فيها مرة أخرى بعد قوله صلى الله عليه وسلم كما فى مسند الامام احمد والصحيحين عن ابى هريرة « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » ٭

قوله « تحريم قتل النفوس » وهو من اكبر الكبائر واجمعت الأمم قاطبة على تحريمه فلم يجوزه شرع ولم يستحسنه عقل لأنه طاعة النفس فى داعية الانفعال والغضب وهو اعظم سبل الفساد فى الأرض فيما بين الناس لمخالفته لسنة الله فى ارسال الرسل ونشر الاديان محافظة على بقاء النوع الانسانى وتكثير افراده وعيشهم بلا تعد على بعضهم ولا تجاوز بل ان القتل تغيير لخلق الله حيث يسعى فى ازالة الموجود وافناء الحاضر واسكات الناطق واسكان المتحرك فيكون هادما لبنيان الله العجيب الذى هو الانسان الجرم الصغير الذى انطوى فيه العالم الأكبر . فيكون جزاء فاعل هذا الجرم العظيم جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه كما ان الساعى لابقائها له الأجر العظيم كما قال تعالى (ومن احياها فكأنما احيا الناس جميعا) ٭

قوله « قتال المسلم كفر وسبابه فسوق » الذى فى الصحيحين « سباب المسلم

وَحَدِيثه فى صَحِيحِ البُخَارِى ، « أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ القِيامَة فى الدِّماء » *

وَلحديث ابْن عُمَر رضى الله عنهما فى الصَّحيحَيْن « لَا يَزَالُ المُسْلِمُ فى فَسحة من دِينه مالم يصب دماً حراما » *

(٣٧) تَحْرِيمُ الفُرُوج وَمَا يَجِبُ فيهَا من التَّعَفُّف لقَوْله تعالى

فسوق وقتله كفر » ولعل المصنف اخذ المعنى من الصحيحين لاعتماد اكثر الناس عليهما واخذ اللفظ من رواية الترمذى الموافقة لما نقله المصنف وانما كان قتال المسلم كفرا لمن استحل ذلك فان استحلال كل محرم معلوم من الدين بالضرورة كفر اما ان كان غير مستحل ذلك فيصدق عليه بكفران النعم حيث عمل خلاف ما اراده الله وعكس حكمته تعالى *

« قوله أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة فى الدماء » لأنها أعظم الذنوب واقبح الافعال واسوأ المعاملات ولا تنافى بين هذا الحديث وبين حديث النسائى عن ابى هريرة مرفوعا « اول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة » فان هذا فيما بينه وبين ربه ولذلك جعله حسابا واما الحديث الذى اورده المصنف فانه من المعاملات بين الناس ولذلك قال يقضى أى بينه وبين خصمه وفرق بين القضاء وبين المحاسبة *

وقوله « لا يزال المسلم فى فسحة من دينه مالم يصب دما حراما » فاذا اصاب دما فقد ضاق عليه الأمر لما اوعده الله من العذاب الاليم والعقاب الشديد ولأن العفو مبنى على مسامحة المقتول بعد ارضاء ورثته بالقود او الدية وقد خرج السماح عن دائرة الامكان فى الدنيا فلا يمكن ذلك الايوم

(وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ) وَقَوْلِهِ تَعَالَى (وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ)، (وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ) (وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا)

القيامة ولا شك ان هذا هو منتهى الضيق وغاية الكرب والازدراء ٭

وقوله « تحريم الفروج » اى الزنا واللواطة ويزاد على التحريم ان جعل لها حدا خاصا وذلك لكثرة وقوعه بحسب النفس البهيمية عند هيجان الشهوة والشبق عند وجود دواعيه من جمال امرأة او مداعبتها او الخلوة بها فوضع الحد مع الحرمة اذ يجوز ان تتغلب العاطفة على العقل فلا يلتفت الى ما ينتج من العار العظيم ووقوع العداوة واستحكامها الى حالة قد تكون سببا فى سفك دماء كثيرة ولهذا جعل الشارع الشهادة عليه باربعة شهود عليه فى الدنيا كى لا ينتشر الفساد فى الأرض وان كان فى الآخرة قد اعد له العذاب الاليم لأن الله يمهل ولا يهمل ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم ٭

واللواطة داخلة طبعا فى الزنا بل هى اسوأ حالا منه لأنها مخالفة لسنة الله فى تكثير نسل النوع البشرى وتعطيل التناسل الذى حث عليه الشارع حتى جعله عبارة عن السنة ولهذا احرق ابو بكر بالنار لوطيا باتفاق الصحابة لشناعة فعله ولأنه مخالف للطبيعة ينفر عنه كل صاحب ذوق سليم ولذلك اختلفوا فى حده فقال بعضهم: القتل مطلقا وقال بعضهم: حد الزنا رجم المحصن حتى يموت وجلد غير المحصن أى غير المتزوج وتغريبه عاما واحدا وروى البيهقى عن جابر بن عبد الله « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من اخوف ما اخاف على هذه الامة عمل قوم لوط » اه

وقد صدق رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم فقد انتشرت هذه الجرثومة المضرة والفعلة القبيحة وتطاير شرر ضررها وعم فسادها وراج

وَلِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ الْمُؤْمِنُونَ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ» ۞

سوقها فراج الكساد وعم الغضب وارتفعت البركة وكثرت الفتن وغلت الاسعار وصارت الارواح تذهب هدراً وتعدد الخسف والخراب بالزلازل وطغيان المياه والحريق غفرانك ربنا واليك المصير ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب ۞

«قوله لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» الخ اى اذا استحله لأن استحلال ماعلم تحريمه من الدين كفر كما قلناه سابقا او انه محمول على كمال الايمان فان نفى كمال الايمان الزاجر عن المعاصي لايخرج المسلم من الايمان خلافا للخوارج وللحسن البصري كما في شرح النسفية القائل بكفر مرتكب الكبيرة وخلافا للخوارج الذاهبين الى أنه منزلة عذاب دون عذاب الكفر ۞

ويحتمل عندي وانه الارجح ان الايمان يسلب عنه حال تلبسه بالمعصية ويعود اليه بعد الاقلاع عنها ، ويؤيده قول ابن عباس الآتي فعن عكرمة قلت لابن عباس كيف ينزع منه الايمان قال هكذا وشبك بين اصابعه ثم اخرجها فان تاب عاد اليه هكذا وشبك بين اصابعه ، ويستدل على ذلك بما في سنن ابي داود والحاكم من طريق سعيد المقبري بسند صحيح عن ابي هريرة رفعه «اذا زنى الرجل خرج منه الايمان فكان عليه كالظلة فاذا اقلع رجع اليه الايمان» وعند الحاكم من طريق ابن حجيرة انه سمع اباهريرة رفعه من زنى او شرب الخمر نزع الله منه الايمان كما يخلع الانسان قميصه عن رأسه ۞

(٣٨) قَبْضُ الْيَدِ عَنِ الْأَمْوَالِ وَيَدْخُلُ فِيهَا تَحْرِيمُ السَّرِقَةِ * وَقَطْعِ الطَّرِيقِ وَأَكْلِ الرِّشَا وَأَكْلِ مَالًا يَسْتَحِقُّهُ شَرْعًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى:

قوله «تحريم السرقة» هي اخذ انسان مكلف خفية قدر ربع دينار محرز بمكان او حافظ بلا شبهة وهذا تعريف لما يوجب الحد وهى قطع اليد اليمنى فان كان اقل من المقدار المذكور فانه يوجب التعزير بما يستحقه المجرم حسبما يراه الحاكم كافيا لتأديبه مع ملاحظة اعتبار الغير به ليمتنع عن مثل عمله *

وانما جعل الشارع لها حد القطع لان الاشخاص الذين جبلت نفوسهم على التقاعد والكسل والنظر الى ما فى ايدى الناس من المال مع شره النفس الخبيثة يميلون الى السرقة لأنها اقل تعبا وكلفة واكثر ايرادا ومكسبا فيستفيد احدهم من الخلسة فلا يجد له ما يردعه عن ارتكاب السرقة الا حدا كبيرا فى قطع عضو من انفع اعضائه واعزها لديه والزمهم اليه لأن المال عرض زائل، وفي مذهب الامام الشافعى ان عليه الضمان مع قطع اليد فيبقى خاسرا فى الدنيا كما يكون خاسرا فى الآخرة اذا لم يطهره الحد مع التوبة منه على ان لا يعود فيضطر لأن يحارب الطمع ولا يلتفت الى الهوى ووساوس الشيطان لعلمه بما يصيبه من ضمان المال وايلام القطع ونقصان القوة العاملة والعار الذى يلصق به ولا يفارقه اصلا وعدم قبول شهادته حتى تتحول نفسه الى حالة ثانية يكون فيها معروفا بين الناس بالصدق والاخلاص وحسن المعاملة واداء حقوق الله تعالى وحقوق العباد *

قوله «وقطع الطريق» اى منع الناس من المرور فى الطريق لاخذ ارواحهم او سلب اموالهم معتمدا على قوته او سلاحه سواء اكان فى المصر ام كان فى الصحراء وهو اشد جزاء من السرقة لاعتماد فاعله على الظهور والقوة

ولانه يخيف الناس ويرفع الأمن المطلوب لكل احد ولهذا كان حده جسيما وجزاؤه مضاعفا لأنه ان القى عليه القبض قبل توبته وانابته الى ربه ففيه تفصيل فان كان قاتلا وءاخذا للمال فيقتل ويصلب على خشبة تشهيرا له ليرتدع بقية المجرمين امثاله وتراه الناس فيزول من ذهنهم ماارتكز من خوف وخشية وان قتل فقط يقتل لأنه يجوز ان تكون غايته غير قطع الطريق حيث لم يأخذ مال احد فحده القتل فقط وان اخذ مالا فقط فيجازى بقطع يده ورجله من خلاف لأنه اشبه السارق فقطعت يده وزاد عليه فقطعت رجله لذلك ولأنه اذا حدثته نفسه بقطع الطريق مرة اخرى تخونه رجله المقطوعة لأنه يجوز ان يخفى يده ويستعمل الثانية معتمدا على ماله من الهيبة فى قلوب السائرين فى الطريق اما اذا رأوه لايستطيع المشى فيذهب هذا الاحتمال وان قطع الطريق ولم يقتل احدا ولم يأخذ مالا كان جزاؤه النفى حسبما يراه الامام الى ان يعلم ان شره قد زال وقد تاب توبة نصوحا واستقامت احواله، وانما كان الجزاء شديدا لأن الدافع لهذا العمل هو جمع المال اولا بسهولة والاستحصال على الشهرة والنفوذ لأن لذة الظفر والغلبة يعجز القلم عن ذكر جزء يسير منه . واما من تاب قبل ان يقدر ولاة الأمر عليه فان كان قاتلا فتناط قضيته بورثة المقتول ان شاءوا اقتصوا منه وان ارادوا أخذوا الدية أو سامحوه بها وان اخذوا اموالا فلا بد من الضمان بان يؤدى لأرباب الحقوق كل مالهم فليعيد الموجود ويضمن المفقود*

قوله «واكل الرشا» وهو تناول الحاكم شيئا من الأموال مما لايستحقه لا فرق بين ان تكون لاحياء باطل او احقاق حق لقوله تعالى :(ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل) هذا فى المرتشى واما الراشى فانه يحرم عليه دفع شىء الى القاضى اذا كان يريد بعمله احقاق الباطل اواماتة حق وعليه

تحمل الاحاديث الواردة بهذا الخصوص ، روى الامام احمد فى مسنده وأبوداود والترمذى وابن ماجه عن عبدالله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « لعن الله الراشى والمرتشى » وروى الامام احمد ايضا والترمذى والحاكم عن ابى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لعن الله الراشى والمرتشى فى الحكم » وروى الامام احمد فى مسنده ايضا عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لعن الله الراشى والمرتشى والرائش الذى يمشى بينهما » واما اذا كان محقا فى دعواه ولكن القاضى لا يرضى ان يقيم حقه الا بتناول رشوة فان دفعها اليه حينئذ رخصة فى حقه ان شاء فعل وان شاء لم يفعل واما القاضى فانه ءاثم قطعا لانه أصبح من الفريق الذين حرم الله عليهم طيبات احلت لهم بظلمهم واكلهم اموال الناس بالباطل *

ومع ان الله تعالى حرم هذا الفعل فى جميع الشرائع لا يرضى به العقل ونسبته الى شخص من اكبر العيوب فانه اصبح مرضا ساريا وداء عضالا لم يترك امة الا ودخل فى نفوس حكامها وامرائها ولاسيما فى عصرنا الحاضر هذا فان الكارثة اشد وطأة والمصيبة اكبر واجسم وما من ناصر للحق ولا مغيث للمظلوم فقد يبقى البرىء سنين عديدة فى السجن لان ماليته فى الحقيقة لا تساعده على دفع شىء واما فى الصورة فان التحقيقات لم تنته والشهود لم يكملو او المعاملة فيها نقصان والمحامى لم يتمم دفاعه او اعتراضه والمدعى العام لم يبد رأيه ومن اغرب ما علمت انه فى دور الحكومة التركية اتهم رجل بسرقة حمار وبقى مسجونا فى سجن حلب قريبا من سبع سنين مع انه برىء واخيرا وجد من لقنه الاقرار بجرم السرقة فحكمت عليه المحكمة بالسجن ثلاثة اشهر وذهبت السنون الطوال هدرا *

(وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالبَاطِلِ) وَقَوْله تَعَالَى : «فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ » الى قَوْله : « وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالبَاطِلِ » وَقَوْله : « وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ » وَقَوْله :

ليت شعرى لو كان غنيا اما كانت حضرة الرشوة المحترمة سببا فى اخلاء سراحه أو على الاقل متى بقى في السجن مدة لا يساعد القانون على حكمه باكثر منها ان يترك ريثما تتم التحقيقات *

بمثل هذه الاساليب يضطر الرجل لتقديم الرشوة التى عمت الى أن ارتقت الى الأمراء فبيع الشرق بثمن بخس استوفاه المشترون الاستعماريون فى بضعة ايام وبقيت البلاد ومن عليها ربحا ومكسبا *

فقاتل الله الرشوة التى كان الشر مقلوب حرفيها الأولين وزادت عليه حتى لم يعد له اسم يذكر فاصابنا ما اصابنا منها ونحن لا نأبه لذلك فانا لله وانا اليه راجعون *

قوله «واكل مالا يستحقه» اى من جميع الانواع التى لا يسوغ الشارع تناولها من أخذ بيمين فاجرة اومن طريق غش او من طريق رشوة او سرقة او اى شيء آخر سواء اكان بتطفيف الكيل وترجيح الوزن عند الشراء ونقصانهما عند البيع ام كان بطريق الاغفال وخيانة الامانة فكل ذلك ارتكابه مخالف للايمان والعدول عنه من اعظم شعب الايمان فقد اوعد الله من ارتكب مثل هذه الموبقات فقال ماذكره المصنف (ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون) فلهم العذاب الشديد والنقمة الكبرى والغضب العام ، وكان ظلم بنى اسرائيل واكلهم اموال الناس بالباطل سببا فى تحريم طيبات كانت حلالا

« وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ » ﴿

وَلِحَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِمِنًى فَقَالَ : « إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ » الْحَدِيثَ ﴿

على اسلافهم الصالحين ﴿

قوله « ان دماءكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام » أى لا يحل منها شيء واكد ذلك حيث كان هذا الحديث فى اشرف المواقع وافضل الايام واكمل حالات العبادة حيث كان فى يوم الجمعة يوم عرفة والنبى صلى الله عليه وسلم محرما بحجة الوداع فتأكيد ذلك وتبيينه فى مثل هذا المحفل العظيم اشارة الى ان الدين لا يبيح شيئا من ذلك فلا يحل الدم الا ان يكون قاتلا او زانيا محصنا والمال لا يحل اخذه الا استيفاء حق واما العرض وهو موضع المدح والذم من الانسان فلا يحل انتهاكه بوجه من الوجوه ولذلك كان تكملة الحديث تشبيهها بما لا يحل جاهلية ولا اسلاما حيث قال « كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا » وفيه دليل على جواز ضرب الامثال والحاق النظير بالنظير كما قاله الامام النووى فى شرح مسلم *

قوله « حرمت عليكم الميتة » الخ وانما حرم الله بالنص هذه الاشياء الاربعة لما ينشأ عنها من الاضرار فان الميتة بجميع انواعها لم تمت الا وقد زالت عنها المنفعة وأصبحت ضررا لعروها عن المنفعة حتى انك ان عرضت شيئا من لحومها على النار ينكمش ويتقلص كلحمهم المذبوح مما لا يخفى على الذين يعرفون

(٣٩) وُجُوبُ التَّوَرُّعِ فِى المَطَاعِمِ وَالمَشَارِبِ وَالاجْتِنَابِ عَمَّا لَا يَحِلُّ مِنْهَا ✲

لِقَوْلِه تَعَالَى : (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ

الطب ومافصل فى مضار الميتة واما الدم فلأنه عبارة عن مجموعة جراثيم وهومركز الأمراض ومحل ظهور العلل والفساد غالبا يكون منه فحرمه الله لأجل المصلحة اذ قد يتوهم انه خلاصة الجسد فيطمع فيه وتنشب فيه الأمراض التى كانت كامنة فى الدم ✲

قوله «ولحم الخنزير» لأنه لايخلو من الدودة الوحيدة المعروفة بالفتك فى كل من اصابته وقلما ينجو منها من حصلت له وايضا فان الانسان يظهر فيه مادة غذائه والخنزير هو اقل الحيوانات على الاطلاق غيرة على انثاه ولهذا تجد غالب الذين يقتاتونه قد فقدوا الغيرة ولا يهمهم الزنا ولا كلمة عرض ولانحو ذلك فحذر الله منه محافظة للصحة والأخلاق واماما اهل لغير الله فلا يخفى ضرره لأنه اعتراف بنكران الصانع الحقيقى ومناف للتوحيد الذى جاء به الانبياء كافة ودعت اليه جميع الشرائع الا ماتنسخ وصار العوبة لرجال الدين التابعين له فحرم ما أهل لغير الله تنفيرا من الشخص الذابح ولكى تنقطع علاقة الموجودين عن غيرهم لكى لا تسرى عليهم امراضهم الاعتقادية لأن الانسان قد يستحسن القبيح اذا كثرت مشاهدته له فقلعا للشر من اساسه حرم الله علينا الاستفادة من ذلك خشية ان تكون سببا في افساد عقائدنا التى تجتهد الشريعة فى المحافظة عليها وصونها من عبث العابثين ✲

اللهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ) الآيَة، وقوله تعالى : (قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ) وقوله تعالى : (إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ)

قوله «انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه» لأنها من اقبح القبائح ولذلك جعل الشارع قربها حراما ففعلها بطريق الاولى لان منع الاجتناب أبلغ من تحريم الشيء نفسه وذلك لأن التحريم قد لايمنع المشاهدة التى قد ينخدع الانسان بها وهذه الأربعة هى الرجس العظيم لأن الخمر ام الكبائر واساس القبائح وانك لو فحصت الجرائم تجد معظمها حاصلا أثناء عربدة السكر واما الشر والنزاع فانه لايبرح مستفحلا مادامت الخمر مستعملة وهذاماحدا بالأمريكيين ان يحرموه ويطاردوا الذين يستعملونه ويجازونهم باشد الجزآء وانكل العقاب الرادع نظرا لماتحملوامن مساويه والعجب ان ديننا يحرمه ونحن لانأبه لهذا ومن اغرب ماقرأت فى الجرائد المصرية ان جمعا طلبوا منع المسكرات اسوة بامريكا كأنهم يخجلون ان يقولوا دين الاسلام يحرم ذلك لأنهم لايعابون اذا اقتدوا بامريكا نظرا لأنها قوية والعادة الجارية ان الانسان لايقلد الا القوى اما الدين الاسلامى فانه لمافقد من يذب عنه اصبح لايصلح للاستشهاد واقامة الحجة ولو على من يدعون الاسلام ويزعمون الايمان ٭

وقوله «والميسر» هو القمار وانه لشر عظيم وبلاء مستطير يحدث اسوء الفعال ويورث اقبح الطباع لايخلو من مشاحنة وبغضاء اذا عرا عن انتحار واغتيال اذا كان كل من اللاعبين طامعا فى اخذ مال صاحبه على أن النتيجة فى الطرفين خسران لأن المستهلك يحصل من المال المجموع ولذلك تجد المقامرين بحسب الجمع اموالهم فى نقصان لأن نموها غير ممكن اللهم الا من السرقة وارتكاب الفظائع وهذا هو الشر الذى يجب اجتنابه. تجد المقامر بينما هو لابس أفخر الثياب واذا به عار لايملك خبز يومه ولاقوت ساعته يستعطى الناس وقد يبلغ به الامر الى السعى لأخذ مال الغير بلا وجه مشروع فيكون آلة لترويج الشر ونشر الفساد بين الناس وهذا هو الخسران المبين، واما الكاسب فانه يبذر ماله لانه لم يتعب به فلا يلبس الا اياما يسيرة حتى يكون عرضة للضياع والهلاك وقد نكب الشرق بمصيبة القمار سواء اكان بمسابقة الخيول او برمى الطيور أو بغير ذلك من الالعاب التى اتخذها الاجنبى فى بلادنا فخا لاختلاس اموال الشرقيين موهما بكسب جزئى مع انه بالنسبة لما يجمعه ضرورة شيء ضئيل لأن الربح للشركة قطعا والناس غافلون واموالهم تتسرب الى اعدائهم وهم ينظرون *

وقوله «والانصاب» هو الذبح لغير الله وقد تكلمنا عليه قبل *

قوله «والازلام» وهى عبارة عن عدة اسهم موضوعة فى كنانة يستخرج منها سهما فان كان فيه افعل فعل وان كان فيه لاتفعل ارتدع وهذا وان كان لا يوجد الآن ولكن من نوعه الاشياء كثيرة كالطيرة وعثرة الدابة ورؤية الارنب وغير ذلك من الخرافات التى تكون سببا لعدل المسافر أو تشاؤمه من سفرته كل ذلك حركات صبيانية اجتنابها من شعب الايمان النافعة دنيا واخرى *

الآيات ، وقوله تعالى : (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير) الآية فأثبت فيها الاثم وقال فى آية أخرى : (قل إنما حرم ربى الفواحش ماظهر منها ومابطن والأثم والبغى بغير الحق) فحرم الاثم نصا ، ويقال : إن الاثم اسم من أسماء الخمر وينشده

شربت الاثم حتى ضل عقلى   كذاك الاثم يذهب بالعقول

ولحديث عائشة رضى الله عنها فى الصحيحين «سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن البتع فقال كل شراب أسكر فهو حرام»☼

قوله (قل فيهما اثم كبير) لما ينتج عنهما من الشرور والفتن واحداث القلاقل شأن السكران والخسران بقطع النظر عن اضاعة العقل واضرار الجسد فى الأول واتلاف المال فى الثانى ☼

قوله (انما حرم ربى الفواحش ماظهر منها وما بطن) لأن اصلاح النفس الواحدة مطلوب كاصلاح المجموع بل الثانى متوقف على الأول نه ليس الاعبارة عن افراده فالفاحشة حرام فى الظاهر والباطن فلا تحل المحرمات ولو كان الانسان فى وسط بيت مغلوق عليه فان الله رقيب عليه ومطلع على أعماله وافعاله .

(١) قوله «البتع» بكسر الباء الموحدة وسكون التاء الفوقية نبيذ العسل وهو خمر اهل اليمن فتأمل قول الرسول الأعظم ﷺ كل شراب أسكر فهو حرام لأن المراد تحريم كل مايزيل العقل بسكر اى انه يؤدى هذا الفعل عن لذة يجدها الانسان وأما مايزيل العقل ولو بالنوم فان هذا يوجد فى جميع

وَحَدِيث ابن عُمَرَ رَضِىَ اللهُ عَنهمَا فى صَحِيحِ مُسْلِمٍ «كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ وَكُلُّ خَمْرٍ حَرَامٌ» * وَحَدِيثه فى الصَّحِيحَين «مَنْ شَرِبَ الخَمْرَ فى الدُّنيَا ثُمَّ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا حُرِمَهَا فى الآخِرَةِ» *

وحديث أبى هريرة رضى اللهُ عنه فيهما «أُتِىَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ تعالى عليه وسلم ليلة أُسرى به بإيلياء بقدحين خمر ولبن فنظر اليهما ثُمَّ أخذ اللبن فقال له جبريل عليه السلام : الحمد لله الَّذى هداكَ للفطرة لو أخذت الخمر لغوت أمتك» *

أنواع المأكولات فان الانسان لو أكثر من أكل الخبز فى مجلس واحد يحس بدوران فى رأسه ولا يلبث أن ينام فلا يقال الخبز حرام بل المدار على المسكر الذى يوصل الانسان الى حالة يستلذ بها ويتخيل أنه تطور حتى اصبح فى مصاف العظماء كما قال المنخل اليشكرى :

واذا شربت فاننى رب الخورنق والسدير
واذا صحوت فاننى رب الشويهة والبعير

وهذا هو السكر بعينه ، والخورنق قصر للنعمان بن المنذر اللخمى أحد ملوك العرب ، والسدير نهر فى الحيرة له أيضا *

قوله «الحمد لله الذى هداك للفطرة» لأنها تحث على النافع وتمنع من الضار واللبن لا شك انه كله منفعة يتغذى به الصحيح والعليل والكبير والصغير ومهما تقلب فى تطوراته فهو منفعة بحتة ويؤدى وظيفة انواع الأغذية لاشتماله على المواد المغذية والسكرية فهو غذاء وفاكهة ويؤدى وظيفة الارواء وخال عن التكلف والعناء بخلاف الخمر فانها مضيعة للعقول ومضرة

وَحَدِيثُهُ فِيهِمَا «وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ الشَّارِبُ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ» الْحَدِيثَ(١) وَبِهِ أَنَا الْبَيْهَقِيُّ بِإِسْنَادِهِ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ بِنَبِيذٍ إِلَى أَحَبِّ خَلْقِ اللهِ إِلَيْهِ حَتَّى أَفْسَدَهُ يَعْنِي الْعَقْلَ، وَقِيلَ لِبَعْضِ الْعَرَبِ لِمَ لَا تَشْرَبُ النَّبِيذَ؟ فَقَالَ وَاللهِ مَا أَرْضَى عَقْلِي صَحِيحًا فَكَيْفَ أُدْخِلُ إِلَيْهِ مَا يُفْسِدُهُ(٢) وَعَنِ الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ أَنَّهُ قَالَ لِابْنٍ لَهُ يَا بُنَيَّ إِيَّاكَ وَالنَّبِيذَ فَإِنَّهُ قَيْءٌ فِي شِدْقِكَ وَسَلْحٌ عَلَى عَقِبِكَ وَحَدٌّ فِي ظَهْرِكَ وَتَكُونُ ضُحْكَةً

بالأجسام متلفة للمال وهى نفسها تكلف بعملها الذى يحتاج لزمان وبشربها الذى يمتعض منه الانسان حيث تجرح بحرارتها حلقومه وتلذع فمه فهى خلاف الفطرة وينفر منها الذوق السليم ٭

(١) تقدم البحث فى ذلك عند قوله «لا يزنى الزانى» الخ فى صفحة ١٢٧

(٢) أى العقل لأنه لاشىء يوازيه فى الثمن فهو الكل فى الكل وبه امتاز الانسان على غيره ولذلك قال عباد لو كان العقل علقا ـ أى شيئا نفيسا ـ لتغالى الناس فى شرائه فالعجب من أقوام يشترون بأموالهم ما يذهب بعقولهم والاغرب انه أصبح الآن من متممات المدنية يتباهون ويتفاخرون به من يبرهنون لنا على أن المدنية الحاضرة أساسها الفساد وأركانها الضرر والاضرار وانتشار الظلم والبغى وتعميم الشر وايذاء العباد الضعفاء .

(٣) قوله «فى شدقك» لأن السكران لا يفارقه القىء فشدقاه يحتويان على هذه المادة القذرة وقوله وسلح على عقبك لأنه لايدرى مايفعل فهو غالب يسلح على نفسه ويلوث ثيابه حتى تسيل على عقبيه ، وقوله «وحد فى ظهرك»

لِلصِّبْيَانِ وَأَسِيرًا لِلدَّيَّانِ * وَعَنْ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ أَنَّهُ قَالَ لِابْنِهِ يَا بُنَيَّ مَا يَدْعُوكَ إِلَى النَّبِيذِ قَالَ يَهْضِمُ طَعَامِي قَالَ وَاللهِ بُنَيَّ هُوَ لِدِينِكَ أَهْضَمُ *

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ إِدْرِيسَ *

كُلُّ شَرَابٍ مُسْكِرٍ كَثِيرُهُ ... مِنْ تَمْرَةٍ أَوْ عِنَبٍ عَصِيرُهُ

فَإِنَّهُ مُحَــــرَّمٌ يَسِيرُهُ ... إِنِّي لَكُمْ مِنْ شَرِّهِ نَذِيرُهُ

وَعَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي الدُّنْيَا أَنَّهُ أَنْشَدَهُ أَبُوهُ :

وَإِذَا النَّبِيذُ عَلَى النَّبِيذِ شَرِبْتَهُ ... أَزْرَى بِدِينِكَ مَعَ ذَهَابِ الدِّرْهَمِ

وَأَنْشَدَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ :

أَرَى كُلَّ قَوْمٍ يَحْفَظُونَ حَرِيمَهُمْ ... وَلَيْسَ لِأَصْحَابِ النَّبِيذِ حَرِيمُ

إِذَا جِئْتَهُمْ حَيَّوْكَ أَلْفًا وَرَحَّبُوا ... وَإِنْ غِبْتَ عَنْهُمْ سَاعَةً فَذَمِيمُ

وهو الجلد أربعون الى ثمانين او ثمانون وقوله وضحكة للصبيان لأن شأنهم أن يجتمعوا على السكران لأنهم يرونه أقل منهم عقلا لذلك يعبثون به لأن عقولهم وان كانت صغيرة فهى على حالها اما هو فانه لا يفرق بين شىء مطلقا وقد حكى لى من أثق به أن شخصا وقع من سكره فجاء شاب وشرع يبول عليه حتى عممه من رأسه الى قدمه فلما أحس بحرارة البول شرع ينادى انسكب أيها المطر المبارك والناس تضحك منه وقوله «اسير للديان» يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار *

أخاهم إذا ما دارت الكأس بينهم ... وكلهم رث الوصال سؤوم

فهذا ثنائي لم أقل بجهالة ... ولكن بحال الفاسقين عليم

(فصل) في صحيح مسلم وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه يا أيها الناس إن الله طيب (١) لا يقبل إلا طيباً وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم) وقال (يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً) وقال: (يا أيها الناس كلوا من طيبات ما رزقناكم) ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر (٢) يمد يديه إلى

---

(١) قوله «طيب» أي مقدس عن النقائص والآفات ومنزه عن العيوب والعاهات فلا يقبل من الاعمال الا الحسن المقبول الموافق لأمره تعالى فهو الغني المطلق منزه عن الاحتياج في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله لا تنفعه الطاعة ولا تضره المعصية وانما تنفع الطاعة فاعلها وتؤذي المعصية مرتكبها فلا يقبل الله الاعملا جرى وفق أمره ويرفض كل ما جاء منكراً ويرد كل صدقة من مال حرام أي أنه لا يقبلها لمعطيها وأما هي فانها محفوظة لصاحب المال الاصلي ان كان من أهل الخير وذوي النية الحسنة، ولذلك قال (كلوا من الطيبات) وقال (ويحرم عليهم الخبائث) *

(٢) وقوله «يطيل السفر أشعث أغبر» الخ أي أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله يعلمنا كيف يجب أن نحذر الذين يتخذون القيافة

السَّماءِ يَارَبِّ يَارَبِّ ومطعمه حرامٌ وملبسه حرامٌ ومشربه حرامٌ وغذِّيَ بالحرامِ فأنَّى يُستجابُ له *

وفي الصَّحيحين من حديث النُّعمان بن بشير «إنَّ الحَلالَ بيِّنٌ والحَرامَ بيِّنٌ وبين ذلك مشتبهات لا يعلمها كثيرٌ من النَّاس فمَن اتَّقى الشُّبُهاتِ فقد استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع في الشُّبُهاتِ وقع في الحَرامِ كالرَّاعي يرعى حول الحِمى يُوشِكُ أن يقعَ فيه ألا وإنَّ لكلِّ مَلِكٍ حِمىً وحِمى الله في الأرض محارمُه» (١) *

مظهراً للزهد والتقوى كي يصطادوا الناس ليكونوا لهم عبيداً أو على الاقل يكونون دعاة لنشر اسمهم وأنهم يستحقون التقديس والاجلال لأن النفوس مجبولة على حب المدح والاطراء وقوله «فأنى يستجاب له» أى لو لم يظهر وجوده من المال الحرام فينبغي لنا حينئذ اذا رأينا رجلا يظهر بمظهر الصلاح أو الاصلاح أن نسأل عن ملبسه ومطعمه ومشربه فان رأيناه من حرام فهو لا خير فيه أصلا بل يجب اجتنابه والتباعد عنه لأن مرضه قد يسرى الى الاصحاء فيؤثر فيهم فلا يستجاب له وقد تعجب الرسول من استجابة الله دعاءه لأنه يستهزىء بالله حيث ينهاه عن تناول الحرام فلم يكتف بذلك حتى جعل العبادة شبكة للصيد فكانت صلاته أضر من تركها على أنها لا فائدة فيها ولذلك قال الامام أحمد رحمه الله من صلى فى أرض مغصوبة أو ثوب حرام او حج بمال حرام فلا يصح ان منه وتجب عليه الاعادة مستدلا بهذا الحديث وأمثاله

(١) قوله «الحلال بين والحرام بين» أى لا يخفيان على أحد وبينهما مشتبهات

وَفى الصَّحيحَين من حَديث أَبى هُريرَة إِنّى لأَنقَلب إِلى أَهلى فأَجد التَّمرة سَاقطة عَلى فراشى أَو فى بيتى فأَرفعها لآكلها ثم أَخشى أَن تكون من الصَّدقة فأُلقيها *

وَفى صَحيح البُخارى عَن عَائشة رَضى الله عنها قالت كان لأَبى بكر غلام يخرج له الخراج وكان أَبو بكر يأْكل من خراجه فجاء يوما بشئ فأَكل منه ابو بكر فقال له الغلام أتدرى ما هذا ؟ فقال

لا يعلمها كثير وأما القليل فانه عارف بها وفى هذا رد صريح على الجماعة الذين أكثروا من كلمة البدعة وجعلوا كل ما لم يكن فى عصر الرسول صلى الله عليه واله وسلم من البدع وغاب عن ذهنهم هذا الحديث وليت شعرى ما معنى المشتبه حينئذ ولو نظرنا الى قولهم بعدم الاعتراف باقوال الائمة والعلماء الماضى فمن يا ترى المعنى بقوله تعالى « ولوردوه الى الرسول والى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم » ، اذ تساوى الناس كلهم فيها مادام الفهم ممنوعا وهل الذين يستنبطون هم الزائغون من أصحاب العصر الحاضر الذين لا يفهمون اللغة العربية فضلا عن الاستنباط وانما البدع مالم يكن فى عصر الرسول ولا أصحابه عليه الصلاة والسلام وغير داخل تحت القواعد العامة المستنبطة من كلام الله ورسوله ﷺ وقد تكلم الشوكانى عن المشتبهات بكتاب أسماه كشف الشبهات عن المشتبهات وقد نشرناه فعليك به

(١) قوله « من الصدقة فألقيها » وهذا هو الورع حيث يعلم أن بيت المال حق لجميع المسلمين فهو لا يريد أن يستأثر به رغم احتياجه بل يريد أن يشترك مع غيره فى هذا الحق العام

أَبُو بَكْرٍ رَضِىَ اللهُ عَنهُ وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : تَكَهَّنْتُ لِإِنْسَانٍ فِى الْجَاهِلِيَّةِ وَمَا أُحْسِنُ الْكَهَانَةَ إِلَّا أَنِّى خَدَعْتُهُ فَلَقِيَنِى فَأَعْطَانِى بِذَلِكَ فَهَذَا الَّذِى أَكَلْتَ مِنْهُ قَالَتْ فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ فَقَاءَ كُلَّ شَىْءٍ فِى بَطْنِهِ ❊

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ شَرِبَ لَبَنًا فَأَعْجَبَهُ فَقَالَ لِلَّذِى سَقَاهُ مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا اللَّبَنُ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ وَرَدَ عَلَى مَاءٍ قَدْ سَمَّاهُ فَإِذَا نَعَمٌ مِنْ نَعَمِ الصَّدَقَةِ وَهُمْ يَسْقُونَ فَحَلَبُوا لِى مِنْ أَلْبَانِهَا فَجَعَلْتُهُ فِى سِقَائِى وَهُوَ هَذَا فَأَدْخَلَ عُمَرُ يَدَهُ فَاسْتَقَاءَهُ ❊

وَعَنْ عَلِىٍّ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ فِى طِيبِ مَطْعَمِهِ أَنَّهُ كَانَ يُجَاءُ بِخُبْزِهِ فِى جِرَابٍ مِنَ الْمَدِينَةِ ❊

أَنْبَأَنَا الْبَيْهَقِىُّ بِإِسْنَادِهِ عَنْ بِشْرِ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ قَالَ يُوسُفُ بْنُ

---

(٢) قوله « تكهنت » أى تكلفت صنعة الكهانة مع أنى لست أعرفها والكاهن هو عبارة عن العالم بالأمور الخفية التى لا يدريها الا الذى له قدم راسخ فى العلم وهو والساحر بمعنى واحد وقد يلجئون اليه فى طلب الخير ودفع الشر ولذلك خاطبوا سيدنا موسى عليه السلام بما قال تعالى (وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون) وقد كان عند العرب فى الجاهلية من الكهنة كثير كشق ومسطح وغيرهما ❊

أسباط إذا تعبد الشاب يقول ابليس انظروا من أين مطعمه فإن كان مطعمه مطعم سوء قال دعوه لا تشتغلوا به دعوه يجتهد وينصب فقد كفاكم نفسه ❊

وعن حذيفة المرعشى انه نظر إلى الناس يتبادرون إلى الصف الاول فقال ينبغى ان يتبادروا إلى اكل خبز الحلال (١) ❊

وعن الفضيل بن عياض قال سئل سفيان الثورى عن فضل الصف الاول فقال انظر كسرتك التى تاكل من اين تاكلها وصل فى الصف الاخير ❊ وعنه أيضا انظر درهمك من أين هو وصل فى

---

(١) قوله «ان يتبادروا الى اكل خبز الحلال» لأنه حينئذ يستحق التقدم فان الحالم لايجرأ على الاقدام على محاكمة الامن كان بريئا مطيعا لأمره وأما المجرم فانه لايبرح خجلا من ذنبه والتقدم فى الصف الاول معناه تقدم اخوانه فى الحضرة الالهية لأن الصلاة وصلة بين العبد وربه فهو فى مسابقته للصف الأول اثبت أن فى عقله خللا لأنه ما زال يعتقد بأن الله عالم بالخفيات كيف يجرأ على هذا ويظهر بمظهر التقى البار فهو قد تمسك بالظاهر وهو الحث على الصلاة فى الصف الأول ومادرى المسكين أن المراد من ذلك هو التحقق بما يؤهله للوقوف فى هذا المركز الحرج ولهذا قال صلى الله عليه وسلم فى حديث مسلم عن ابن مسعود «وليلنى منكم أولوا الاحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» وهم الذين استعملوا عقولهم فاطاعوا مولاهم وفهموا ماذا يراد من الصلاة وهو النهى عن الفحشاء والمنكر

الصَّفِّ الأَخْيرِ (١) *

وَعَنْ سَرِيّ السَّقَطِيِّ أنه كَانَ لَا يَأْكُلُ مِنْ بَقْلِ السَّوَادِ وَلَا مِنْ ثَمَرِهِ وَلَا مِنْ شَيْءٍ يعلم أنه منه وَيُشَدِّدُ فِي ذَلِكَ وَكَانَ غَايَةً فِي الْوَرَعِ (٢) وَمَعَ ذَلِكَ قَالَ كُنْتُ بِطَرْسُوسَ وَكَانَ مَعِي فِي الدَّارِ فِتْيَانٌ يَتَعَبَّدُونَ وَكَانَ فِي الدَّارِ تَنُّورٌ يَخْبِزُونَ فِيهِ فَانْكَسَرَ التَّنُّورُ فَعَمِلْتُ بَدَلَهُ مِنْ مَالِي فَتَوَرَّعُوا أَنْ يَخْبِزُوا فِيهِ *

ويلزم منه اتباع الاوامر فهؤلاء الذين حقهم المبادرة الى الصف الأول.

(١) قوله «وصل فى الصف الاخير» اذا كنت اهلا للتقدم وحائزا على رضاء الله تعالى ولا تأكل الا من الحلال فان تأخر الصورة لا يضر فان القاعدة العربية إن تأخر الفاعل عن المفعول لفظا لا يضره فقد وقع فى أفصح الكلام قال تعالى : (واذ ابتلى ابراهيم ربه) فامير القوم اذا جلس في أي محل شاء فان الاعين شاخصة اليه وان المتقى لربه هو أمير طبعا *

(٢) الورع كما قال صاحب النهاية : فى الأصل الكف عن المحارم والتحرج منه يقال ورع الرجل يرع ، بالكسر فيهما ، ورعا ورعة فهو ورع ، وتورع فى كذا ثم استعير للكف عن المباح والحلال ، واختلف القوم فى رسمه على أقوال قال ابن أدهم ، الورع ترك كل شبهة ، وقال يحي بن معاذ الورع الوقوف على حد العلم من غير تأويل * وسأل الحسن البصرى غلاما فقال له . ما ملاك الدين ؟ قال الورع . قال فما آفته . قال الطمع ، فعجب

وَعَنهُ قَالَ كَانَ أَبُو يُوسُفَ الغَسُولِى يَلزَمُ الثَّغرَ وَيَغزُو فَكَانَ إِذَا غَزَا مَعَ النَّاسِ وَدَخَلُوا بِلَادَ الرُّومِ أَكَلَ أَصحَابُهُ مِنْ ذَبَائِحِهِم وَقَفُوا كِهِهِم وَهُوَ لَا يَأكُلُ فَيُقَالُ لَهُ يَا أَبَا يُوسُفَ أَتَشُكُّ أَنَّهُ حَلَالٌ فَيَقُولُ لَا فَيُقَالُ لَهُ فَكُلْ مِنَ الحَلَالِ فَيَقُولُ إِنَّمَا الزُّهدُ فِى الحَلَالِ *

وَعَنِ السَّرِيِّ قَالَ رَجَعتُ مِنْ بَعضِ المَغَازِى فَرَأَيتُ فِى طَرِيقِى مَاءً صَافِيًا وَحَولَهُ عُشبٌ مِنْ حَشِيشٍ قَد نَبَتَ فَقُلتُ فِى نَفسِى يَاسَرِىُّ إِنْ كُنْتَ يَومًا أَكَلْتَ أَكْلَةَ حَلَالٍ وَشَرِبتَ شَربَةَ حَلَالٍ فَاليَومَ فَنَزَلتُ عَنْ دَابَّتِى فَأَكَلتُ مِنْ ذَلِكَ الحَشِيشِ وَشَرِبتُ مِنْ ذَلِكَ المَاءِ فَهَتَفَ بِى هَاتِفٌ سَمِعتُ الصَّوتَ وَلَمْ أَرَ الشَّخصَ يَاسَرِىَّ بْنَ المُغَلِّسِ فَالنَّفَقَةُ الَّتِى بَلَّغَتكَ إِلَى هٰهُنَا مِنْ أَينَ هِىَ؟ فَقَصَرَ إِلَىَّ نَفسِى *

وَرُوِىَ عَنْ بَعضِهِم أَنَّهُ كَانَ يَطلُبُ الحَلَالَ فَاستَدَلَّ عَلَيهِ فَدَلَّ عَلَى الحَسَنِ

الحسن منه . وقال بعض السلف لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس * وقال بعض الصحابة . كنا ندع سبعين باباً من الحلال مخافة أن نقع فى باب من الحرام ، وقد جمع النبى ﷺ الورع كله فى كلمة واحدة فقال «من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه * وترك ما لا يعنى هو ترك الفضلات كلها وفقنا الله واياك لذلك *

الْبَصْرِيِّ بِالْبَصْرَةِ فَسَافَرَ إِلَيْهِ مِنْ بِلَادِهِ الْبَعِيدَةِ فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ أَنِّي رَجُلٌ وَاعِظٌ آكُلُ مِنْ هَدَايَا النَّاسِ وَضِيَافَاتِهِمْ لَكِنَّنِي أَدُلُّكَ عَلَى رَجُلٍ بِبِلَادِ سِجِسْتَانَ تَرَاهُ فِي مَزْرَعَتِهِ لَهُ بَقَرَةٌ قَدْ جَعَلَ لَهَا فِي أَحَدِ طَرِيقَيْهَا تِبْنًا وَشَعِيرًا وَفِي الْآخَرِ مَاءً فَإِذَا وَصَلَتْ إِلَى التِّبْنِ وَالشَّعِيرِ عَرَضَهُمَا عَلَيْهَا وَإِذَا وَصَلَتْ إِلَى الْمَاءِ عَرَضَهُ عَلَيْهَا فَقَالَ فَتَوَجَّهَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ فَوَجَدَهُ كَذَلِكَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَقَصَّ عَلَيْهِ حَالَهُ فَبَكَى الرَّجُلُ وَقَالَ قَدْ صَدَقَكَ الْإِمَامُ أَبُو سَعِيدٍ لَكِنْ زَالَ ذَلِكَ عَنِّي بِسَبَبِ أَنَّ الْبَقَرَةَ عَبَرَتْ ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى أَرْضِ جَارِي وَقَدِ اشْتَغَلْتُ عَنْهَا بِصَلَاتِي فَعَادَتْ إِلَى أَرْضِي وَقَوَائِمُهَا مُلَطَّخَةٌ بِطِينِهَا وَاخْتَلَطَ ذَلِكَ بِطِينِ أَرْضِي فَصَارَتْ شُبْهَةً عُدْ إِلَيْهِ لِيَدُلَّكَ عَلَى غَيْرِي وَبَكَى *

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْجَلَّاءِ قَالَ أَعْرِفُ مَنْ أَقَامَ بِمَكَّةَ ثَلَاثِينَ سَنَةً لَمْ يَشْرَبْ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ إِلَّا مَا اسْتَقَاهُ بِرَكْوَتِهِ وَرِشَائِهِ وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْ طَعَامٍ جُلِبَ مِنْ مِصْرَ شَيْئًا *

وَعَنْ بِشْرِ بْنِ الْحَارِثِ الْحَافِي بْنِ عَلِيٍّ قَالَ سَمِعْتُ الْمُعَافَى بْنَ عِمْرَانَ يَقُولُ كَانَ عَشَرَةٌ فِيمَنْ مَضَى مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ يَنْظُرُونَ فِي الْحَلَالِ النَّظَرَ

الشَّديد لا يَدْخلون بطُونهم الاَّ مايعرفون انه من الحَلَال والاَّ استفوا التُّرَاب (١) ثم عد بشر. ابراهيم بن أدهم. وسليمان الخوَّاص. وعلي بن فضيل بن عياض. وأبا معاوية الاسود. ويوسف بن أسباط. ووهيب بن الورد. وحذيفة شيخا من اهل حران. وداود الطَّائي. وعد بشر عشرة. وعن يحي بن معين المحدث قال ✲

المال يذهب حله وحرامه يوما ويبقى في غد آثامه

وسئل سفيان الثوري عن الورع فأنشد :

إني وجدت فلا تظنوا غيره هذا التورع عند هذا الدرهم

فاذا قدرت عليه ثم تركته فاعلم بأن هناك تقوى المسلم ٢

وعن محمد بن عبد الكريم المروزي لما ولي يحي بن أكثم القضاء كتب اليه اخوه عبد الله بن اكثم من مرو وكان من الزهاد

---

(١) قوله «والا استفوا التراب» لعله أراد ما يخرج من التراب وهو العشب والكلأ الذي يشبه التراب في يبسه والا فان اكل التراب حرام لاضراره ولأن فيه القاء النفس في التهلكة ولم يبح لنا الشارع عند الاضطرار الميتة الا لأن التراب ليس معدا للاكل والا لو كان الاقتيات منه ممكنا لما قال الاما اضطررتم اليه ٢ قوله «وسئل سفيان» الخ هو زيادة من النسخة النورية ✲

وَلُقْمَةٍ بِجَرِيشِ الْمِلْحِ تَأْكُلُهَا ‌ ‌ أَلَذُّ مِنْ تَمْرَةٍ تُحْشَى بِزُنْبُورِ

وَأَكْلَةٍ قَرَّبَتْ لِلْهُلْكِ صَاحِبَهَا ‌ ‌ كَحَبَّةِ الْفَخِّ دَقَّتْ عُنُقَ عُصْفُورِ

وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هِشَيْمٍ أَنَّهُ اسْتَوْصَاهُ صَاحِبٌ لَهُ عِنْدَ وَدَاعِهِ فَقَالَ أُوصِيكَ أَنْ يَكُونَ عَمَلُكَ صَالِحًا وَتَأْكُلُ طَيِّبًا ۞

لَيْسَ التَّقِيُّ بِمُتَّقٍ لِإِلَٰهِهِ ‌ ‌ حَتَّى يَطِيبَ شَرَابُهُ وَطَعَامُهُ

وَيَطِيبُ مَا تَحْوِي وَتَكْسِبُ كَفُّهُ ‌ ‌ وَيَكُونُ فِي حُسْنِ الْحَدِيثِ كَلَامُهُ

نَطَقَ النَّبِيُّ لَنَا بِهِ عَنْ رَبِّهِ (١) ‌ ‌ فَعَلَى النَّبِيِّ صَلَاتُهُ وَسَلَامُهُ

﴿ ٤٠ ﴾ تَحْرِيمُ الْمَلَابِسِ وَالزِّيِّ وَالْأَوَانِي وَمَا يُكْرَهُ مِنْهَا

لِحَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فِي الصَّحِيحَيْنِ « مَنْ لَبِسَ الْحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا فَلَنْ يَلْبَسَهُ فِي الْآخِرَةِ (٢) » ۞

---

(١) يشير إلى ما رواه مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة وذكره المصنف رحمه الله تعالى صفحة ١٤٠ ارجع اليه ان أردت

(٢) وفى الباب أحاديث كثيرة منها ما رواه عمر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا تلبسوا الحرير فانه من لبسه فى الدنيا لم يلبسه فى الاخرة » متفق عليه فالأحاديث تدل على تحريم لبس الحرير لما فيها من النهى وتعليل ذلك بأن من لبسه فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة ، والظاهر أنه كناية عن عدم دخول الجنة . ولذلك قال ابن عمر ، والله لا يدخل الجنة واستدل

وَحَدِيث حُذَيفَةَ « لَا تَلْبَسُوا الحَرِيرَ وَلَا الدِّيبَاجَ وَلَا تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الفِضَّةِ وَالذَّهَبِ، وَلَا تَأْكُلُوا فِي صِحَافِهَا، فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَهِيَ لَكُمْ فِي الآخِرَةِ » *

وَحَدِيث ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ « انَّ اللهَ

على ذلك بقوله تعالى (ولباسهم فيها حرير) . ويشهد له أيضا مارواه الشيخان عنه . إنما يلبس الحرير فى الدنيا من لاخلاق له فى الآخرة . والخلاق - كما فى شروح الحديث وكتب اللغة - النصيب . وقد أجمع المسلمون على التحريم ، وهذه الأحاديث اذا لم تفد التحريم فليس فى الدنيا محرم ، ولم تنحصر الزينة عند ابناء الدنيا على الحرير فلهم ان يتزينوا بالجوخ والصوف والكشمير وغير ذلك من المباح النفيس ، ولا تلتفت الى قول فى المذهب او رأى لبعض العلماء فان ذلك من اتباع الهوى ، ودسائس الشيطان ، والعادات القومية المخالفة للشريعة المحمديه ، واصرح منه فى الدلالة على المنع مطلقا مارواه البيهقى بسنده عن ابى اسحق قال دخلنا على عبد الله بن عمر وهو بالبطحاء ، فقلنا يا ابا عبدالرحمن ان ثيابنا هذه قد خالطها الحرير وهو قليل . قال اتركوا قليله وكثيره ، ويدل على صحة هذا ماروى عن على رضى الله عنه قال : أهدى الى النبى ﷺ حلة سداها من حرير ولحمتها سيرة فارسل بها الى فقلت مااصنع بها ألبسها قال انى لا ارضى لك مالا أرضى لنفسى اجعلها خمرا بين فاطمة امك وفاطمة ابنتى ، والسيرة هو من السيراء برود اليمن

وهذا بالنسبة للذكور دون الاناث لقوله صلى الله عليه وآله وسلم « أحل الذهب والحرير للاناث من أمتى وحرم على ذكورها » رواه احمد والنسائى والترمذى ، وصححه وأبيح أيضا لعلة الحكة كما فى كتب الفقه *

جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكِبْرُ مَنْ بَطِرَ الْحَقَّ وَغَمَطَ النَّاسَ(١)*
وَحَدِيثُ أَبِي بُرْدَةَ فِي الصَّحِيحَيْنِ * قَالَ أَخْرَجَتْ إِلَيْنَا عَائِشَةُ
كِسَاءً مُلَبَّدًا وَإِزَارًا غَلِيظًا(٢) فَقَالَتْ قُبِضَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِي هَذَيْنِ *

---

(١) البطر الطغيان عند النعمة . وهو ان يجعل ماجعله الله حقا من توحيده وعبادته باطلا : او يمنع عن الحق فلا يقبله * والغمط الاستهانة والاستحقار ووقع فى الأصل الكبر بطر الحق وغمط الناس على حذف من *

(٢) قوله كساءاً ملبداً وازاراً غليظا ليعلم أمته ان اللباس ليس هو عبارة عن الانسان الكامل المدرك بل جعل ذلك اللباس لوقايته من الحر والبرد ولا تاثير له على ما يحتويه الجسد ومن الحماقة المفاخرة فى الالبسة واعتبار صاحبها لأن المرء يعلو بادراكه وعلو همته وشرف نفسه و كرم اخلاقه فان قيمة اللباس تزيد وتنقص بحسب دفعه البرد ووقايته الحر ومع أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان له فى الدنيا كل ما يشاء ولكن ما كان يختار اللباس و الغذاء الا الذى يوافق حالة الفقير متباعدا عن الكبر و الخيلاء واتصافا بمعنى الانسانية المحضة وان الانسان لا ينبغى له التعاظم فان البشر ابناء شخص واحد ولا فضل لأحدهم على الآخر الا بالعمل الصالح والناس مدينون لبعضهم فليس الامير غير محتاج الى احقر عاقل لأن الكناس لو لم يكنس داره للزم أن يكنسها بنفسه فاذاً هو مديون له لا يحق له التكبر وكيف يتكبر من خرج من مجرى البول مرتين وهو فى حياته لا يبرح حاملا للعذرة والنجاسة ومصيره جيفة قذرة فمن أين يجىء اليه الغرور والكبرياء ؟ أمم يلبسه أم مما يحمله فى جوفه ؟ أم يفخر بمصير جسده فى اللحد ؟ الكبرياء لله وحده

وَحَدِيث عَبْدالله بن عُمَر فيهما «لا يَنظر الله تَعَالى يوم القيامة (١) إِلى من جر ثوبه خيلاء» *

(٤١) تحريم الملاعب والملاهي المخالفة للشريعة لقوله تعالى : (قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة) *

وَالحديث سليمان بن بريدة في صحيح مسلم عن أبيه رضى الله عنه «من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه (٢) *

---

(١) قوله «لا ينظر الله تعالى يوم القيامة الى من جر ثوبه خيلاء» لأنه اعتقد انه فوق مرتبة البشر واستحقر من كرمه تعالى ولم يعرف لنفسه قدرا كما ذكرنا سابقا فان عمله هذا اعراض عن عبيد الله الذين هم اشرف المخلوقات فكان الجزاء من جنس العمل حيث لا ينظر الله اليه أعنى نظر رحمة فينال ما اكتسبه من الغرور والحماقة (٢) قوله «من لعب بالنردشير» هو النرد وهو اسم أعجمي معرب على ماقاله ابن الأثير وشير بمعنى حلو والمعروف في العصر الحاضر بالطاولة واستنادا الى هذا الحديث افتى معظم الفقهاء بحرمة اللعب فيها وألحق الحنفية بالنرد الشطرنج وقالوا بانه مكروه تحريما الا ابا يوسف فانه قال لا بأس به ولذلك يقول صاحب الوهبانية

ولا باس بالشطرنج وهي رواية عن الحبر قاضي الشرق والغرب تؤثر

وأما الشافعية فقالوا بجواز لعب الشطرنج للعب كثير من سلف الأمة فيه لأنه مبني على التمرينات العقلية ويشبه ترتيب الحروب المطلوب تعلمها وتعلم كل ما يفيد فيها وكذلك كل الالعاب العقلية بخلاف النرد فانه مبني على الصدف

(٤٢) الاقْتِصادُ فى النَّفَقَة وتَحْرِيمُ أَكْلِ الْمَالِ بِالْبَاطِلِ لقَوْله تَعَالَى : (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا) (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا) *

تطلب عددا فياتيك آخر لذلك قالوا انه مكروه تحريما . وقوله «كانما صبغ يده فى لحم خنزير» وفى نسخة «فكانما غمس» قال النووى فى حال اكله منهما وهو تشبيه لتحريمه بتحريم اكلهما اه ويحتمل أن يكون تنفيرا من التضمخ بالنجاسة فى حيوان حرم أكله بالنص القطعى والتضمخ بالنجاسة حرام مطلقا فكيف بمن هو أسوأ حالا من الكلب الذى جاء فى صحيح البخارى عن ابى هريرة «اذا ولغ الكلب فى اناء احدكم فليغسله سبعا »

(١) قوله «الاقتصاد فى النفقة» اى الاعتدال فيها فلا يسرف فيكون فقيرا بائسا عالة على الناس يتكففهم ولا يقتر فلا ينفع الناس ولا يستفيدون من أمواله فيكون ضررا عليهم كالمسكين وذلك لأن كلا منهما يضايق الناس باخذ قسم من أموالهم الاول للصرف والآخر للجمع والكنز، ولذلك قال تعالى « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك » فلا تصرف شيئا كأن يدك لا تصل الى الاموال . ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسوراً » شاخصاً بصرك إلى ما يمنحك به الناس من فضلات الصدقات وقد ورد فى مسند احمد وسنن أبى داود عن جد عمرو بن شعيب قال قال رسول الله ﷺ « كل واشرب وتصدق من غير سرف ولا مخيلة » أى كبرياء فاباح الشارع الاعتدال والصرف ولكن بالطرق المشروعة وبشكل لا يجعله عالة على الغير فالاعتدال فى كل أمر محمود وهو الذى قضت الشريعة

وَلِحَدِيثِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ « نَهَى عَنْ ثَلَاثٍ قِيلَ وَقَالَ (١) وَإِضَاعَةِ الْمَالِ وَإِلْحَافِ السُّؤَالِ » *

به فى احكام الدين كافة عباداتها ومعاملاتها *

(١) قوله ونهى عن قيل وقال بالتنوين وفى رواية بغير تنوين حكاية للفظ الفعل ورواية البخارى « وكره لكم قيلا وقالا » على النقل من الفعلية إلى الاسمية وهو الأكثر والمراد به نقل الكلام الذى يسمعه فاذا كان مقصوداً لذاته أولم يدر القائل بعينه قال قيل كذا وإذا أراد فاعلا بعينه قال قال فلان كذا . فنهى النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك لأن كثرة نقل ذلك تورث الزلل إذا لم يكن النقل نفسه كبيرة كالغيبة والنميمة والأعمال المذمومة التى تورث الفساد والتفرقة أو تسبب الكذب الذى لعن الله قائله وهذا زجر منه تعالى عن كل ما يحتمل أن تنجم عنه خطيئة أو يحصل منه ذنب أو عمل يغضب البارى تعالى ، وقوله « وإضاعة المال » هذا هو الشاهد للباب وذلك بصرفه على غير الوجه المرغوب فيه شرعا لافرق بين أن يكون دينيا أو دنيويا ولذلك وضعت الشريعة الحجر على المبذرين لاضاعتهم أموالهم صورة وإلا فى الحقيقة أنها أموال جميع المسلمين ولذلك خاطبنا بقوله تعالى (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما وارزقوهم » فالله سبحانه وتعالى كلفنا عبادته وفى الوقت نفسه أمرنا بالعمل فى الدنيا وعلمنا أنها مزرعة الآخرة لاغنى لها عنها ولذلك جاء فى آية الدعاء « ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » إن دين الاسلام يحث على الدنيا كما يحث على الآخرة إلا أن الفرق بينهما أن هذه لذاتها وتلك لغيرها ولذلك فان الشغل والعمل يعد عبادة وجهاداً فى الحياة ليحفظوا للاسلام عزه ولا يصح إضاعة المال بل يجب أن يسعوا ليكون لدى المسلمين أضعاف

مالدى الكفار كى لا يحصل اعتقاد فاسد فى نفوس ضعفاء المسلمين من قبل دسائس الاعداء من أن الاسلام لا يسمح للعمل ولا يبيح الثروة والصنائع ولهذا حذرنا الله من ذلك وعلمنا على طريق الدعاء فى قوله « ربنا لاتجعلنا فتنة للذين كفروا» فقول المسلمين أنه فتنة يسبب احتقار المسلمين وقد وقع حتى أصبح أبناؤه يفرون من كل ماجاء به إذا لم يوافق أذواق الغربيين حتى أنهم ينكرون كتاب الله إذا لم يسلمه أعداء الدين. والأغرب أن بعض من يزعم الاسلام وأنه من حماته ينكر الجن لأن الفن لم يؤيده ولأنه لم يره ولاندرى بعد أن نشرت المجلات الانكليزية قبل سنة وجود الجن واستدلت بحادثة البنتين اللتين كانتا فى واد، هل يصحح رأيه ويقول رجعت إلى كلام الانكليز لا إلى كلام رب العالمين ؟ أم يبقى مصراً على عناده ولو أثبته العلم الحديث. وهذا هى الحماقة بعينها حيث يعترف أن العلم فى تقدم فيؤول ويحرف كلام الله على الذوق الحاضر المعروض للتغير فى كل لحظة وهكذا شأن المغلوب تقليد الغالب فى كل شىء *

وقوله «و إلحاف السؤال» أى الالحاح فيه والتزامه فان ذلك حرام لأنه قد يسوقه إلى صدور ذنب أوان الحدة يسوقه إلى الكفر والعياذ بالله تعالى فيكون الملحف سبب الاثم وعليه الوبال والعقاب والالحاف مذموم فى كل شىء حتى ولو فى النصح والارشاد فقد قال تعالى لموسى وأخيه عليهما السلام حينما ارسلهما الى فرعون «فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى» *

وقد شرعت الدولة المصرية قريبا قانون منع التسول والقبض على كل متسول وزجه فى السجن معتقدة أنها جارت الدول الأوروبية فى ذلك وغفلت عن أن هذا هو الدين الاسلامى وياليتها نسبت هذا القانون

﴿ ٤٣ ﴾ تَرْكُ الْغِلِّ وَالْحَسَدِ (١) وَنَحْوِهِمَا لِقَوْلِهِ تَعَالَى :
(وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ) (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) *

الى القواعد الشريعة الاسلامية وتفاخر بذلك الدول الاوربية فى أنه الدين الاسلامى *

(١) الحسد أن يرى الرجل لأخيه نعمة فيتمنى أن تزول وتكون له دونه فالحسد حسدان محمود ومذموم فالمحمود أن ترى عالما عاملا فتشتهى أن تكون مثله أو زاهدا فتشتهى مثل فعله وهو المسمى غبطة وقد تقدم والمذموم أن ترى عالما عاملا أو فاضلا أو تنظر الى ذى مال أو جمال أو جاه أو عافية فتشتهى أن يموت أو يزول مافيه من الأوصاف *

فالمؤمن يغبط والمنافق يحسد وهو خلق ذميم مضر بالبدن مفسد للدين وهو مركوز فى طباع البشر لأن الانسان يكره أن يفوقه أحد من جنسه فى شىء من الفضائل والناس على أقسام فى ذلك فمنهم من يسعى في زوال نعمة المحسود بالبغى عليه بالقول والفعل ومنهم من يسعى فى نقل ذلك الى نفسه ومنهم من يسعى فى ازالة نعمته عن المحسود فقط نسأل الله العصمة، فالحسد هو من أقبح الاوصاف لأنه يورث التفرقة والاختلاف مع أن تعاليم الدين الاسلامى أساسها أن يكون المسلمون كجسد واحد فالحاسد أتعب نفسه فيما لايعود عليه من نفع لأن التمنى لايكون سببا لايصال المرء الى مآربه فلم يحصل الا على العناء ومرض القلب وعصيان الرب وتعب الجسد واشغال القلب وقد يستطيل عن العمل لما يجيش فى نفسه مما يسبب

وَلِحَدِيثِ أَنَسٍ فِى صَحِيحِ مُسْلِمٍ «لاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَقَاطَعُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللّٰهِ اخْوَانًا» ✡

وَحَدِيثُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فِى صَحِيحِ الْبُخَارِىِّ «لاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللّٰهِ إِخْوَانًا وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ يَلْتَقِيَانِ يَصُدُّ هٰذَا وَيَصُدُّ هٰذَا وَخَيْرُهُمَا الَّذِى

مرضه هذا اذا لم يسقه الحسد الى أعمال أخرى منكرة كالكذب والافتراء والتزوير وارتكاب جناية القتل فيكون قد خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ، وما أحسن ماقاله بعضهم :

ألا قل لمن كان لى حاسدا أتدرى على من أسأت الادب
أسأت على الله فى ملكه اذا انت لم ترض ماقد وهب

وقال بعضهم .

وأظلم خلق الله من بات حاسدا لمن بات فى نعمائه يتقلب

قوله «لاتباغضوا» لأن البغض يفرق كلمتكم ويطمع فيكم عدوكم ويوهن عزمكم ويضعف قوتكم ولا تحاسدوا فانه يسبب لكم اضرارا يزيد على التباغض بل قد يكون سببا فى اتلاف نفس الحاسد ولا تدابروا بأن يعطى كل شخص دبره أى ظهره لأخيه كأنه لايعرفه مع أن بينهما المعرفة التامة والصلة القريبة التى هى صلة الايمان قال تعالى (إنما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم وكونوا عباد الله اخوانا) ينصرون بعضكم بعضا على الحق ولاتتركون يدا غريبة تعبث بكم ؛ وقوله «ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق

يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ » (١) ٭

وَبِهِ أَنْبَأَنَا الْبَيْهَقِيُّ بِإِسْنَادِهِ عَنِ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : (وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ) قَالَ هُوَ أَوَّلُ ذَنْبٍ كَانَ فِي السَّمَاءِ ، وَعَنِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ خَمْسٌ هُنَّ كَمَا أَقُولُ لَا رَاحَةَ لِحَسُودٍ وَلَا مُرُوءَةَ لِكَذُوبٍ

ثلاث ليال » إشارة الى ان المرء اذا شغله عمله فى نهاره فان الليل يذكره بأن له صديقا أخلص له وهو اخوه فى الله فلا بد ان يذكره خلال ليال ثلاث ليصلح معه اما مشافهة او مكاتبة لتزول الشحناء والبغضاء ،

وفيه تحريم الهجران فوق ثلاثة أيام بالنص . ويباح فى الثلاث بالمفهوم وحكمة ذلك أن الآدمى مجبول على الغضب ، فسومح بذلك القدر ، ليرجع ويزول ذلك عنه ، وهذا فيمن لم يجن على الدين جناية . وأما من جني عليه وعصى ربه وارتكب المخالفات . وتلبس بالبدع والسيآت فجاءت الرخصة فى عقوبته بالهجران على الثلاث كالثلاثة المتخلفين عن غزوة تبوك فامر الشارع بهجرانهم فبقوا خمسين ليلة حتى نزلت توبتهم ، ولبعضهم :

ياهاجرى فوق الثلاث بلا سبب ... خالفت شرع المصطفى أزكى العرب
هجر الفتى فوق الثلاث محرم ... مالم يكن فيه لمولانا سبب

(١) وقوله وخيرهما الذى يبدا بالسلام » لأنه فهم معنى الأخوة الاسلامية فرجح العواطف والعصبية ولم يكترث بالعوائد والتقاليد فهو خيرهما ان رضى الطرفان لأنه البادىء والا فيكون افعل التفضيل على غير بابه ويبقى الخير منحصرا فيه وحده هذا فى المسائل الدنيوية واما فى الدين فالهجر يدوم ويجب دوامه حتى يرعوى ويتوب توبة صادقة ٭

(٢) قوله « لا راحة لحسود » لأنه يجد فى فؤاده شعلة نار تتاجج فهو متعب

وَلَا وَفَاءَ لِمُلُوكٍ وَلَا حِيلَةَ لِبَخِيلٍ وَلَا سُؤْدُدَ لِسَيِّءِ الْخُلُقِ *

وعَن الخَلِيل بن احمد مارأيت ظالماً اشبه بمظلوم(١) من حاسد لَهُ نفس دائم . وعقل هائم . وحزن لازم . وعن بشر بن الحارث الحافى الْعَدَاوةُ فى الْقَرَابَةِ والحَسَدُ فى الجِيرَانِ والمَنْفَعةُ فى الاخْوَانِ ، وعن المبرد أنه أنشد :

الفكر والقلب حتى يسرى الى جسده ولا مروءة لكاذب لأنه لا يستحى من الله والناس ليستحى من الناس وحدهم والمروءة تتعلق بهم وحدهم فهو لا يهتم بها ولا يبالى ، ولا وفاء لملوك لأنهم يقدسون المنصب فهم يتوهمون من كل شيء فالشبهة القليلة من اعز اصدقائهم تخيل اليهم انه يريد اضرارا بعرشهم فيقلبون له ظهر المجن او يتلفون حياته لأنهم لا يرون فوقها مرتبة وغاب عن ذهنهم ان الملك هو خادم الرعية والخدمة لا تستحق هذا النزاع الا اذا كان على ضرر يبين يصيب المخدوم وهو الرعية، ولا حيلة لبخيل لأن الحيلة قد تحتاج لدفع مال فهو لا تساعده نفسه على بذل شيء لذلك لا يقدر عليها ولا على غيرها من الاعمال خشية على ماله من الضياع أو لا حيلة لبخيل فى ازدياد ماله إذا أمسكه ولا سؤدد لسيء الخلق لأن الناس تنفر منه ولا تريد مجالسته فكيف ترضى بسيادته ؟ قال تعالى لرسوله (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله) *

(١) قوله مارايت ظالما اشبه بمظلوم لما يصيبه من المضار والبلاء كما

عَيْنُ الحَسُود عَلَيكَ الدَّهرَ حارِسَةٌ   تُبْدِى المَسَاوِى وَالاحسانَ تُخْفِيه

يَلْقَاكَ بالبِشْرِ يُبْـدِيه مُكَاشَرَةً   وَالْقَلْبُ مُنْكَتِمٌ فيه الَّذى فيه

إنَّ الحَسُود بَلَا جُرْمٍ عَدَاوَتُه   وَلَيسَ يَقبلُ عُذْرًا فى تَجَنِّيه

(٤٤) تَحْرِيم أَعْرَاض (١) النَّاس وَمَا يَجِبُ مِنْ تَرْك الْوَقِيعَة

فِيهَا لِقَوْله تَعَالَى: (إنَّ الَّذين يُحِبُّونَ أنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ (٢) فِى الَّذين آمَنُوا لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ فى الدُّنيَا وَالْآخِرَة) وَقَوْله تَعَالَى: (إنَّ الَّذين

جاء بعد ذلك فى تفصيله من قوله نفس دائم لان الحسود يبقى يتنفس الصعداء فهو لايبرح نفسه يجرى بصورة غير اعتيادية كانه ينفخ فى شىء وهذا تعب غير يسير ٭

وقوله وعقل هائم لأنه لوكان مدركا لعلم ان هذا العمل لاياتيه بفائدة ولكن هام أعز ماعنده فارتكب اقبح ما يقدر عليه وحزن دائم لأن مجرد تمنيه لايزيل نعمة الآخر فالحزن ملازم له مادام المحسود حيا اومادام الحاسد فى قيد الحياة اى قبل ان يقيم الحسد عليه قانون العدالة فيبدأ به فيقتله ٭

(١) الاعراض جمع عرض بكسر فسكون وهو كما قال ابن الاثير موضع المدح والذم من الانسان سواء كان فى نفسه أو فى سلفه أو من يلزمه أمره وقيل هو جانبه الذى يصونه من نفسه وحسبه ويحامى عنه أن ينتقص ويثلب اه

(٢) قوله إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا » الآية الفاحشة والفحش والفحشاء كما قال الراغب: ماعظم قبحه من الأفعال والأقوال وإشاعة الفاحشة انتشارها وحب الفاحشة ولو بدون إشاعة لها قبيح

يرمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالْأَخْبَارِ الْكَثِيرَةِ (١) *

ولفاعل ذلك عذاب أليم تجاه هـــذا الحب المنافى للاداب الاسلامية والشريعة المحمدية فان الدين حثنا على حب بعضنا بعضا فقد روى الامام أحمد. والبخارى. ومسلم فى صحيحيهما عن أنس «لا يؤمن أحد كم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» ولا شك أنه لا يحب أن تشيع الفاحشة فى نفسه فاذن قد أراد لأخيه خلاف ما يرضاه لنفسه فلم يعمل بمقتضى التعاليم الدينية فاستحق العذاب الاليم فى الدنيا لكل من علم فعله هـذا المخالف للمشروع والدال على انقطاع حبل الاخوة الدينية وفى الآخرة من العذاب الشديد. وهـذا ابلغ من الزجر على الاشاعة لان المنع عن حب الشىء أمنع لفعله بالاولى فليحترز المؤمن على إقدام مثل ذلك ولكن مع الاسف إنها فعـلة شنيعة قد عمت وانتشر بلاؤها فاصبحت لا يخجل منها مرتـكبها ولا يعيبه الغير عليها لانحلال عرى الرابطة والجامعة ، فانا لله وإنا إليه راجعون *

(١) قوله «إن الذين يرمون المحصنات» الآية . المحصنات جمع محصنة العفيفة من الحرائر المتزوجات فمن أقبح العيوب وأشنع الفعال رمى العفيفات وذلك لأنه يجوز أن ينخدع أحد المغفلين بقوله فيصدقه فى المؤمنة الغافلة ويسرى القذف إلى أبنائها فاراد الله أن يذوق بلاء ما جناه فامر بحده ثمانين جلدة وأن لا تقبل له شهادة أبداً لتكون ذكرى لعمله القبيح ولتكون ردءاً من احتمال بقاء القذف فى مخيلة من ليس واقفا على القضية ولم يحضر إقامة

وَكَحَديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ « الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَسْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ » *

وَحَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي الصَّحِيحِ « لَا يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلًا بِالْفِسْقِ وَلَا يَرْمِيهِ بِالْكُفْرِ إِلَّا ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ » *

(٤٥) إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلهِ عَزَّ وَجَلَّ (١) وَتَرْكُ الرِّيَاءِ لِقَوْلِهِ

الحد مع اللعن فى الدنيا والآخرة ليكون بعيدا عن رحمة الله بما اقترف وعمل حيث ارتكب ذنبا قد يتجاوز أناساً كثيرين وقد يحدث فتنة لا تسكن إلا باراقة دماء كثيرة أو توجب فرقة يشق التئامها واجتماعها *

(١) قوله « اخلاص العمل لله تعالى » أى أنه يقصد بطاعته أن لا يشرك معه أحداً فلا يفعل شيئا لأجل أحد ولا يترك شيئا مراعاة لأحد لأن كلا من هذين مهلك ولذلك قال بعضهم العمل لأجل الناس رياء وترك العمل لأجل الناس كفر والاخلاص أن يعافيك الله منهما *

وقيل الاخلاص هو افراد الحق سبحانه وتعالى بالقصد فى الطاعة وتصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين ، فالمخلص لا رياء له ، والصادق لا اعجاب له ، ولا يتم الاخلاص إلا بالصدق . ولا الصدق إلا بالاخلاص

تعالى (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء) (من كان يريد حرث الآخرة (١) نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب) (من كان يريد الحياة الدنيا

ولا يتمان إلا بالصبر *

روى أبو داود والنسائى بسند جيد عن أبى امامة قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر ماله؟ فقال رسول الله ﷺ لاشىء له فأعادها ثلاث مرات ويقول رسول الله ﷺ لاشىء له ثم قال إن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا وابتغى به وجهه» والله جل جلاله ينظر إلى اخلاص القلب وطهارته لا إلى ظاهر الجسم وحسن صورته لكن اذا كان الجسم والصورة فى نظافة وجمال تبعا لنظافة القلب وطهارته يكون أكمل وأسعد ، أخرج مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ «ان الله لا ينظر الى أجسامكم ولا الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم »

وقوله «وترك الرياء» الخ وهو ترك الاخلاص فى العمل بملاحظة غير الله فيه فترك الرياء شعبة من الشعب التى تبرهن على قوة الايمان وأنه لا يخشى عليه من التزعزع والتغير ذلك لأنه فهم نفسه وأدرك معنى البشرية واستطاع أن يعقل علو رتبة مقام الربوبية فلما لم يره دل على أنه ملاحظ الذات العلية وهذا هو المطلوب بل هو عين الاخلاص الذى حث عليه الشارع *

(١) قوله «من كان يريد حرث الآخرة» أى أنه لا يريد أن تكون ثمرات أعماله غير ثواب الآخرة فان الله سبحانه وتعالى يزيد له فى حرثه

وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ، (فَمَنْ كَانَ يَرْجُو الِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) ۞ وَلِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ ، فَمَنْ عَمِلَ لِي عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي ، فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ(١) وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ ۞ وَلِحَدِيثِ جُنْدَبٍ رَضِيَ

ليكون الثمر وقت حصاده عظيما حيث شبه الأعمال بالحرث الذى هو القاء البذر فى الأرض لتنبت أضعافه، ولما كان الله وعد على الحسنة جزاء الى سبعمائة ثم قال والله يضاعف لمن يشاء أى أكثر من العدد المذكور قال تعالى نزد له فى حرثه ليحصد شيئا كثيراً من الرضوان الالهى والانعامات الربانية فى دار الخلد وعدا من الله حقا . وأما من أراد حرث الدنيا نؤته من دنياه التى لا تساوى جناح بعوضة ما يستحقه فى التوزيع ولكنه يبقى فى الآخرة محروما من نصيب الثواب وهذه الآية تردع المرء العاقل عن أن يجعل الدنيا مقصودة لذاتها فيقصر طلبه من الله عليها وانما يطلبها لكونها وسيلة والطلب المقصود يكون محصوراً بالآخرة ۞

(١) قوله «اشرك فيه معى غيرى فانا منه برىء» لأن الله غنى عن العالم وعن عبادتهم فلما اشرك مع الله غيره فاما لاعتقاده باحتياج الله الى الشريك وهذا هو الكفر واما أن يرى أن الغير مساو لله عز وجل وهذا هو الشرك فلا يقبل الله هذه الأعمال التى لم تكن لمحض العبودية ۞

اللهُ عنه في الصَّحِيحَيْنِ « مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ(١) » *

---

(١) قوله «من سمع» الخ بفتح السين المهملة والميم الثقيلة والثانية مثلها وقوله : « ومن يرائى » بضم التحتية والمد وكسر الهمزة والثانية مثلها وقد ثبتت الياء فى آخر كل منهما أما الأولى فللاشباع وأما الثانية فلذلك أو التقدير فانه يرائى به الله ووقع فى رواية وكيع عن سفيان عند مسلم «من يسمع يسمع الله به ومن يرائى يرائى الله به » وفى الزهد لابن المبارك «من سمع سمع الله به ومن راءى راءى الله به ومن تطاول تعاظما خفضه الله ومن تواضع تخشعا رفعه الله » وتعريفهـا عين تعريف الرياء لما ذكرناه فى نفس هذا الباب الا ان السمعة تتعلق بالسمع والرياء يتعلق بالبصر أى من سمع فى الدنيا فان الله يوم القيامة يسمع الناس ما نواه فى دنياه فيفضحه ومن يرائى يرى الناس ما كان عليه فيشهره ليكون عذابه ابلغ وعقابه اشد. روى مسلم فى صحيحه والنسائى والترمذى وحسنه وابن حبان فى صحيحه عن ابى هريرة . قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ان اول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فاتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى استشهدت قال كذبت ولكنك قاتلت لان يقال فلان جرئ. فقد قيل ثم امر به فسحب على وجهه حتى القى فى النار ورجل تعلم العلم وعلمه الناس وقرأ القرآن فاتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال تعلمت العلم وعلمته وقرات فيك القرآن قال كذبت ولكنك تعلمت ليقال عالم وقرات القرآن ليقال هو قارئ. فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى القى فى النار. ورجل وسع الله عليه واعطاه من اصناف المال فاتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال ما تركت

أنبانا البيهقي بإسناده « أن أبا عمر سئل عن الاخلاص فقال مالا يحب أن يحمده عليه إلا الله عز وجل » * وعن سهل بن عبد الله لا يعرف الرياء إلا مخلص ، ولا النفاق إلا مؤمن ولا الجهل إلا عالم ولا المعصية إلا مطيع » (١) *

وعن الربيع بن خثيم كل ما لا يبتغى به وجه الله يضمحل * وعن الجنيد لو أن عبداً أتى بافتقار آدم وزهد عيسى وجهد أيوب وطاعة يحيى واستقامة إدريس وود الخليل وخلق الحبيب وكان فى قلبه ذرة لغير الله فليس لله فيه حاجة *

وعن زبيد يسرني أن يكون لى فى كل شىء نية حتى فى الأكل والشرب والنوم (٢) *

من سبيل تحب ان ينفق فيها الا انفقت فيها لك : قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم امر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار »

(١) قوله « لا يعرف الرياء الا مخلص » لبعده عنه فهو أدرى الناس به بخلاف من وقع فيه فهو لا يستطيع المشاهدة لاشتغاله فيه او انه اصبح يظنه هو الاخلاص و كذلك يقال فى النفاق والجهل . حفظنا الله منهما

(٢) قوله « حتى فى الاكل » اى انه لا يجعل شيئا فى الدنيا مقصوراً لذاته وانما يعد كل مافى الدنيا آلة للآخرة فالاكل مثلا للتقوى على عبادة الله

وعن سفيان كل شيء هالك إلا وجهه ، قال ما اريد به وجهه (١)

وعن هلال بن يسار . قال قال عيسى بن مريم صلوات الله عليه إذا كان يوم صوم أحدكم فليدهن لحيته وليمسح شفتيه ويخرج إلى الناس حتى كأنه ليس بصائم وإذا أعطى بيمينه فليخفه عن شماله وإذا صلى أحدكم فليسدل ستر بابه فان الله تعالى يقسم الثناء كما يقسم الرزق ٭

وعن ذى النون قال بعض العلماء ما أخلص العبد لله إلا أحب أن يكون فى جب لا يعرف ٭ وعن بشر بن الحارث عن الفضيل بن عياض لأن آكل الدنيا بالطبل والمزمار أحب إلى من أن آكلها بدين (٢) ٭ وعن مالك بن أنس رضى الله عنه قال لى استاذى ربيعة الرأى يا مالك من السفلة ؟ قلت من أكل بدينه فقال من سفلة السفلة قال من أصلح دنيا غيره بفساد دينه قال فصدقنى ٭

واللباس لحفظ البدن كى لا يمرض فلا يقوى على العبادة او لستر العورة التى نهى الله عن كشفها والزواج كى يخرج منه ذرية صالحة تعبد الله وحده وهلم جرا وهذا هو الذى كان عليه السلف الصالح رحمهم الله ٭

(١) اى كل شيء اريد به وجه الله تعالى فهو باق وثابت وما اريد به غيره فهو هالك وفان .

(٢) قوله «لأن آكل الدنيا بالطبل والمزمار» الخ لأنه لم يغش أحداً وإنما فعل

وَعَنِ ابْنِ الأعْرَابِي أَخْسَرُ الْخَاسِرِينَ مَنْ أَبْدَى لِلنَّاسِ صَالِحَ أَعْمَالِهِ وَبَارَزَ بِالْقَبِيحِ مَنْ هُوَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ *

وَعَنْ سُفْيَانَ يَامَعْشَرَ الْقُرَّاءِ ارْفَعُوا رُؤُوسَكُمْ لَا يَزِيدُ الْخُشُوعَ عَلَى مَافِي الْقَلْبِ فَقَدْ وَضَحَ الطَّرِيقُ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ وَلَا تَكُونُوا عِيَالاً عَلَى الْمُسْلِمِينَ *

وَعَنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ خَوِّفُوا الْمُؤْمِنِينَ بِاللهِ وَالْمُنَافِقِينَ بِالسُّلْطَانِ وَالْمُرَائِينَ بِالنَّاسِ

شيئا لم يخدع به أحداً ولم يراه الناس بخلاف من يأكلها بالدين فذلك قد جعله مصيدة وشبكة وباطنه بخلاف ماهو عليه وأراده الله منه فاجيب بنفي أن تكون احب على بابها إلا أن يريد بالدين أجرة التعليم حيث أن زمانه استأثر فيه ولاة الأمر على بيت المال ولم يبق لأهل العلم سهم فاصبحوا يتقاضون الأجرة لأجل احتياجهم وإلا فان الخداع بالدين لايقول أحد بانه يوازى شيئا بل هو انقص النقائص واقبح العيوب *

(١) قوله «وأجملوا فى الطلب ولاتكونوا عيالا على المسلمين» يقال اجمل فى طلب الشىء اتأدوا اعتدل فلم يفرط قال الشاعر الرزق مقسوم فأجمل فى الطلب أى اعملوا لما عليه قلوبكم ولاتخدعوا الناس وتجعلوا الملكم ان رزقكم لايكون الا من الصدقات والأوساخ بل ان القارىء يجب ان تكون همته ارفع وعزيمته امضى فلا يداهن الناس ويجتهد فى ان لايحتاج اليهم ليبقى معززاً مكرما *

(٢) قوله «خوفوا المؤمنين بالله» لأنهم لايخافون سواه وخوفوا المنافقين

﴿٤٦﴾ السُّرُورُ بالحَسَنَةِ وَالاغْتِمَامُ بالسَّيِّئَةِ (١) لحَدِيث جَابِر ابْن سَمرَة عَنْ عُمَر بن الخَطَّاب رَضِىَ اللهُ عنه فى سُنَن أَبِى دَاوُد «وَمَن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مومن» *

﴿٤٧﴾ مُعَالَجَةُ كُلِّ ذَنْبٍ بِالتَّوْبَة (٢) لقَوْله تَعَالَى (وَتُوبُوا إلَى

بالسلطان لأنهم لايرون أ ابر منه . والمرائين بالناس لأنهم لايشهدون سواهم ويعتقدون انهم اعظم من الله قوة ونعمة والا ماعبدوا لأجلهم فجدير بان يخوف كل من الثلاثة بما ذكره البعض رحمه الله *

(١) قوله «السرور بالحسنة» السرور ضد الحزن وهو لذة تقع فى القلب بادراك المحبوب ونيل المشتهى فيتولد من ادراكه حالة تسمى سروراً كما ان فقد المحبوب يتولد منه حالة تسمى الحزن والغم . فسرور العبد بالحسنة لانه برهان على احترامها وانها محبوبة فى نظره مبجلة لديه وعلى قدر تعلقه بالشىء يعرف مقياس حبه، والاغتمام بالسيئة لانه دليل على أنها مكروهة لديه ينفر منها ولايريدها فيغتم لها كما يغتم لمصيبة عظيمة وهذا هو الايمان الصادق لان حب الشىء يبعث على الاكثار منه وملازمته أو اتيان أفضل أنواعه مما امر الله به من علم وعمل وحسن خلق وكراهة الشىء تسوق الى النفرة والبعد عنه فيجفل منه حتى لا يمكن أن يغش فيه فيكره كل الموبقات من ترك العبادات ومن الحسد والغل وقول الزور والكذب والفتنة والفساد فى الارض *

(٢) قوله «معالجة كل ذنب بالتوبة» وهى انابة العبد الى مولاه ورجوعه الى سيده ومالك أمره ولايخرج عن دينه فيقلع عما كان عليه من ارتكاب المعاصى اواجتناب الطاعات مع العزم على ان لا يعود الى تلك الحالة الماضية التى تاب الى الله منها واناب . لما رواه البيهقى فى السنن أن رسول

اللهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) « تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحاً »
« وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ » الآيَاتِ *

* وَلِحَدِيثِ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ عَنِ الأَغَرِّ الْمُزَنِي
فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ . وَسُنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَغَيْرِهِمَا أَنَّهُ لَيُغَانُ . عَلَى قَلْبِي (١)
وَإِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ *

الله صلى الله عليه وسلم قال « التوبة من الذنب أن لايعود إليه أبدا » وعلامة صدق التوبة من العبد أن يكون بعدها أحسن حالا قبلها وإلا فلا معنى لها مادام حاله لم تتحسن ومعايبه لم تنقص وطاعاته لم تزد بل هو يسخر بالدين ويجعله ألعوبة لما روى مصنف الأصل فيه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « التائب من الذنب كمن لاذنب له والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزىء بربه »

(١) قوله « انه ليغان على قلبى » الخ أى يحصل لقلبي غشاوة وذلك عند انصرافه عن الحق الى الخلق لرؤية مصالح الأمة وتدبير شئونها فيرى ذلك انه غير الكمال الذى يتطلبه فى وجوده بحضرة الأنس القدسية فيرى ذلك ذنبا لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين فيخشى ان يكون أضاع من وقته ولو يسيراً والا فان هذا الانصراف عين العبادة وفيه رضاء الله ووظيفة الرسول التى ميزه الله بها « قل إنما انا بشر مثلكم يوحى الى » اى بتبليغ الأحكام الالهية فاحتمال التقصير بحيث أن فى امكانه أن يقوم بأكثر مما أداه يجعله يخاف مقام ربه ويعد ذلك ذنباً فهو يستغفر الله من مثل هذا فى اليوم الواحد مائة مرة وإليه الاشارة فى ثنائه صلى الله عليه وسلم سبحانك

﴿٤٨﴾ القَرَابِينُ وَجُمْلَتُهَا الهَدْيُ وَالأُضْحِيَةُ وَالعَقِيقَةُ

لِقَوْلِهِ تَعَالَى: (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ـ وَالبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ـ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى القُلُوبِ) الآيَاتِ (١) *

لا أحصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك. وهذا منه صلى الله عليه وسلم تعليما لنا بأن الانسان ينبغى له أن لا يغتر بعمله فان الرسول الذى بشره الله تعالى بقوله «ووضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك» أى مما تراه وزرا وان لم يكن فى الحقيقة وزراً ولقوله تعالى «ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر» يخاف ربه هذه الدرجة فغيره ينبغى ان يكون أكثر واعظم خوفا فيرى نفسه لم يكن شيئاً مذكوراً ويظهر بمظهر العبودية والتواضع والاخلاص لله تعالى *

(١) قوله «القرابين» جمع قربان وكان قربان الأمم السالفة ذبح البقر والغنم والابل، وهى تقديم كل ما يتقرب به لله تعالى من الأنعام ولها أنواع كثيرة منها ما يكون لتحصيل الطاعة كما ذكره المصنف من هدى الحج والأضحية والعقيقة ومنها ما يكون توبة من الذنب وطهارة له كالذبح فى صيد المحرم والصيد فى الحرم او لأجل الوطء فى اثناء الاحرام وكان اول قربان وقع هو مثلا لبنى آدم كما قصه الله علينا فى سورة المائدة بقوله «اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر» الآية فاذن هو من الشرائع القديمة التي جاء الاسلام به موافقا لها لان شرع من قبلنا ليس شرعا لنا * وقوله «الهدى» هو ما يسوقه الحاج من ابل او بقر او غنم ليذبحه بعد رمى جمرة العقبة وكما فعل النبى صلى الله عليه وسلم حيث ساق مائة من الابل ذبح

وَلِحَدِيث أَنَس بْن مَالِك رَضِىَ اللهُ عَنهُ فى الصَّحِيحَيْن أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ. كَانَ يُضَحِّى بِكَبْشَيْن أَقْرَنَيْن أَمْلَحَيْن (١) وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَضَعُ رِجْلَهُ فى صِفَاحِهِمَا وَيُسَمِّى وَيُكَبِّرُ. ٭ وَفى رِوَايَةٍ وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَذْبَحُهُمَا بِيَدِهِ (٢) ٭

(٤٩) طَاعَةُ أُولِى الْأَمْر لِقَوْلِهِ تَعَالَى: (أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِى الأَمْرِ مِنْكُمْ) قِيلَ هُمْ أُمَرَاءُ السَّرَايَا وَقِيلَ هُمُ العُلَمَاءُ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ عَامًّا لَهُمَا فَإِنْ كَانَ خَاصًّا فَبِأَمِيرِ السَّرَايَا أَشْبَهُ (٣) ٭

منها ثلاثا وستين وامر سيدنا عليا كرم الله وجهه ان يذبح البقية ومنه هدى وهو انه يذبحه المتمتع بالعمرة الى الحج كما ذكره الله بقوله « فما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام فى الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة » ومثال المتمتع القارن وهو الذى احرم بالحج والعمرة معا وقوله « والاضحية » هى اراقة دم من النعم فى يوم عيد الاضحى فى ايام التشريق الثلاث عند الشافعى وعند مالك وابى حنيفة يمتد يومين بعد العيد وهى سنة عند جميع الائمة الا ابا حنيفة فانه قال بوجوبها على مالك النصاب، وقال مالك سنة واجبة يقاتل على تركها أهل البلد اذا تركها جميعهم وقوله «والعقيقه» هى ما يذبح يوم سابع ولادة المولود فما بعده وشروطها كشروط الاضحية من حيث السن والعيب وكونها من النعم لكن هذه الاولى فيها الطبخ وتلك توزع نيئة (١) قوله بكبشين تثنية كبش والأقرن هو الذى له قرنان والاملح الابيض الخالص وقيل الذى يخالط بياضه شىء من السواد (٣) قوله «طاعة اولى الامر» لان فيها جمع كلمة المسلمين وعدم اعطاء

وَحَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي الصَّحِيحَيْنِ «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَمَنْ يُطِعِ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي وَمَنْ يَعْصِ الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي (١)

مجال للتفرقة التي هي سبب تمزق شمل الامة وتسيطر العدو عليها فان الاختلاف اذا حصل في جيش غالب ينقلب مغلوبا وما انقسم جماعة الا وضعفت قوتهم ووهن عزمهم وطمع فيهم عدوهم وكانت الدسائس قدما ماتحاك بالمسلمين ليحصل ذلك وقد وقع فاصبحوا ألعوبة بيد غيرهم مستعبدين في الارض وهذا هو الخسران العظيم . لكن الطاعة مقرونة بما ليس معصية اما المنكرات فلا تجوز فيها الطاعة . روى الامام احمد في مسنده عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» وفي الصحيحين . وسنن ابي داود . والنسائي عن علي كرم الله وجهه قال «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا طاعة لمخلوق في معصية الله انما الطاعة في المعروف» فاذن الطاعة مقيدة بما لا يخالف المشروع والمقصود من اولي الامر هو الذي يدبر امر العامة وينظر في شؤونها ورضيت الامة به اميراً عليها فسلمته قيادها .

(١) قوله «ومن يعص الأمير فقد عصاني» حيث قد شرط الشارع طاعة الأمير في غير معصية فاذن انه عبارة عن لسان الشريعة المتكلم بها فعصيانه عصيان للشريعة . وهذا ماقاله أبو بكر: أطيعوني ما أطعت الله ولأن المسلمين لا أمير عندهم حقيقة وانما هو صوري موهوم ولهذا قال تعالى (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول) فالحاكم الحقيقي هو الشرع ولذلك جعل الشارع طاعة الأمير طاعة رسوله وطاعة الله لأنه لا يأتي من عند نفسه بشيء فالخارج على الامام لغير غرض شرعي غايته إضعاف المسلمين وتغلغل

وَلِحَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِيهِمَا يَا أَبَا ذَرٍّ اسْمَعْ وَأَطِعْ وَلَوْ عَبْدًا حَبَشِيًّا مُجَدَّعَ الأَطْرَافِ (١)*

الفساد والشقاق فيهم أو لأجل ان يسيطر عليهم عدوهم وهذا هو النفاق بعينه أو لأجل ان ينال زعامة وهذا هو الضلال لانه كان يجب أن يكون عوناً لاميره مادام يمثل الاسلام . اما وقد عصى فهذا هو الغى والخسران لأنه تبع هوى نفسه وأراد اضرار المسلمين وكلا الخصلتين مذموم صاحبه مؤاخذ عند الله تعالى . اللهم وفق ولاة امور المسلمين لطريق الصواب . اللهم أرهم الحق حقا وارزقهم اتباعه وأرهم الباطل باطلا وارزقهم اجتنابه وألق فى قلوبهم ادراك دسائس الغرب وماينوى به من العداء للمسلمين والقضاء على البقية الباقية لقد استفحل أمره بالفساد والافساد ولم يبق لنا ملجأ الا قدرتك ياغياث المستغيثين

(١) قوله «لو مجدع الاطراف» غاية فيما لو رأى الأمير تولية عبد أسود ولاية يرجى منه ان يؤديها بصدق فتجب طاعته حينئذ لان طاعته طاعة للأمير . ولكن هذا منتج الاضرار وتمزيق شمل المسلمين الاحرار الاان هذه كالفرضيات لضرورة قد تحصل نادرا لا بمعنى أن يكون أمير المؤمنين والا فان تفريق كلمة المسلمين لاظهار الغثاء والفساد وبيان الصافى خير من هذه الامارة التى تدل على ان المسلمين لم يبق فيهم خير يرجى والاستسلام لمثل ذلك هو الضلال وبسوء فهم مثل هذه الاحاديث التى هى عبارة عن فرضيات محضة استغلها الامراء ولا سيما فى الدور العباسى ففقد المسلمون عزة النفوس وأضاعوا الاباء والشمم وأصبحوا كما تراهم لا يحجمون عن الذلة ولا ينفرون عن الاهانة كأنهم ليسوا أبناء أولئك الاسلاف الامجاد الحماة الذين دوخوا العالم واخضعوا كل معاند ولم يقف امام تيارهم قوة مهما جلت وعظمت فسبحان من يغير ولا

﴿ ٥٠ ﴾ التَّمَسُّكُ بِمَا عَلَيْهِ الْجَمَاعَةُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا) (١) *

وَلِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ « مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ ثُمَّ مَاتَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً (٢) » *

يتغير ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم *

(١) قوله « التمسك بما عليه الجماعة » فان الخروج عن طريقتهم مروق من الدين فقد قال تعالى: (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شيء) ومن الغريب ان الدسائس لعبت فى المسلمين حتى اصبحوا يسعون أنفسهم بالتفرقة عن طريق الدين ظنا منهم ان هذا من الدين او ان الله تعالى يرضى عنه. ولكن هذا ينشأ غالباً من دعاة السوء اعوان الغرب وايديه العاملة واما من الجهل فيلعب به أولئك السفلة لتفريق قوى المسلمين فيتنازعوا بينهم فيضعف امرهم ويظهروا دخائلهم ويضطر احدهم بحكم الانتصار للنفس لكى يغلب خصمه ان يستعين بعدو آخر فيقع الاثنان فى شبكته وتكون له صفقة رابحة وغنيمة باردة وقد حصل ذلك ولا تزال الأيام تتمخض بهذه الحوادث وهى كل يوم في ازدياد انا لله وإنا اليه راجعون

(٢) قوله « فقد مات ميتة جاهلية » لأنه لم يرض بما عليه المسلمون ولم يقبل تحكيم كتاب الله تعالى وسنة رسوله فهو اتبع عصبيته وحميته ونفخ الشيطان فى أذانه فصار يستحقر غيره وهذه هى الجاهلية بعينها فحقه ان يموت عليها كما كان المشركون قبل الاسلام لان الرسول قال مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد كما رواه البخارى فاذا رام جعله اجسادا وافراداً فقد خالف الرسول يبغى بذلك ان تضمحل قوى الاسلام ويتغلب عدوهم عليهم

وَحَدِيث عَرْفَجَةَ بن شُرَيْح الْجُهَنِيِّ فى مُسْلِم أَيْضاً «سَتَكُونُ بعدى هَنَاةٌ وهَنَاةٌ فَمَنْ رَأَيْتُمُوهُ يُفَرِّقُ أَمْرَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ وَهِيَ جَمِيعٌ فَاقْتُلُوهُ كَائِنًا مَنْ كَانَ مِنَ النَّاسِ» *

(٥١) الْحُكْمُ بَيْنَ النَّاسِ بِالْعَدْلِ لقوله تعالى(١) «وَإِذَا حَكَمْتُم

بخروجه عن الطاعة حيث فتح الباب لغيره فيكثر الفساد وينتشر النزاع والخصام فيصبح المسلمون فوضى كمثل جسد ولا رأس له فهل ترجى له الحياة او يأمل احد منه عملا وقوله (ميتة) بكسر الميم *

(١) قوله «فاقتلوه كائنا من كان» لأن سوء نيته قد تحققت عمليا فى إظهار الشرور والفتن التى عبر عنها الشارع بقوله : هناة وهناة فلا جزاء له الا الموت لأنه فساده بلغ درجة يشق معها الاصلاح فاتلافه اسكان للفتن وفيه منفعة عظمى للمسلمين كى لايقتدوا بعمله المهلك وصلاح له أيضا لأنه ينتقل من دار التكليف كى لا تكثر سيآته لأن أنواع المطهرات أفضلها السيف لأنه لايترك مجالا لابقاء الجراثيم القاتلة والسموم المتلفة فهو العلاج النافع *

(٢) قوله «الحكم بين الناس بالعدل» لأن الحاكم قوام الدنيا والقضاء ركن الدولة فاذا فقدت العدل أمة فقد أصبحت عرضة للفساد والفتن والفوضى وصار افرادها غير آمنين على أنفسهم ولا على أعراضهم وأموالهم لان الذى يردع أرباب الفساد عن نواياهم الخبيثة هو عدل السلطان فاذا زال فلا ملجا للضعيف الا ان يكون تحت رحمة القوى وهناك تتفكك عرى النظام وتسود الفوضى لان المظلوم اذا كان غير واثق من عدالة القضاء فهو لا يستطيع مراجعته لكى ينتصف له ممن تعدى عليه أو يستحصل حقه المهضوم

بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ) (وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً) (وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) الآيَات *

وَلِحَدِيث عَبْدِاللهِ بْن مَسْعُود فِى الصَّحِيحَيْنِ « لَا حَسَدَ إِلَّا فِى اثْنَتَيْنِ رَجُلٍ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِى الْحَقِّ وَآخَرَ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِى بِهَا وَيُعَلِّمُهَا » *

﴿ ٥٢ ﴾ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْىُ عَنِ الْمُنْكَرِ (١) لِقَوْلِهِ تَعَالَى :

والظالم آمن على نفسه إذا استحضر الوسائط اللازمة من تشريك فى المحصول أو بذل من الأموال أو مسائل أخرى أدرى الناس بها الذين مارسوا الظلمة وعرفوا كيف يستبدوا بأموال الناس بل بالناس أنفسهم إلى ان صارت الأمة عرضة لما وقعت فيه لأن الأمة التى فقدت حكامها العدل فهى ليست صالحة للبقاء وإن طال أمد حكمها إن الأرض يرثها عبادى الصالحون الذين لايضيع الحق بينهم ولايشدون أزر الظالم مهما كان قويا وينصرون الظالم وإن كان ضعيفا بائسا *

(١) قوله «الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر» . وذلك لأنا قلنا إن الانسان لايمكن ان يعيش منفرداً بل لا بدله من الاجتماع ضرورة لتوقف نجاح أعماله على المساعدة وقد تسوق النفس الأمارة صاحبها إلى أن يرتع فى ارتكاب الموبقات والمجاهرة بالمحرمات غير ملتفت إلا الى مايحصل له من اللذة مندفعا بسكر الغالبة أو ثملا بخمرة الظفر والقوة لأن من

(وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) وَقَوْلِهِ: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ) وَقَوْلِهِ

المعلوم أن الناس متفاوتون فى العقول والادراكات والأجسام والقوة والضعف فلولم يجد له رادعا يمنعه عن غيه وزاجراً يحول دون أن يشط فى طريق الضلالة والاضرار بالناس فان كل مايجول بخاطره من المنكرات لايتأخر عن عمله لانفتاح باب الفوضى على مصراعيه له فهذه المضار التى ذكرناها لايكفل دفعها الا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لأنه الزاجر الذى يمنع الجاهل عن ركوب سبل الغواية وبسببه تزول عقبات الشرور فى الدنيا ولا يصيب أولئك القوم غضب الله تعالى مادام الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر موجودا رائجاً ٭

لو أمعنا النظر فى ذلك لوجدنا أن حالة المسلمين اليوم ماوصلت الى هذا الحد الا لما لم يامروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر فقد روى الترمذى وأبو داود عن أبى بكر الصديق قال يا أيها الناس انكم تقرؤن هذه الآية «يا أيها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم» وانى سمعت رسول الله ﷺ يقول «ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده» اه ٭

وروى الأصبهانى عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «لا تزال لااله الاالله تنفع من قالها وترد عنهم العذاب والنقمة مالم يستخفوا بحقها قالوا يارسول الله وما الاستخفاف بحقها قال يظهر العمل بمعاصى الله فلاينكر ولايغير» اه ٭

(إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُم وَأَموَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ) إِلَى قَوْلِهِ : (الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ) الآيات * وقوله (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) وَالْقُرْآنُ مَشْحُونٌ بِهِمَا *

وروى الحاكم عن عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ انه قال « اذا رأيت أمتي تهاب أن تقول للظالم ياظالم فقد تودع منهم » اه . وقد ذكر الله من أسباب خيرية هذه الأمة قوله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » وكان سبب لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ماقاله تعالى : « كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » وقد اصبحنا في مثل هذه الحالة يفاخر العاصي بذنبه والجاني بجرمه ومامن معارض ولامنازع بسبب اسم الحرية والترقي كي لاتكسر عواطف من يرتكب تلك الفعلة الشنعاء اما الطعن في الدين فانه لاينافي الحرية لأن المؤمنين او المتدينين لاحق لهم في هذه الحياة وكسر عواطفهم واهانة معتقداتهم لاتعد جريمة ولاذنبا تؤاخذ عليه القوانين الحاضرة فانا لله وانا اليه راجعون *

وللصحابة رضوان الله عليهم أجمعين اليد الطولى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أذكر لك نموذجا منه لتقتدي بهم وتسير على منهاجهم *

قال حذيفة بن اليمان : دخلت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه

فرأيته مهموما حزينافقلت: مايهمك ياأمير المؤمنين؟ فقال :أخاف أن أقع في منكر فلا ينهاني أحد منكم تعظيما لي فقال له حذيفة : والله لو رأيناك خرجت عن الحق لنهيناك فان لم تنته ضربناك بالسيف قال: ففرح عمر وقال الحمد لله الذي جعل لي أصحابا يقوموني إذا اعوججت *

وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول : لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم سلطانا ظالما لايجل كبيركم ولايرحم صغيركم ويدعو عليه خياركم فلايستجاب لهم وتستنصرون فلاتنصرون وتستغفرون فلا يغفر لكم *

وقال الامام علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه : من نهى عن المنكر وشنأ الفاسقين وغضب اذا انتهكت حرمات الله غضب الله تعالى له ، وعنه أيضا كرم الله وجهه قال : سيأتي على الناس زمان يكون منكر المنكر فيه أقل من عشر الناس ثم يذهب العشر بعد ذلك فلا يبقى أحد ينكر منكرا *

وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : سيأتي على الناس زمان يكون صالحهم فيه هو من لايأمر بمعروف ولاينهى عن منكر فيقول الناس مارأينامنه الاخير الكونه لم يغضب لله تعالى *

وعلى كل انسان أن يامر بالمعروف وينهى عن المنكر في الأشياء التي يستوي فيها العالم والجاهل كالزنا وشرب الخمر والربا والغيبة والنميمة والكذب والحلف بغير الله وصفاته والاعتماد على غير الرازق تعالى وأذى الناس واعانة الظالم وترك الصلاة والزكاة والحج الى غير ذلك مما شاع علمه لكل فرد سواء نفعت الذكرى أم لم تنفع وعليه حمل (ان) في قوله تعالى :(وذكر ان نفعت الذكرى) على معنى (قد) وقد أجاب سفيان الثوري رحمه الله تعالى حينما سئل ايأمر الرجل من يعلم أن لايقبل منه فقال نعم ليكون ذلك معذرة له عند الله تعالى ، وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول: ذهب المعروف يبكي وجاء المنكر يضحك ثم ينشد:

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت فى خلف يزكى بعضهم بعضا ليدفع معور عن معور

فانظر أيها القارىء الى هذه الصفات الحميدة وما كان عليه السلف من الاهتمام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وأعرض صفات العلماء والوعاظ المرشدين فى هذا العصر — الذى ارتقى الوعاظ فيه الى أوج الكمال على زعمهم — على ماسمعت لتعرف هل هم ممن ينكر المنكر إذا رأوه أو سمعوا به حقيقة أولا ؟ وهل هم ممن يحبهم الله تعالى أولا، وهل نصروا شريعة نبيهم المعظم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم او أعرضوا عنها وهل هم ممن أناط نظره بالدعوة الى مصالح المسلمين عامة بقطع النظر عن المسائل المذهبية ومشارب رؤساء الصوفية لكونهم يزعمون انهم من الدعاة الى الله تعالى بحكم النيابة والوراثة النبوية . وليتهم فعلوا مثل مايفعل الاجانب من الدعاية للاحزاب او العقيدة كماهو واقع الآن فى المانيا واسبانيا وايطاليا وروسيا. ولصديقنا الأستاذ المحب الخطيب مقالة هنا تكتب بماء الذهب احببت أن أسردها حرصا على المنفعة العامة قال

إن نجاح الواعظ الاسلامى منوط بسعة نظره إلى الاسلام، وادراكه جليل أغراضه واستيعابه الصورة التى يريدها الاسلام للامة التى تنتمى اليه وتسلك سبيله ٭

هل سمعت بوزارة الدعاية فى دولة النازى التى أسسها هتلر؟ انها أهم وزارة فى دولته، ويعتبرونها قوام حياة الألمان وصخرة نجاتهم . والقائمون بها — من الوزير الى الألوف من رجاله وأعوانه — هم الذين فهموا الشكل الذى يراد افراغ الأمة به، ودرسوا الاساليب التي تتبع فى توجيه الجماهير نحو غاياتها العليا، وقد بدأوا بانفسهم فآمنوا بما يدعون اليه وكانوا اقدوة للناس فى تفاصيل ذلك لايخرجون عنه فى شىء من ظواهر أحوالهم وبواطنها ٭

ان الواعظين فى الاسلام هم القائمون له بمثل ماتقوم به وزارة الدعاية ورجالها لدولة النازى فى أيامنا ٭

أكبر غلطة ارتكبها بعض المنتمين الى الصوفية من الوعاظ ربطهم

الناس بالاشخاص لا بالمبادىء ، فصار أتباعهم . ومن سرت اليهم عدواهم يعرفون الحق بالرجال وكان يجب ان يعرفوا الرجال بالحق ، انقادوا للرجال يسيرون من ورائهم أصابوا ام اخطأوا ، ولو عودوهم السير وراء المبادىء ومع من ينزل على احكامها لبقينا كما كنا فى الصدر الاول اهل قوة ومنعة واستقامة ، لان الرجال يعتريهم التغير ويقعون فى الخطا . وأما المبادىء الصحيحة فانها لا تتغير ولا تخطىء . والاسلام لا يعرف العصمة الا للانبياء فيما يبلغون عن الله لان الله عز وجل لما اناط بهم الامانة العظمى اسبغ عليهم حلة الكمال الانسانى صيانة لها . اما العلماء والشيوخ والمرشدون فانهم عباد الله يخطئون ويصيبون . فما وافقوا به نصوص الاسلام ومباده التى قررها الشارع ﷺ ودعا الامة اليها فعلى المسلمين اتباعهم فيه . وما خالفوا فيه النصوص الصحيحة الظاهرة . والمبادىء الثابتة الواضحة . فعلى الامة ان تكون مع المبادىء والنصوص تاخذ بما وافقها وتعرض عمن خالفها .

ومن اهم واجبات الواعظين فى الاسلام تعليق آمال الناس بالخالق دون الخلق فى جميع المعانى . فمن اعتقد ان النفع والضر بيد الله يستحيل عليه ان يطيع مخلوقا فى معصية الخالق . ومن اعتقد ان النفع والضر بيد الله يستحيل عليه ان يستخذى لمستعمر . ومن اعتقد ان النفع والضر بيد الله يستحيل عليه ان يضحى شيئا من الدين لشىء من الدنيا . والامة المسلمة اذا استطاع الواعظون ان يجعلوا هذا خلقا من اخلاقها كانت بذلك خيراً مما تعمل وزارة الدعاية فى دولة النازى على توجيه الامة الالمانية له . ولكن الشرط الاساسى لنجاح الواعظين فى حمل الامة الاسلامية على هذا الخلق ان يبدأ الواعظون بانفسهم فيحملوها على التخلق به ، فان لم يفعلوا فان اقوالهم المعسولة فى تحسينه للناس لا تجدى نفعا والناس يتعظون

من طريق أبصارهم أكثر مما يتعظون من طريق أسماعهم .

ومن اهم واجبات الواعظين فى الاسلام مقاومة العصبيات الحزبية والاقليمية والجنسية وتوثيق الأخوة المحمدية بين المسلمين ، ورياضة نفوسهم على السخاء فى سبيل ذلك بالنفس والمال حتى يؤمن الأغيار بأن المسلمين عادوا — كما كانوا — كأنهم البنيان المرصوص يشد بعضه بعضا . ويجب أن يكون الوعظ فى هذا الموضوع عن ايمان به ويقين ، لا استرسالا مع أساليب الصنعة . وقد وجدنا الايمان بهذا المعنى معينا لمتخرجى المدارس المدنية من أعضاء مؤسسات شبان محمد ﷺ على اقناع الناس به بأسرع مما يقتنعون به بوعظ الوعاظ . ولقد فعل اولئك الشباب فى نشر دعوتهم الطاهرة بأقصر مدة مالم يفعله الواعظون فى دهر طويل .

ومن اهم واجبات الواعظين أن يجعلوا الأمة أمة صدق وانصاف . فان اصح العقائد واجمل العبادات اذا اتصف بها المسلمون ولم يكونوا فى بيوتهم واسواقهم وسياستهم واعمالهم امة صدق وانصاف ، فانهم يظلون حجة على الاسلام فى نظر من يجهله من غير المسلمين .

اما اذا عادوا الى الصدق والانصاف فجعلوهما من اخلاقهم الدينية وعلم الاغيار ان ذلك اثر من آثار الاسلام فى اخلاق اهله . فان دعوة الاسلام تنتشر بذلك بين غير المسلمين اكثر مما تنتشر بالمناظرات المملة والجدل العقيم . ومما لاشك فيه ان الصدق والانصاف اللذين اتصف بهما المسلمون الاولون كان لهما من الاثر فى انتشار الاسلام وذيوع لغة القرآن مالم يكن لاى مؤثر آخر . ولقد كانت الامم تدخل فى دين الله لما ترى من اثر هذا الدين فى اخلاق اهله . اما الجدل فكان المسلمون فى الصدر الاول ابعد الناس عنه لأنه اخو المراء وقد دلت التجربة على انه يصد عن الحق اكثر مما يقرب اليه .

وَلِحَدِيثِ أَبِى سَعِيدٍ فِى صَحِيحِ مُسْلِمٍ «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ» (١) *

وبعد فان الواعظ حكيم الامة: يتحرى مواطن ضعفها ويبدأ بنفسه فيجردها عن اسباب ذلك الضعف. ثم يدعو الى ذلك بسيرته اولا وبايقاظ الامة بعد ذلك الى مايترتب على استجابتها لدعوته من مصالح لها في دنياها ودينها. ولو كنت واعظ الرسمت فى ذهنى ما يجب ان تكون عليه الامة الاسلامية بين الامم. ولحاولت ان اجعل من نفسى نموذجا للرجل فى تلك الامة وان امة يكثر فيها الائمة والواعظون على هذه الشاكلة لاتلبث ان تاتم بهم فى اخلاقها كما تاتم بهم فى صلاتها ومن عادة الله فى المسلمين اذا كونوا كيانهم على الاخلاق ان يجعلهم ائمة للامم فى اقرب وقت واوجزه وتلك من معجزات دينهم التى لايعرفها التاريخ لغيرهم *

اللهم وفق علماءنا وامراءنا الى ازالة المنكر والذب عن حياض الشريعة المطهرة *

(١) قوله « فان لم يستطع فبقلبه » وذلك لأنه يدل على انه كاره له ولكن ليس عنده من النفوذ مايزيله ولامن القوة ان يتكلم فيه ومعنى بقلبه ان يتباعد عن فاعله ويتخلى عنه ولايقربه ولايجالسه والا فمامعنى الكراهة؟ مادام معه موافقا له بالصورة الظاهرة التى عليها مدار احكام الشريعة الغراء بل ان الانتقال الى المرتبة الثالثة لايصح الا بعد عدم تمكنه من اداء الاولى فالثانية فلايظن احد ان مجرد الكراهة وهو جالس فى وسط المنكر يجديه نفعاً فمعاذ الله ان يصح ذلك بل لابد من مغادرة المجلس

وَحَديث عَبْد الله بن مَسْعُود فيه أَيْضًا «مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّته قَبْلي إِلَّا كَانَ لَهُ فِي أُمَّته حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ (١) » *

وترك صحبة اهله والانسحاب عنهم لانقطاع العلاقة الحقيقية ولاسماوانه لا يقدران يتفوه معهم ببيان ماهم عليه من المعاصى فبمثل هذه الحال تجب النفرة منهم زجرا لغيرهم وتاديباً لهم عساهم يتوبون مما يقترفونه من الذنوب والآثام وينبغى ان يكون النصح بما يلائم حالة العاصى من لين وشدة فقد قال تعالى يعلم موسى عليه السلام كيفية الارشاد فى دعوة فرعون «فقولا له قولا ليناً لعله يتذكر او يخشى» فاذا كان اللين يكفى فالشدة لا تجوز واذا كان السر يكفى فالمجاهرة غيبة او ذم محرم ولهذا قال الامام الشافعى من وعظ اخاه سراً فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد ذمه وشانه والحديث أخرجه أيضا احمد والنسائى والترمذى وابن ماجه عن ابى سعيد*

(١) قال الراغب فى مفرداته: الحواريون أنصار عيسى ﷺ قيل كانوا قصارين وقيل كانوا صيادين، وقال بعض العلماء انما سموا حواريين لأنهم كانوا يطهرون نفوس الناس بافادتهم الدين والعلم المشار اليه بقوله تعالى (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) قال وانما قيل كانوا قصارين على التمثيل والتشبيه وتصور منه من لم

وَفى الصَّحيحين من حديث سُفيان بن عيينة عن الزُّهرى عن عروة عن زينب بنت أبى سلمة عن حبيبة عن امها أم حبيبة عن زينب زوج النَّبى صلى الله عليه وسلم قالت «استيقظ النَّبى صلى الله عليه وسلم من نومه محمرا وجهه وهو يقول لا إله إلا الله ثلاث مرات ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج (١) مثل هذه وحلق حلقة باصبعيه الابهام والتى تليها قالت زينب فقلت يارسول الله أنهلك وفينا الصالحون

يتخصص بمعرفته الحقائق المهنة المتداولة بين العامة قال وانما كانوا صيادين لاصطيادهم نفوس الناس من الحيرة وقودهم الى الحق قال عليه السلام : الزبير ابن عمتى وحوارى ، وقوله عليه السلام : لكل نبى حوارى وحوارى الزبير فتشبيه بهم فى النصرة حيث قال : (من انصارى الى الله قال الحواريون نحن انصار الله) *

وقال العلامة ابن الأثير الحواريون اصحاب المسيح عليه السلام اى خلصائه وانصاره ، واصله من التحوير التبييض قيل انهم كانوا قصارين يحورون الثياب اى يبيضونها ، والله اعلم

والخلوف — بضم الخاء المعجمة — جمع خالف — باسكان اللام — وهو الخالف بشر واما بفتحها فهو الخالف بخير هذا هو الأشهر كما ذكره النووى رحمه الله تعالى *

وقال ابن الاثير . الخلف بالتحريك والسكون كل من يجىء بعد من مضى الا أنه بالتحريك فى الخير وبالتسكين فى الشر اه (١) ياجوج وماجوج ملتان عظيمتان هما تسعة اجزاء العالم على ما حكى عن ابن عباس رضى الله عنهما *

قَالَ نعم إذا كَثُرَ الخَبَثُ»(١)*

وَبه أنبأنا البيهقى باسْناده عن مَالك بن دينار انه قرأ هذه الآية (وَكَانَ فى المَدينَة تسعةُ رهط يفسدون فى الأرض ولا يصلحون) فاما اليوم ففى كل قبيلة وحيّ من الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون *

وَعنه أيضًا أن الله عز وجل أمر بقرية أن تعذب فضجت الملائكة وقالت إنَّ فيهم عبدك فلانا قَالَ أسمعونى منه صيحة فان وجهه لم يتمعر يوما غضبا لمحارمى(٢)* وروى ذلك مرفوعا إلى النبى

---

(١) قوله « نعم إذا كثر الخبث » وذلك لأنه دليل على أن الفساد قد عم فأصبح الصالح غير مرئى ولا باستطاعته أن يقوم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى الأحوال الثلاث لأن الكراهة بالقلب معناها النفرة ممن ارتكب تلك القباحة فاذا اعتزله المؤمنون فانه يتألم أما إذا كثر الخبث فان المسلمين تقل حينذاك ولا يتأثر من ابعادهم وحدهم فيحصل الهلاك وإن كثر الصالحون قال الله تعالى (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) والخبث ــ بفتح الخاء المعجمة والباء الموحدة ــ قال النووى وفسره الجمهور بالفسوق والفجور ، وقيل المراد الزنا خاصة وقيل أولاد الزنا والظاهر أنه المعاصى مطلقا اه ، واقتصر ابن الأثير على قول الجمهور

(٢) قوله « فان وجهه لم يتمعر يوما غضباً لمحارمى » مما يدل على أنه يرجح الدنيا على الآخرة فهو وإن كان لم يرض بالأعمال المنكرة إلا أنه

صَلَّى اللّٰهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاسْنَادٍ ضَعِيفٍ *

وَعَنْهُ أَيْضًا اصْطَلَحْنَا عَلَى حُبِّ الدُّنْيَا فَلَا يَأْمُرُ بَعْضُنَا بَعْضًا وَلَا يَنْهَى بَعْضُنَا بَعْضًا وَلَا يَذَرُنَا اللّٰهُ تَعَالَى عَلَى هَذَا فَلَيْتَ شِعْرِي أَيُّ عَذَابٍ يَنْزِلُ *

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ: كَانَ يُقَالُ إِنَّ اللّٰهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُعَذِّبُ الْعَامَّةَ بِذَنْبِ الْخَاصَّةِ وَلَكِنْ إِذَا عُمِلَ الْمُنْكَرُ جِهَارًا فَلَمْ يُنْكِرُوهُ اسْتَحَقُّوا الْعُقُوبَةَ كُلُّهُمْ (١) *

ليس عنده من الايمان مايجعله ينكر على من خالف المشروع أو ينفر منه فان أصحاب السبت لم ينج منهم إلا من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر أما الفريق الذى لم يرض بالمنكر ولم ينه عنه فانه غير ناج بدلالة قوله تعالى: «واذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون. فلما نسوا ماذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون. فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين» فترى ان البارى تعالى لم ينج منهم الا الذين ينهون عن السوء لأنهم المؤمنون حقا العاملون بايمانهم اعتقاداً وقولا وعملا *

(١) قوله « فلم ينكروه استحقوا العقوبة كلهم » ذلك لأن ماعلم من الدين بالضروة لافرق فى المسئولية عنه بين العالم والجاهل والخاصة والعامة لأنه لايحتاج الى علم فالعقوبة تشمل الجميع ولا تستثنى أحداً ماداموا متفقين على عدم انكار المنكر *

(٥٣) التَّعَاوُنُ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى لِقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الاثْمِ وَالْعُدْوَانِ) (١) *

وَلِحَدِيث أَنَس بن مَالك فى الصَّحِيحَيْن « انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا فَقَالَ رَجُلٌ يَارَسُولَ الله انْصُرُهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ أَنْصُرُهُ ظَالِمًا فَقَالَ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ فَذَلِكَ نَصْرُكَ إِيَّاهُ» (٢)*

---

(١) قوله «التعاون عل البر والتقوى» لأنه ينتج عن معرفة الايمان ووحدة المؤمنين فاذا صدقوا بمااعتقدوه فلابد لهم من التعاون الذى يمثل الاتفاق والصداقة أو فناء الفرد فى ضمن المجموع ولكن أن يكون على البر والتقوى ليدل على أن هذا السعى المتحد غايته رضا البارى تعالى والا فان مجرد الاتفاق ولو على الباطل فانه يمثل الطمع والغايات الدنيئة أو المنافع الذاتية ولكن البر والتقوى هو الوسيلة لحصول رضا البارى تعالى ويحق للعامل به أن يسمى المؤمن حقاً فهو يساعد أخاه اذا ظلم بردعه عما ارتكبه وباستحصال حقه اذا كان مظلوما كما قال الرسول الأعظم ﷺ وكل أمة فقدت التعاون فان زوالها مقرر والحكم عليها بالاعدام لاريب فيه أصلا وان عز الاسلام لايكون ممكن الاعادة الا متى تعاون المسلمون على البر والتقوى ليكون الحاسم للنزاع شرع الله وكتابه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وسنة رسوله الذى من أطاعه فقد أطاع الله*

(٢) بين مسلم فى صحيحه سبب ورود هذا الحديث قال «اقتتل غلامان غلام من المهاجرين وغلام من الأنصار فنادى المهاجرى ياللمهاجرين ونادى الأنصارى ياللانصار فخرج رسول الله ﷺ فقال ماهذا دعوى أهل الجاهلية قالوا يارسول الله إلا أن غلامين اقتتلا فكسع أحدهما

﴿٥٤﴾ الحَيَاءُ * لحديث سالم بن عبد الله بن عُمر رضى الله عنهما في الصَّحيحين عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سمع رجلا يعظ أخاه في الحياء فقال «دعه فان الحياء من الايمان(١)» *

الآخر فقال لاباس ولينصر الرجل أخاه ظالما أو مظلوما فان كان ظالما فلينهه فانه له نصر وان كان مظلوما فلينصره *

(١) «الحياء» هو انقباض النفس من شيء وتركه حذراً من اللوم فيه وقيل حقيقته خلق يبعث على ترك القبائح ويمنع من التفريط في حق صاحب الحق وهو نوعان نفساني وهو الذي خلقه الله تعالى في النفوس كلها كالحياء من كشف العورة والجماع بين الناس، وايماني وهو أن يمنع المؤمن من فعل المعاصي خوفا من الله تعالى قاله السيد الشريف وطبعاً فانه يختلف بحسب قوة الايمان وضعفه ولكن في غير مالا يحمد فيه الحياء كتحصيل العلم فان الحياء سبب في استتباب أمر الجهل وعدم رواج سوق العلم بين الجماعة الذين يأنفون من الجلوس لأجل العلم أو يسال من يعتقد أنه دونه أو يخشى أن يسمع الناس أنه لايعلم أو يخجل من السؤال *

روى البخاري في صحيحه عن مجاهد «من استحيا في طلب العلم كان علمه قرقيقاً قليلا» وفي صحيح البخاري أيضاً قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه «تفقهوا قبل أن تسودوا» . ومعناه أحرصوا على اتقان العلم والتمكن في تحصيله وأنتم شبان لا أشغال لكم لارآسة ولا شيء يقف بطريقكم فانكم اذا كبرتم وصرتم سادة متبوعين امتنعتم من التفقه والتحصيل، وهذا نحو ماقاله الشافعي رضى الله عنه تفقه قبل ان ترأس فاذا رأست فلا سبيل إلى التفقه اه . كلام الامام النووي في بستان العارفين المطبوع حديثاً في ادار تنا الطباعة المنيرية، والحياء المطلوب قد جمعه الحديث الذي رواه الترمذي عن عبد الله بن

وحديث عمران بن حصين رضى الله عنه فيهما «إن الحياء لا يأتى إلا بخير» ٭

وحديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه فيهما أيضا قال «كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء فى خدرها وكان إذا كره شيئا عرفناه فى وجهه (١)» ٭

وحديث أبى مسعود الأنصارى رضى الله عنه فى صحيح البخارى «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح

مسعود رضى الله عنه ﷺ قال: قال رسول الله «استحيوا من الله حق الحياء قال قلنا يانبى الله انا نستحى والحمد لله قال ليس ذلك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وماوعى، وتحفظ البطن وماحوى ولتذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء» ٭

(١) العذراء - بالمد - جمعه عذارى - بفتح الراء وكسرها الجارية البكر التى لم يمسها رجل، والخدر - بكسر الخاء المعجمة وإسكان الدال المهملة - ناحية فى البيت يترك عليها ستر فتكون فيه الجارية البكر خدرت فهى مخدرة وجمع الخدر الخدور أفاده ابن الأثير وسميت عذراء لبقاء عذرتها وهى جلدة البكارة أو لضيقها من قولهم تعذر الأمر اذا ضاق، ولاشك أن العذراء التى تتربى فيه أشد حياء من التى تخالط غيرها أو تكون داخلة خارجة وقوله «وكان اذا كره شيئا» الخ لأن وجه الرسول ﷺ كالشمس والقمر

فَاصْنَعْ مَاشِئْتَ » *(١)

﴿٥٥﴾ بِرُّ الوَالِدَيْن لقَوْله تَعَالى(٢)(وَبالوَالِدَيْنِ إحْسانًا)

فاذا كره شيئا لم يصرح بكراهيته لشدة حيائه .

ولكن يظهر فى وجهه أثر كراهيته له كالغيم على النيرين كما أن المخدرة يعرف أثر رضاها و كراهتها فى وجهها ولا تحتاج الى التكلم بذلك بحضرة الناس ، وفيه ان الحياء من الأوصاف المحمودة المطلوبة ، واستشكل بعضهم قوله ان الحياء لا يأتى الا بخير بأن الحياء قد يفرط بصاحبه حتى يمنعه من القيام بحقوق الله تعالى ومعلوم أن هذا لاخير فيه وأجيب بان هذا ليس بحياء حقيقة وانما هو خور ومهانة .

(٢) قوله « فاصنع ماشئت » فانك الآن فى الدنيا قد منحت عقلا وادراكا وارادة واختياراً بحيث تستطيع معرفة طريقى الخير والشر وايدت بما جاء من الشرائع بواسطة الأنبياء من الأحكام التى تساعدك على سلوك الخير » فلك ان تفعل ماتشاء وهذا تهديد ومعناه ان مردك الينا ومادام الحياء لم ينفعك بشىء فسوف ترى ماذا يحل بك من الغضب الالهى والنقمة التى ستحل بك حيث لم تخش الله ولم تتقه وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون .

(٢) قوله « بر الوالدين » وذلك لأنهما سبب حياته فالبر على الأقل يكون تجاه ماقاما به من الحمل كرها والوضع كرها والتعب والتربية والسهر والعناء الطويل والنفقات فان ذلك لايقابل بشىء من البر ولا سيما وكانا يعملان ذلك ويتمنيان لك الحياة والسعادة بحيث يفرحان لفرحك ويحزنان لحزنك ويمرضان لمرضك فانت لو فعلت مثل مافعلا فانك تريد موتهما لتستريح من تعبهما وحيث تعارضا فالوالدة تقدم لأن حقها ثابت بتعيين

﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾ الآيَات *

وَلِحَدِيث عَبْد الله بن مسعود رضى الله عنه فى الصَّحِيحَيْن قَالَ: « سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ اى العَمَلِ أَحَبُّ إِلَى الله عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ: الصَّلَاةُ لِوَقْتِهَا قلت ثُمَّ أَيٌّ قَالَ برُّ الوَالِدَيْنِ قلت ثُمَّ أَيٌّ قَالَ الجِهَادُ فى سَبِيلِ الله قَالَ حَدَّثَنِى بِهِنَّ وَلَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِى » (١) *

والوالد مظنون وموكول الى ثقة والدتك ودرجة امانتها ودينها ولذلك لما نزلت آية يعرفونه كما يعرفون ابناءهم قال عبدالله بن سلام انى لأعرفك اكثر من ولدى لانى لاادرى ماذا تفعل امه واما انت فان الله حافظك ولأنها أضعف جانباً وأعجز عن الكسب غالبا فحقها مقدم ولحديث «الجنة تحت أقدام الأمهات» نقله السيوطى فى الجامع الصغير ورواه القضاعى والخطيب عن أنس، وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة قال «قال رجل يارسول الله من أحق الناس بحسن الصحبة؟ قال: أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك ثم أدناك أدناك» *

(١) فيه دليل على ان احب الاعمال الى الله عزوجل الصلاة فى وقتها المحدد لها شرعا ومعنى احب افضل واقرب وهذا لاينافى ماجاء بان افضل الاعمال ايمان بالله عزوجل لان كلا بحسبه فالايمان من الاصول التى لاتقبل

﴿٥٦﴾ صِلَةُ الأَرْحَام (١) لقوله تعالى (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ) (وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) (٢) ◦

الفروع كالصلاة وغيرها الابه و دذلك بالنسبة للاشخاص لذلك فالشجاع الافضل له بعد اداء الواجبات الجهاد وهكذا نسال الله الهداية

(١) قوله : «صلة الأرحام» جمع رحم وهم الأقارب ويقع على كل من يجمعك وإياه نسب من جهة الذكور أو من جهة النساء وهى كما فى الصحيحين عن عائشة عن النبى ﷺ قال: «الرحم متعلقة بالعرش تقول من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله» ، فصلة الرحم واجبة وقطيعتها عدا عن الحرمة إذا لم يكن لسبب مشروع فان فيه دلالة على مروق الفاعل من الانسانية لأنه إذا كان لا يعطف على أقاربه فقسوته على الأباعد لا يصفها قلم أصلا بل أن مايظهر منه من الألفة للغريب عبارة عن خداع ومكر يغش بها الناس وإنما قلنا ذلك لأن الانسان يتمرن على الشفقة والوصلة بالأقارب فالجيران فالأصدقاء فاخوان الوطنية فاخوان الدين ، وأما الشفقة الانسانية فالتحقق فيها لغير الأنبياء ضرب من الخيال فان النبى ﷺ لما عاد من الطائف بعد أن آذته ثقيف وقريش لم يدع عليهم بل قال: «رب اغفر لقومى فانهم لا يعلمون» ◦

(٢) قوله «فان عسيتم إن توليتم» الآية أى إن تأمرتم وجعل الأمر بيدكم ولم تعملوا وفق الشرع الاسلامى الأنور أن تفسدوا فى الأرض

وَحَدِيثُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فِي الصَّحِيحَيْنِ «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» ٭

باطلاق العنان لأنفسكم وارتكاب الموبقات ترويـــا للشهوات والهوى وتقطعوا أرحامكم حيث تغركم الولاية ولا يوجــــد لديكم دين يردعكم ولا يسلم من شركم أحد لأن من لا يصل رحمه لا يرحم البعيد أصلا فكيف بمن يقطعه وأتى به من باب التفعيل ليفيد التكرار لانه لاوازع يصده عن عمله فهو يظن نفسه أن قد خرج عن نطاق الانسانية وأصبح ممتازاً عن البشرية لهذا يتكبر أولا على عائلته ويقطع الاتصـال بقرابته فمع الغرباء أكثر ولذلك ان نجح الظالم فلا يلبث إلا يسيرا ثم يزول ويضمحل فان الظلم لا يدوم والحق باق وإن استضعف وإن تصادما فلا يقدر الباطل على أقل صدمة تحصل من جانب الحق والحقيقـة «وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا» ٭

(١) قوله «وإن ينسأ له فى أثره» الخ أى يؤخر أجله قال فى النهاية الأثر الأجل وسمى به لأنه يتبع العمر قال زهير :

والمرء ماعاش ممدود له أمل   لا ينتهى العمر حتى ينتهى الأثر

وأصله من أثر مشيه فى الأرض فان من مات لا يبقى له أثر ولا يرى لأقدامه فى الأرض أثر اهـ ٭

ولا شك أن التأجيل المراد به هنا هو أن تحصل فى عمره بركة بحيث يراه طويلا ويستفيد منه فى الأعمال الخالدة التى لا ينقطع ثوابها كما فى حديث مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ «إذا مات الانسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له» ولا شك أن من وفقه الله تعالى لأحد هذه الثلاثة المذكورة فان عمره قد طال مادام الصدقة جارية يأتيه ثوابها تباعا وإلا

وَحَدِيثُ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ فِيهِمَا أَيْضًا عَنْ أَبِيهِ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ يَعْنِي قَاطِعَ رَحِمٍ ، قُلْتُ وَلَا فَرْقَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ بَرًّا أَوْ فَاجِرًا (١) ه

﴿٥٧﴾ حُسْنُ الْخُلُقِ (٢) وَيَدْخُلُ فِيهِ كَظْمُ الْغَيْظِ وَلِينُ

فان زيادة الأجل منافية لصريح قوله تعالى (فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) وأما مسئلة القضاء المعلق والمبرم من الآجال بحسب صحف الملائكة فان هذا لا تأثير له على الحقيقة كما لا يخفى ه

(١) قوله «لايدخل الجنة قاطع» لأن من لم يرحم أقاربه فهو لا يرحم الناس بالأولى كما قلنا فعليه لا يستحق الرحمة لأن الجزاء من جنس العمل وقوله قلت لا فرق بين أن يكون باراً أو فاجراً هذا بحسب الصورة نسب إلى البر وإلا فانه أبعد الناس عنه لأنه لم يبر بأقاربه كيف يبر بالناس؟ ولذلك لا يكون إلا فاجراً وظهوره فى مظهر البر والصلاح خديعة ومكر أراد بها غير وجه الله تعالى وإلا فلو أراد مرضاة الله تعالى لاتبع أمره ولو كان فى قلبه حنان لصرفه على أقاربه فمثل هذا يكون جزاؤه الحرمان من دخول الجنان إلا بعد عذاب أليم تطهيراً لما ارتكبه فى الدنيا من الخطايا بقطع الأرحام ه

(٢) قوله «حسن الخلق» الخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية فان كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلا وشرعا بسهولة سميت الهيئة خلقاً حسنا وان كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التى هى المصدر

الْجَانب وَالتَّوَاضُعُ لقَوْله تَعَالَى: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) وَقَوْله تَعَالَى: (وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)٭

خلقا سيئا وانما قلنا انه هيئة راسخة لأن من يصدر منه بذل المال على الدور بحالة عارضة لايقال خلقه السخاء مالم يثبت ذلك فى نفسه و كذلك من تكلف السكوت عند الغضب بجهد أو روية لايقال خلقه الحلم وليس الخلق عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه السخاء ولايبذل اما لفقد المال أو لمانع وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل لباعث أو رياء قاله السيد الشريف، والأفعال الجميلة لايمكن حصرها تفصيلا وانما هى اجمالا الاتساع لذوى العقول القاصرة وعدم الاضرار صريحا ولاتلويحا وأن لايتأخر عن عمل معروف يؤديه بالمقال أو المال أو البدن ٭

فاذن هى عبارة عن اختيار الفضائل والتحقق بها و كراهة الرذائل والتجنب عنها وجماعها قوله تعالى: « خـذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » ٭

وقد مدح الله رسوله ﷺ بحسن الخلق حيث قال تعالى « وانك لعلى خلق عظيم » فلم يمدحه بعبادة كصلاة ونحوها لأنها وان كانت مقصداً فهى فى الحقيقة دليل على المقصد وان شئت قل هى بحسب الأمر مقصد وبحسب ماينتج عنها وسيلة لقوله تعالى « ان الصـلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » وقال أيضا خطابا لرسوله الأعظم «ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك» وقال تعالى «لقدجاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه

ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم» *

وفى مسند الامام أحمد وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال :
« بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » أى لانها عبارة عن الامة ومقياسها
الذى يستبان به أمد حياتها وهل هى فى عنفوان الشباب أو أنها في دور
الانحطاط أو حالة الاحتضار ، فكل أمة علت أخلاقها وحسنت مزاياها
وكملت طباعها فان الشرف يحفها والنصر يحوطها والرفعة لاتتجاوزها
وتصبح قدوة لغيرها من الامم التى هى دونها فى كل ماتفعله لان الضعيف
شأنه تقليد القوى وطمع المغلوب اتباع أثر الغالب ظنا منه أن انتهاجه
ذلك الطريق يعيد له ما كان فقده مع أنه لو علم وادرك الحقيقة لبان له ان
المغلوبية حصلت له بسبب نقصان أخلاقه لانه المحور الاساسى الذى تدور
عليه حركة سير الامة واساس يبنى عليه آمالها ويحسن انتظامها فحسن
الاخلاق هو سبب نهوض الامم وتقدمها وانتشاره يمنع الجرائم ويحول
دون وقوع الحوادث ويمنع حصول الشر لانه لو ادى كل انسان ماعليه
من الحقوق لزالت مؤنة ابهة كثير من لواحق الدولة وزال التعب عن القضاء
وزالت الدسائس والفتن واصبح الناس اخوانا يعيشون فى سعادة ومودة
لان البيئة عبارة عن الافراد والقرى مجموع بيئات والمدن والامصار قرى
عظمت او اتصلت والدولة هى امصارها وبلدانها فاذا حسن
اخلاق الافراد فقد حسنت اخلاق الامة وكملت سعادتها وتم لها الهناء
والظفر والتوفيق فلذلك تجد اخلاق مجموع الامة غالبا تبع الاميرها اوقائدها فمتى
اتصف الملك او الامير او القائد بصفات الانسانية حقيقية وتحلى بسمات الدين
الحنيف فالامة تقتبس منه وتتاسى به وتنهج منهاجه لذلك نرى مليكنا المحبوب
فاروقا الاول متحليا باداب الدين والدنيا والامة متجهة نحوه مقبلة عليه صاغية لما
يصدر عنه من المكارم والمزايا الدينية فتتحد صفوف الامة ويتشرب قلوبهم حبه *

وَلِحَدِيثِ عَبْدِ اللّٰهِ بْنِ عَمْرٍو فِى الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا ، وَقَالَ «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا» وَفِى رِوَايَةٍ «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَىَّ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا» (١) ❊

وَلِحَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِىَ اللّٰهُ عَنْهَا فِى الصَّحِيحَيْنِ أَيْضًا أَنَّهَا قَالَتْ : «مَاخُيِّرَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَالَمْ يَكُنْ إِثْمًا فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ وَمَاانْتَقَمَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللّٰهِ فَيَنْتَقِمَ لِلّٰهِ بِهَا» (٢) ❊

---

(١) قوله «لم يكن فاحشا» اى بطبعه «ولا متفحشا» بكسبه ومعاذ الله ان يكون كذلك وهو العفو والصفوح بحيث لم يكن يغضب الا لله تعالى اى حين انتهاك حرماته فلم يكن قلبه معلقا بالدنيا بل كان يعطى عطاء من لايخاف الفقر ❊

ومن المعلوم ان قول الفحش يدفع اليه الطمع الدنيوى والنفع الذاتى والرسول عليه وعلى اله افضل الصلاة والسلام لم يكن فيه عرق يميل الى هذا ❊

(١) قوله «ان احبكم الى احسنكم اخلاقا» لان علامة الحب الطاعة وبما ان الرسول ﷺ كان اكمل خلق الله خلقا فحسن خلق المرء دلالة على صدق حبه لرسول الله حتى نهج طريقه واقتفى أثره فهو حقه أن يثبت له الحب مؤكداً بان الموضوعة لتأكيد الخبر كما هو معلوم لدى أرباب فن البلاغة

(٢) قوله «وما انتقم» الخ لأنه متحقق بالعبودية المحضة التى أثنى

وَبِهِ أَنْبَأَنَا أَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ قَالَ: وَمَعْنَى حُسْنِ الْخُلُقِ سَلَامَةُ النَّفْسِ نَحْوَ الْأَرْفَقِ الْأَحْمَدِ مِنَ الْأَفْعَالِ وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ فِي ذَاتِ اللهِ تَعَالَى وَقَدْ يَكُونُ فِيمَا بَيْنَ النَّاسِ وَهُوَ فِي ذَاتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ مُنْشَرِحَ الصَّدْرِ بِأَوَامِرِ اللهِ تَعَالَى وَنَوَاهِيهِ يَفْعَلُ مَا فَرَضَ عَلَيْهِ طَيِّبَ النَّفْسِ بِهِ سَلِسًا نَحْوَهُ، وَيَنْتَهِي عَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِ رَاضِيًا بِهِ غَيْرَ مُتَضَجِّرٍ مِنْهُ وَيَرْغَبُ فِي نَوَافِلِ الْخَيْرِ وَيَتْرُكُ كَثِيرًا مِنَ الْمُبَاحِ لِوَجْهِهِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ إِذَا رَأَى أَنَّ تَرْكَهُ أَقْرَبُ إِلَى الْعُبُودِيَّةِ مِنْ فِعْلِهِ مُسْتَبْشِرًا لِذَلِكَ

عليه الله بها فى قوله تعالى (سبحان الذى أسرى بعبده) الآية فهو لا يرى نفسه الا ليفتكر فيها فضلا عن أن ينتقم لها وإنما كان قلبه معلقاً بالحق وبدنه مشتغلا بالحق وبدنه مشتغلا باداء أعباء الرسالة وهداية الناس إلى صراط الله القويم إلا إذا انتهكت حرمات الله فيكون الانتقام لله تعالى لا له ﷺ وذلك ليعلمنا ان الحياة الدنيا لا تستحق خصاماً الى درجة انتقام بعضنا من بعض الا أن يكون قد خرق حرمة الشرع الشريف الأنور فان النفس لم يبق لها علاقة بل أصبحت لوجه الله تعالى فالانتقام يكون عبادة وهو سبب الجهاد دفاعا عن الدعوة الدينية اذا وقف فى وجهها ضال أو كافر لأن الدين لله والبغض لله والحب لله وهذا هو منتهى الكمال لمن تحقق به ●

غير ضجر منه ولا متعسر به وهو فى المعاملات بين الناس أن يكون
سمحا لحقوقه لا يطالب غيره بها ويوفى ما يجب لغيره عليه منها فان
مرض ولم يعد او قدم من سفر فلم يزر او سلم فلم يرد عليه او ضاف
فلم يكرم او شفع فلم يجب او احسن فلم يشكر او دخل على قوم
فلم يمكن او تكلم فلم ينصت له او استاذن على صديق فلم يؤذن له
او خطب فلم يزوج او استمهل الدين فلم يمهل او استنقص منه فلم
ينقص وما اشبه ذلك ولم يغضب ولم يعاقب ولم يتنكر من حاله حال
ولم يستشعر فى نفسه انه قد جفى واوحش وانه لا يقابل كل ذلك إذا
وجد السبيل إليه بمثله بل يضمر انه لا يعتد بشىء من ذلك ويقابل
كلا منه بما هو احسن وافضل واقرب إلى البر والتقوى واشبه بما
يحمد ويرضى ثم يكون فى إيفاء ما يكون عليه كهو فى حفظ ما يكون
له فاذا مرض اخوه المسلم عاده وإن جاء فى شفاعة شفعه وإن
استمهله فى قضاء دين امهله وإن احتاج منه إلى معونته اعانه وإن
استسمحه فى بيع سمح له ولا ينظر إلى ان الذى يعامله كيف كانت

مُعَامَلَتِهِ إِيَّاهُ فِيمَا خَلاَ وَكَيْفَ يُعَامِلُ النَّاسَ إِنَّمَا يَتَّخِذُ الأَحْسَنَ إِمَاماً لِنَفْسِهِ فَيَنْحُو نَحْوَهُ وَلاَ يُخَالِفُهُ، وَالْخُلُقُ الْحَسَنُ قَدْ يَكُونُ غَرِيزَةً وَقَدْ يَكُونُ مُكْتَسَباً (١) *

وَإِنَّمَا يَصِحُّ اكْتِسَابُهُ مِمَّنْ كَانَ فِي غَرِيزَتِهِ أَمْثَلُ مِنْهُ فَهُوَ يَضُمُّ بِاكْتِسَابِهِ إِلَيْهِ مَا يُتَمِّمُهُ وَمَعْلُومٌ فِي الْعَادَاتِ أَنَّ ذَا الرَّأْيِ يَزْدَادُ بِمُجَالَسَةِ أُولِي الأَحْلاَمِ وَالنُّهَى رَأْياً وَأَنَّ الْعَالِمَ يَزْدَادُ بِمُخَالَطَةِ الْعُلَمَاءِ عِلْماً وَكَذَلِكَ الصَّالِحُ وَالْعَاقِلُ بِمُجَالَسَةِ الصُّلَحَاءِ وَالْعُقَلاَءِ فَلاَ يُنْكَرُ أَنْ يَكُونَ ذُو الْخُلُقِ الْجَمِيلِ يَزْدَادُ حُسْنَ الْخُلُقِ بِمُجَالَسَةِ أُولِي الأَخْلاَقِ الْحَسَنَةِ وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ *

(١) ماذهب اليه من ان الخلق منه ماهو طبيعى ومنه ماهو كسبى هو الصواب ، وهو راى الاكثر من الحكماء والفلاسفة ، ويدل له ماجاء عن النبى ﷺ ، انه قال لأشج عبد القيس . ان فيك لخلقين يحبهما الله ورسوله الحلم والأناة . فقال اخلقين تخلقت بهما ام جبلنى الله عليهما . فقال بل جبلك الله عليهما . فقال الحمد لله الذى جبلنى على خلقين يحبهما الله ورسوله . فافاد ان من الخلق ماهو طبيعة وجبلة . وماهو موهوب ومكتسب . وكان النبى ﷺ يقول فى دعاء الاستفتاح اللهم اهدنى لاحسن الاخلاق لايهدى لاحسنها الا انت واصرف عنى سيئها لا يصرف عن

﴿ ٥٨ ﴾ الإحْسَانُ إلى المَمَالِيك(١) لقوله تعالى (وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ)

سيئها الا انت فافادانه ياتى بطريق الكسب اذاوفق لذلك. ويكتسب الخلق بالتاديب والتعليم . والوعظ. والارشاد وبمصاحبة الأخيار واولى النهى . والناس ليسوا فى ذلك سواء فمنهم من يقبل التاديب . ويتحرك الى الفضيلة بسرعة . ومنهم من يقبله ويتحرك الى الفضيلة بابطاء . ومنهم من لايتحرك أصلا وذلك فيما اذا كان شريرا بالطبع بل يزداد شرا بمخالطة اهل الشر والفسوق حمانا الله من ذلك . وبالله التوفيق ٭

(١) قوله «الاحسان الى المماليك» لأنهم لاينقصون عنكم فى الخلقة وانما لما ارتكبوا من الجهالة فى الوقوف أمام نشر دعوة الاسلام أو أن أسلافهم فعلوا ذلك فسرى اليهم تأديبا لغيرهم كما بينا كى لايظن أحد من أعداء الاسلام أن الرق قاصر عليه اذا وقع أسيراً وشاء الامام رقه بل أن الرق يتجاوز نسله من بعده ليكون زاجراً له ولغيره ممن هو على رأيه هذا فمادام على هذا فينبغى الاحسان اليه لأن الله يكره الظلم ويكره الظالم وان أمهله فانه لايهمله وانما يؤجله حتى اذا أخذه لم يفلته فياخذه أخذ عزيز مقتدر ولأن النبى ﷺ وصى بهم وبالمرأة كثيراً بل كانت آخر وصاياه كما أخرجه الامام أحمد في مسنده عن أنس فاذن اقتضى الاحسان جهتين كونه انسانا مثلك ووصية نبيك فيه ومهما كان الانسان قاصر الادراك

وَلِحَدِيثِ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ فِي الصَّحِيحَيْنِ قَالَ رَأَيْتُ أَبَا ذَرٍّ الْغِفَارِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ وَعَلَى غُلَامِهِ حُلَّةٌ مِثْلُهَا فَسَأَلْنَاهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلاً فَشَكَانِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ ثُمَّ قَالَ إِنَّ إِخْوَانَكُمْ خَوَلُكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدَيْهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مِنَ الْعَمَلِ مَا يَغْلِبُهُمْ فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَأَعِينُوهُمْ عَلَيْهِ» (١)

﴿٥٩﴾ حَقُّ السَّادَةِ عَلَى الْمَمَالِيكِ وَهُوَ لُزُومُ الْعَبْدِ سَيِّدَهُ

فلابد أن يلاحظ الجهة الأولى ولا يريد أن يخالف وصية رسول الله ﷺ فان الانسان يحترم وصية صديقه وقريبه فكيف بوصية من لا يؤمن أحدنا حتي يكون أحب الينا من مالنا وولدنا وأنفسنا ومن الناس أجمعين؟

(١) قوله «ان اخوانكم خولكم» أى اخوانكم بدين الاسلام خولكم أى ما ملكت أيمانكم من عبد وأمة فهم يساوونكم ولكن لأسباب مشروعة جعلهم الله تحت أيديكم فيجب ملاحظتهم فى المطعم والملبس وأن لا يكلف عملا لا يقدر عمله بل يحرم عليه أن يطلب منه مثل ذلك الا ان يساعده بما يخفف العبء عنه بحيث يكون مقدوراً له بلا مشقة وعندئذ لا مانع من التكليف ٭

وإقامته حيث يراه له ويامره به وطاعته له فيما يطيقه *

وفى الصحيحين من حديث عبدالله بن عمر رضى الله عنهما «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن العبد إذا نصح لسيده وأحسن عبادة ربه فله أجره مرتين» *

وفى مسلم من حديث جرير بن عبدالله «أيما عبد أبق فقد برئت منه الذمة» *

وفى سنن أبى داود من حديثه أيضاً «العبد الآبق لا يقبل الله منه صلاته حتى يرجع إلى مواليه»(١)

(٦٠) حقوق الأولاد والأهلين وهى قيام الرجل على ولده وأهله وتعليمه إياهم من أمور دينهم ما يحتاجون إليه لقوله تعالى: (قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة) قال الحسن:

---

(١) قوله «لا يقبل الله منه صلاته» الخ لأنه خالف امر الله تعالى ولم يرض بحكمه فهو لا يقبل منه عمله لأن صلاته حينئذ اما عادة وهذه لا قيمة لها واما لغير ذلك فتكون للرياء والله أغنى من أن يقبل عبادة أشرك العابد فيها معه غيره ولأن ظاهر الحال يكذبه فلو كان صادقا لاستسلم للحكم الالهى ورضى بقسمته حتى اذا رجع الى مواليه دل على توبته وهو الذى يقبل التوبة عن عباده *

اى مُرُوهُمْ بِطَاعَةِ اللهِ وَعَلِّمُوهُمُ الْخَيْرَ وَقَالَ عَلِيٌّ عَلِّمُوهُمْ أَدِّبُوهُمْ ٭

وَلِحَدِيثِ أَنَسٍ فِى صَحِيحِ مُسْلِمٍ مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ هَكَذَا وَضَمَّ أَصْبُعَيْهِ (١)

(٦١) مُقَارَبَةُ أَهْلِ الدِّينِ ، وَمَوَدَّتُهُمْ وَإِفْشَاءُ السَّلَامِ بَيْنَهُمْ

---

(٢) قوله «من عال جاريتين» قام بمؤنتهما وتربيتهما غير طامع فى شىء منهما ولا مأن عليهما بما فعل فلا يريد منهما جزاء ما بذله ولم يستخدمهما فى مصالحه تجاه ما صرفه عليهما بل قصده بذلك وجه الله متحملا ذلك من صغرهما مراعيا حالهما وما يلزم لهما مع ملاحظة المشقة من تادية التربية والصيانة لأن الانثى عورة أقل شىء يلوث سمعتها ويمس بشرفها حتى اذا بلغا وتمكنا من الاستعداد للدخول فى عائلة أخرى بواسطة الزواج فانه يكون مع النبى ﷺ لانه اما غريب

وقد فعل هذا العمل العظيم واما والد وقد حارب نفسه على احتقار الانثى وأدى لها واجبها بعد ان كان اسلافه يئدونها حية فى التراب حتى تموت فهذا قد احيا نفسين وأحسن تربيتهما طامعا فى الثواب ومن أحياها فكانما أحيا الناس جميعا فكيف بمن احيا اثنتين وأجاد تربيتهما وصبر عليهما حتى بلغا سن الكمال ؟ ٭

(٢) قوله «مقاربة أهل الدين» لان الطبع يسرق من جليسه ما هو عليه فمن خالط أهل الدين فانه لابد ان يكتسب من خصالهم ويتعود على اتباع خطتهم وهذا شىء تشهد به الفطرة ولا ينكره أحد ولو مكابرا قال طرفة الجاهلى :

وَالْمُصَافَحَةُ لَهُمْ . وَنَحوُ ذٰلِكَ مِنْ أَسْبَابِ تَأْكِيدِ الْمَوَدَّةِ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى (لَاتَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا) ☆ وَلِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ . وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَاتَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَاتُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا . أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَافَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ . أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ (١) ☆

عن المرء لاتسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى

ثم يرتقى من ذلك الى المودة بان يتحابا ليدخلا فى ضمن السبعة الذين يظلهم الله تحت ظله يوم لاظل الا ظله الخ كما رواه البخارى فى صحيحه وقد علمنا الشارع كيف نتوصل الى ذلك حيث جعل لمثل ذلك مفتاحا هو السلام الذى يقرب بين المسلمين وبه يصعد الانسان الى مبادىء المودة وهى المصافحة فتقارب الاجساد وتسرى الكهربائية بينهما فيتأثر حسب حبه فى مخالطته الى اهل الدين فيكون ذلك سببا لسعادته وتوفيقه ☆

(١) قوله افشوا السلام بينكم لأنه مقدمة التعارف ومنه ينتقل الى الاعمال النافعة وهو الاشارة الوحيدة بين المسلمين ليستعملوها ولافرق بين من تعرفه ومن لاتعرف لان الجامعة الاسلامية أزالت عصبية الجاهلية وأحلت محلها اخوة الايمان فانه لايقال لك كيف تسلم على أخيك وأنت لاتعرفه؟ لان الاخوة أرقى من المعرفة فلا يكون عدم المعرفة علة لدفع السلام بين الاخوان ولأن المؤمنين كجسد واحد فلا يعاب العضو إذا رافق عضواً آخر وساعده ☆

فافشاء السلام شعار المسلمين ولكن مع الأسف تغلغلت الدسائس

وَحَدِيث قَتَادَةَ فِى صَحِيحِ البُخَارِىِّ ، قَالَ قُلْتُ لأَنَسٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ كَانَتْ الْمُصَافَحَةُ فِى أَصْحَابِ النَّبِىِّ ﷺ ؟ فَقَالَ نَعَمْ ٭

وَحَدِيث أَبِى هُرَيْرَةَ فِى مُسْلِمٍ ، أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

واليه ابين المسلمين حتى قصروه على من يعرفونه خلاف تعاليم الرسول ﷺ لزوم افشاء السلام على من تعرف ومن لاتعرف وأن من يبخل بالسلام ويزعم بأنه يريد مصلحة المسلمين فهو كاذب فى دعواه لأنه إذالم يفعل مايقربه منهم للتخاطب فانه لايفعل غيره أصلا فقد روى الطبرانى فى الأوسط عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « أعجز الناس من عجز عن الدعاء وأبخل الناس من بخل بالسلام . وأن خير المتلاقيين من يبدأ بالسلام » ٭

روى أبو داود . والنسائى عن أبى امامة قال: قال رسول الله ﷺ « إن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام » . والسلام عند الملاقاة سنة وعند الانفصال كذلك ٭

فقد روى أبو داود . والترمذى . والنسائى عن ابى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « اذا انتهى أحدكم الى المجلس فليسلم فاذا أراد ان يقوم فليسلم فليست الأولى احق من الآخرة » . ولا ينبغى له أن يقول قد لا يردون السلام فقد كفانا جوابا عن هذا ما رواه البزار والطبرانى عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « السلام اسم من أسماء الله تعالى وضعه فى الأرض فافشوه بينكم فان الرجل المسلم اذا مر بقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة بتذكيره اياهم السلام فان لم يردوا عليه رد عليه من هو خير منهم » اه ٭

أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِى أُظِلُّهُمْ فى ظِلِّى يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّى »(١) *

(٦٢) رَدُّ السَّلَامِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا) (٢) *

---

(١) قوله فى ظلى . اى فى ظل عرشى كما جاء التصريح بذلك فى غير رواية مسلم عن ابى هريرة «سبعة فى ظل العرش يوم لاظل إلاظله» وفى كتاب الأسماء والصفات للبيهقى عن ابى هريرة أيضا « سبعة يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم لاظل إلاظله» الحديث *

والظاهر أنه ظل حقيقى يحفظ المتحابين من الحر والشمس، ووهج الموقف وانفاس الخلق ، وازدحام الناس ، ويحتمل أنه كناية عن حفظه من المكاره ، وا كرامه وجعله فى كنفه وستره ، ومنه قولهم : السلطان ظل الله فى أرضه *

والمعنى والله أعلم أن الله عز وجل يعافيهم يوم القيامة من هول ذلك اليوم العظيم وحره بظله المديد ورحمته الواسعة ، والكيفية لامجال للعقل فيها لأن الآخرة يصدق بها ولا يتعرض لكيفيتها جعلنا الله واياك ممن آمن بالايات والأحاديث التى من هذا النحو وفوض معناها الى الله تبارك وتعالى *

(٢) قوله «رد السلام» لأنه واجب بدلالة الاية التى ذكرها المصنف ونقل حافظ المغرب ابن عبدالبر وغيره اجماع المسلمين على ان ابتداء السلام سنة ورده فرض فان كان واحدا وجب عليه بعينه وان كانوا جماعة ورده بعضهم سقط عن الباقين وحكمة وجوب الرد لأنه شعار الاسلام فالاعراض عن شعار الشىء اعراض عنه ولأن البادى بالسلام دليل على انه يريد التعارف معه فعدم

وَلِحَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ قَالُوا : يَارَسُولَ اللهِ مَالَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا بُدٌّ نَتَحَدَّثُ فِيهَا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ (١) قَالُوا وَمَا

الرد برهان على ارادة الانقطاع والانفصال وهذا هو الذى ذمه الدين وحذر منه المسلمين ولا يستحقر الانسان السلام فان من لا يؤدى الصغير حقه ولا يكترث به فهو بالكبير اقل مبالاة وا كثر اهمالا ولأن الجميل يجب ان يقابل بمثله لأن الاعراض لا يصلح ان يقابل اللقى وارادة المودة المحبة فى الشروع بمفتاح التعــارف الذى هو السلام ، فمن لم يرد السلام فقد اعرض عن قاعدة من قواعد الدين فهو عاص او استخف بها فهو كافر عدو للاسلام ، والتحية ــ كما قال الراغب ــ : أن يقال حياك الله أى جعل لك حياة وذلك اخبار ثم يجعل دعاء ويقال حيا فلان فلانا تحية إذا قال له ذلك ، وأصل التحية من الحياة ثم جعل ذلك دعاء تحية لكون جميعه غير خارج عن حصول الحياة اوسبب الحياة اما فى الدنيا واما فى الاخرة والاية تدل على ان الرد يكون بأحسن تحية بأن يزيد عليها أو بمثلها ان لم يزد والاولى اكمل وأطلب هدانا الله واياك للاكمل

(١) قوله « فاعطوا الطريق حقه » لانه حق للعموم فلكل فرد من البشر الاستفادة منه والجلوس فيه مناف لهذا الحق فلا ينبغى استباحته الا بعد اخذ موافقة جميع الناس وهذا غير ممكن فاذن عليه ان يقوم بالمنافع العامة فيكون قد تجرد من الغايات الذاتية وبهذا اصبح امة لخلوه عن نفسيته لان غض البصر يجعله فى حكم غير الجالس وقدمه لان أغلب الشرور تحدث بسبب النظر ولذا قال بعضهم فى ذلك شعرا :

حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: غَضُّ الْبَصَرِ وَكَفُّ الْأَذَى وَرَدُّ السَّلَامِ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ» ❁

(٦٣) عِيَادَةُ الْمَرِيضِ لِحَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَسُنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَغَيْرِهَا «أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِسَبْعٍ

كل الحوادث مبداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر
والمرء مادام ذا عـــين يقلبها في أعين الغير موقوف على الخطر
يسر ناظره ماضر خاطره لامرحبا بسرور عاد بالضرر

وكف الاذى مثله وخير منه، ورد السلام ارضاء للمسلم وتعارف معه ومعظم اعمال الدين الاسلامى مبنية على التعارف، والامر بالمعروف والنهى عن المنكر هى الهدف المقصود ومن اهم العبادات والاعمال الدينية والحديث رواه البخارى ومسلم وغيرهما وزاد عليها ابو داود ارشاد ابن السبيل وتشميت العاطس اذا حمد الله وزاد البزار والاعانة على الحمل وزاد غـيره واغاثة الملهوف واعانة المظلوم وغير ذلك من الحقوق العـــامة النافعة للناس فانه اذا اشتغل بها تخلص من الفتنة التى ترافق جلساء الطرق لان من يعمل بما امر الشارع لايتمكن الشيطان من افساده خصوصا اذا كان من الذين يذكرون الله كثيرا ❁

(١) قوله «عيادة المريض» بلا تفرقة بين قريب وبعيد لتكون خالصة لوجه الله تعالى لان الامل معقود على الاحياء فان من اشرف على الموت فانه وان جاز ان يشفيه الله تعالى كما يقع غالبا لكن لما كانت الوفاة ملحوظة بجانبه اكثر من الصحيح فالعيادة ان يبرهن على اخلاصه معه وان غايته رضاء الله تعالى وان الحب كان لوجهه والا فانه كان يستطيع ان لايعوده

وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ أَمَرَنَا بِعِيَادَةِ الْمَرْضَى ، وَاتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ وَرَدِّ السَّلَامِ وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ ، وَإِبْرَارِ الْقَسَمِ ، وَنَصْرِ الْمَظْلُومِ وَإِجَابَةِ الدَّاعِي ، وَنَهَانَا عَنْ حَلْقَةِ الذَّهَبِ أَوْ قَالَ خَاتِمِ الذَّهَبِ وَآنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ

وان شفى فالمعاذير كثيرة ولاسيما فى البلدان الكبيرة *

وقوله واتباع الجنائز لانها تذكر الموت ولان فيها دليلا على ان المسلمين يكرمون امواتهم كما يهتمون باحيائهم عدا عن ان فيها جبرا لخاطر اقرباء الميت فقد يكون التشييع سببا للتعارف والمودة والمحبة

وقوله وابرار القسم احتراما لاسم الله الكريم ولان خلفه فيه اهانة له مع الكذب الذى قال الله فى حقه (انما يفترى على الكذب الذين لا يؤمنون) ولكن هذا فيما يخلو عن المفسدة او الاضرار والا فان ابرار القسم اذا حلف او استحلفه احد بان قال له آخر اقسمت عليك بالله فلا يلبى طلبه حينئذ لانه لاضرر ولاضرار فى الاسلام *

وقوله ونصر المظلوم باستخلاص حقه او بشد ازره على الظالم ولو بمقاطعة الظالم وهجره على الاقل حتى يرتدع ويتوب

وقوله واجابة الداعى اعم من ان يكون مظلوما يستصرخ او غريقا او حريقا اوغير ذلك بل يشمل نداء المؤذن ايضا

وقوله ونهانا عن خاتم الذهب لانه امارة الكبرياء وفيه تضييق على النقد الذى هو المقياس الحقيقى لمعاملات العالم فان الورق النقدى اليوم اذا لم يدعمه الذهب المخزون فى المصارف فانه لاقيمة له ولااقوى دليل على ذلك من ورق روسيا والمانيا الصادر بزمن قيصريهما فقد اخرب بيوت اناس من التجار كثيرين حيث فقد الكفالة وهكذا يقال عن آنية الذهب

وَالْمِيثَرَةِ وَالْقَسِّيِّ وَالْإِسْتَبْرَقِ وَالْحَرِيرِ وَالدِّيبَاجِ» *

وَحَدِيثُ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ «عَائِدُ الْمَرِيضِ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ» (١) قُلْتُ وَلَا فَرْقَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ بَرًّا أَوْ فَاجِرًا لَكِنْ يَنْبَسِطُ إِلَى الْبَرِّ وَيَنْقَبِضُ عَنِ الْفَاجِرِ *

والفضة بالاولى لانا منعنا الخاتم الصغير فلا شبهة اذن فى تحريم الاوانى ، والاحاديث فى هذا الباب كثيرة ولكن اسلوبنا اقناع ابناء العصر الحاضر بالطرق المعقولة الخادمة للنقل *

وقوله «والميثرة» خاص بعد عام لأنها داخلة فى الحرير إذ هى وطاء يعمل من الحرير ليجلس عليه الراكب و كذلك القسى فانها داخلة فى الحرير . لأنها ثياب أكثر خيوطها الحرير ترد من القس وهى قرية على ساحل البحر الأحمر، وأما الاستبرق فانه ما غلظ من الحرير والديباج مارق منه، فهذه كلها من أنواع الحرير حكمها حكمه إلا ما أباحه الشرع من التطريز الذى لا يتجاوز أربع أصابع أو الذى كان الحرير فيه قليلا فهذا لا بأس به *

(١) قوله «فى خرفة الجنة» الخ هو ما يخترف من النخل حين يدرك ثمره اى يجتنى ولا شك ان السير فى نخل اعطى ثمره يكون لذيذا ولا سيما وقد استعد لمنح الفائدة وهى ثمرته الرطب الجنى

وعيادة المريض سنة بالاجماع ولا فرق بين من يعرفه ومن لا يعرفه الا أن القريب أولى وآكد ، وقد ورد فى فضل العيادة أحاديث كثيرة منها مارواه الترمذى بسند حسن عن على كرم الله وجهه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ما من مسلم يعود مسلما غدوة الا وصلى عليه سبعون

(٦٤) الصَّلاةُ عَلَى مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ لِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ رَدُّ السَّلامِ وَعِيَادَةُ الْمَرْضَى وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ(١)» وَحَدِيثِ ثَوْبَانَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ «مَنْ صَلَّى عَلَى جَنَازَةٍ فَلَهُ قِيرَاطٌ(٢)

ألف ملك حتى يصبح وكان له خريف فى الجنة» والخريف الثمر المخروف اى المجتنى.

(١) قوله الصلاة على من مات من اهل القبلة وهو من كان يظهر الايمان ولم يحصل منه ماينافيه وان كان عاصياً وانها فرض كفاية اذا فعلها البعض سقطت عن الباقين وهى الوداع الأخير المرء يسلم فيه الميت الى ربه كى يلقى عمله فينبغى الصلاة عليه كى يساعدوه بالدعاء له بالتثبت وخفة محنة السؤال ولأن من كمال اخوة الدين ان يوصلوه الى حفرة القبر يستتر فيها كي لايبقى مطروحا معرضا للتفسخ وايذاء الأحياء بالرائحة وغير ذلك مما يخالف قواعد الصحة واركان الشرف والغيرة والانصاف

(٢) قوله من صلى على جنازة فله قيراط لأنه ادى الصلاة التى هى دعاء لأخيه المسلم وصدقة عليه بالدعاء له كما قلنا ولاسيما اذا كان قد مشى معها وحملها لينال من ذلك اجرا اذ ان المسلمين لم يعهدوا ان الجنازة يحملها باجرة اناس مخصوصون فيجوز ان يكون الميت فقيراً ليت شعرى هل يبقى بلادفن أم يرمى فى الأرض ؟ لأن الناس إذا ألفوا عدم حمل الجنازة فانهم يرونه مخالفاً للعادة فيحسبونه عاراً مع أنه السنة التى كان عليها صدر الاسلام بل وآخره إلا فى بعض البلدان التى أهملت هذه السنة المحترمة، والجنازة بكسر الجيم وفتحها والفتح أفصح كما قاله النووى *

وَمَنْ شَهِدَ دَفْنَهَا فَلَهُ قِيرَاطَانِ الْقِيرَاطُ مِثْلُ أُحُدٍ» ٭

(٦٥) تَشْمِيتُ الْعَاطِسِ لِحَدِيثِ أَبِي بُرْدَةَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِي «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَحَمِدَ اللهَ فَشَمِّتُوهُ وَإِذَا لَمْ يَحْمَدِ اللهَ فَلَا تُشَمِّتُوهُ» (١) ٭

وقوله «ومن شهد دفنها فله قيراطان» لأن مشاهدته للقبر وكيفية الدفن يذكره بما سيصير إليه فيكون قد اعتبر رغما عنه ودعا لأخيه بالتثبيت كما كان يفعله رسول الله ﷺ وجبر خاطر أولياء الميت بمشاركته لهم فى الدفن وا كمال ما ابتدأوا به وبين القيراط وهو أنه مقدار جبل أحد العظيم الواقع قرب المدينة وهذا كناية عن أن له أجراً جسيما ٭

(١) قوله « تشميت العاطس » التشميت ـ بالشين المعجمة والسين المهملة ـ يقال شمت العاطس وسمته وهو أن يظهر له المودة بالدعاء له المنافية للشماتة وهى السرور بالمصيبة وهو سنة مؤكدة عند معظم الأئمة وقال الامام مالك فرض كفاية ولم يقل بوجوبه إلا الظاهرية وذلك بأن يقول له يرحمك الله وذلك بعد أن يحمد الله تعالى وجوابه كما فى صحيح البخارى أن يقول يهديكم الله ويصلح بالكم ٭

وقال النووى : كما ثبتت هذه الصيغة ثبتت صيغة يغفر الله لنا ولكم رواها الطبرانى فلا حجر عليه فله استعمال أيهما شاء ٭

و قوله « إذا عطس فحمد الله فشمتوه » لأن العطاس منفعة بسبب خروج ما احتقن فى الدماغ من الأبخرة فاذا حمد الله على هذه النعمة استحق أن يدعو الله له بالرحمة ومن أعرض عن ذلك وأهمل ما أمر به فهو مستغن عن الدعاء لهذا نهى الرسول ﷺ عن تشميته ٭

(٦٦) فى مُبَاعَدَة الْكُفَّار وَالمُفْسدِين وَالْغلظة عَلَيْهِمْ (١) لِقَوْله

ويشرع التشميت ثلاثا اذا تكرر العطاس من الشخص ولا يزاد عليها فان زاد العاطس على الثلاث دعى له بخير لما رواه أبو داود بسنده عن أبى هريرة مرفوعا «اذا عطس أحدكم فليشمته جليسه فان زاد على ثلاث فهو مزكوم ولا يشمت بعد ثلاث»

(١) قوله «فى مباعدة الكفار والمفسدين» وذلك لأن المخالطة تجلب حسن الاعتقاد والثقة فيضطر إلى الاعتماد عليهم فتسرى فيه روحهم الخبيثة فيقلدهم فيما هم عليه ويفعل مثل فعلهم كما هو حاصل الان لأبناء عصرنا الحاضر فيكون سببا فى اضرار أمته ودينه من حيث لا يدرى ذلك لكنه يدرى أنه سيصل الى هذا من أول الأمر ولذلك نهاه الله عن مخالطتهم فهو شبيه بمن يعلم أن المسكر يزيل عقله ويشربه حتى اذا فقد شعوره ارتكب منكرات واحدث أمورا وزعم أنه لا يملك عقله مع أنه هو الذى أضاع عقله عندما سلم نفسه لهواه وانقاد الى عمل أمره الله باجتنابه *

أضف الى ذلك ما يترقبه الكافر من الايقاع بالاسلام والمسلمين كما نبهنا الله تعالى بقوله «لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون» فهو بعد هذا لا شك أن ميلك اليهم لا يجعلهم يريدون منفعتك فان الثعبان شأنه الاضرار ولا يمكن أن ينقلب طبعه فهو وان فرضنا أنه يعرف مربيه ولا يؤذيه تجاه أمله بأنه المكلف بنفقته فانه لا يرحم غيره من بنى جنسه . وان أعظم دسيسة دخلت على الاسلام هى أنهم يقولون الدين لله والوطن للجميع وقد خدعوا والله بهذه الكلمة فان الخصم الذى يزعم ذلك لماذا يعاديك؟ لا شك لأنك لست على دينه اذن الدين هو ذو المدخل فى كل الأمور ولكننا لم نتنبه لذلك رغما عن ان الله تعالى حذرنا منه *

تَعَالَى (لَا يَتَّخِذْ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ (١)) وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً) * وَقَوْلُهُ تَعَالَى : (يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ) وقوله تعالى

---

(١) قوله «لايتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين» نهى الله تعالى عن موالاة الكفار واتخاذهم اولياء واصدقاء من دون المؤمنين لأن ذلك دليل على ترجيح الكفر على الايمان وهذا لايجوز بل قد يسوق فاعله الى ما هو أعظم من الحرمة كماقلنا ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء لأنه عصا مولاه وهجر اخوانه المؤمنين الا أن تتقوا منهم تقاة اما لاكتفاء شرهم بينما يستعد ويهيىء قوى الخصام والافاز دوام التقية هى الجبن والاستسلام المنافية للجهاد الذى مر أنه من أعظم شعب الايمان اذا لم نقل انه أعظمها بعد توحيد الله تعالى ولأن الممارسة على شىء تجعله حسنا وهذا ماجعل سلاطين آخر الزمان يرضون الاجانب بمنح البلدان الاسلامية يزعمون أن ذلك اهون من الجهاد الى ان اصبحت البلدان الاسلامية كافة تحت سلطة أو نفوذ الغرب لانهم جرؤا علينا ونحن هبناهم فنحن لاتساعدنا قوانا المعنوية على المخاصمة فضلا عن المحاربة وهم لم يعودوا يبالون بنا ولم يخشوا باسنا مع وجود كثرتنا التى أصبحت كما أشار اليها الحديث الصحيح الذى رواه أبو داود ومنه «هل نغلب من قلة يومئذ يارسول الله قال لا بل من كثرة ولكن غثاء كغثاء السيل» فاذن التقية ليست على اطلاقها بحيث يبقى عمراً أو تنتقل من الاباء الى الابناء معاذ الله أن يكون ذلك وانما هى فرصة لكى يستعد المسلمون لاتمام مانقصهم واكمال مافقدوه والغثاء بالضم والمد مايجىء فوق السيل مما يحمله من الوسخ وغيره وقوله « واغلظ عليهم » وذلك لان الغلظة تبعث على النفرة فلا يحصل

(وَقَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً) وَقَوْلِه تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ) (١)*

وَقَوْلِه تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)(٢) إِلَى آخِرِ الْآيَةِ الَّتِي بَعْدَهَا وَغَيْرِهَا مِنَ الآيَاتِ *

اختلاط فيحتفظ المسلمون بآدابهم وعوائدهم وتقاليدهم ولا يطلع الاجنبي على دخائلهم وماهم عليه ومايضمرونه ولكننا لما عصينا أمر الله انعكس الامر علينا فاصبحوا يغلظون علينا القول ونحن نلين او نعد ذلك فخراً فانا لله وانا اليه راجعون

(١) قوله «لاتتخذوا عدوى وعدوكم اولياء» بان تجدوا لهم فى قلوبكم مواقع يشغلونها فان ذلك مناف للتوحيد ومخالف لقواعد الاسلام ولكن ليس معناه ترك المعاملة فانها قد وقعت من الرسول الاعظم ﷺ وبقى المسلمون فى عز رغم تفرقهم ماداموا متمسكين بهذه الاية الكريمة فلما خالفوا ومدوا يد الاخلاص للكفار الشعوب المستعمرين وقع ما وقع وحصل ماحصل وكان أمر الله قدراً مقدوراً

(٢) قوله «لاتتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر

وَحَدِيث أَبِى هُرَيرَة رَضِىَ اللهُ عَنهُ فى صَحيح مسلم إِذَا لَقِيتُمُ الْمُشْرِكِينَ فِى الطَّرِيقِ فَلَا تَبْدَؤُهم بِالسَّلَامِ وَاضْطَرُّوهُم إِلَى أَضْيَقِهَا ٭

وحديث أَبِى سَعِيد رضى الله عنه فى سُنَنِ أَبِى دَاود «لَا يَأْكُل طَعَامَكَ إِلَّا تَقِىٌّ وَلَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا » (١) ٭

وَهَجْرِهِ صلى الله عليه وسلم الثَّلَاثَةَ الَّذِينَ خُلِّفُوا خَمْسِينَ يَومًا إِلَى أَنْ تَابَ اللهُ عَلَيْهِم فَتَابُوا ، وَهُم كَعْبُ بنُ مَالِكٍ . وَمُرَارَةُ بنُ الرَّبِيعِ . وَهِلَالُ بن أُمَيَّةَ رَضِىَ اللهُ عَنهُم ٭

على الايمان» وذلك لان الدين أقرب القرابات فان الدين لايوازيه شيء فاذا كانت قرابة الجسم رفضت الدين فان قيمتها بقدر قيمة الجسد الفانى فلاينبغى اتخاذهم اولياء بل لا بدمن هجرهم على الاقل اذا لم يشهروا اسلاحا على المسلمين اما اذا فعلوا ذلك فلامانع من سفك دمائهم

ولذلك لما قتل أبو عبيدة عامر بن الجراح والده يوم بدر استحسن عمله الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم ثم سماه الرسول امين الامة وحق له ذلك لانه لم يبال بالقرابة ورجح الدين على كل قريب وغال وعزيز فهو أمين على دينه

(١) قوله «لايأكل طعامك الا تقى» اى لان المؤاكلة لاتكون غالباً الا بعد الحب فليكن حبك محصوراً بالاتقياء لتعمل مثلهم وتعد فى سلكهم ولاتصاحب الا مؤمنا وهذا عموم بعد خصوص فينبغى ان تكون المصاحبة العامة محصورة للمسلمين لان الانسان يتاثر بطبع جليسه حتى انه

﴿٦٧﴾ إِكْرَامُ الْجَارِ لقوله تعالى . (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ) (١) *

قِيلَ فِي تَفْسِيرِ ذِي الْقُرْبَى الْجَارُ الْمُلَاصِقُ وَالْجَارُ الْجُنُبُ الْبَعِيدُ غَيْرُ الْمُلَاصِقِ وَالصَّاحِبُ بِالْجَنْبِ الرَّفِيقُ فِي السَّفَرِ *

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ . وَمُجَاهِدٍ . وَقَتَادَةَ . وَالْكَلْبِي . وَمُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ وَمُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ وَالْجَارُ ذِي الْقُرْبَى الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ قَرَابَةٌ وَالْجَارُ الْجُنُبُ الْأَجْنَبِيُّ عَنْكَ وَالصَّاحِبُ بِالْجَنْبِ الرَّفِيقُ فِي السَّفَرِ وَزَادَ مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ فَقَالَ فِي الصَّاحِبِ إِنَّهُ الرَّفِيقُ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ *

ليقلده ولا يدرى انه فعل ذلك، وقوله ولهجره صلى الله عليه وسلم الثلاثة زيادة من بعض النسخ الخ

(١) قوله «اكرام الجار» لانه اقرب مايكون اليك من اخوانك المؤمنين فاذا فكر كل واحد باكرام جاره فان المملكة تصبح عبارة عن عائلة واحدة لان كل واحد يصدق عليه انه جار اما رأساً واما بالواسطة ولان الجار هو محك الذين يزعمون التصدق وحسن الخلق وكرم النفس فانه اذا لم يفعل ذلك مع جاره فهو مع الغريب لا يفعل ذلك الا تجاه طمع او لغرض فى نفسه والا لو كان مخلصاً لكان جاره اولى به وقد وصى النبى صلى الله عليه وسلم حتى كاد بعض الصحابة يظن انه سيجعله وارثا *

ولان فيه الانتقال من العائلة بالتوسع الى الجيران حتى اذا اكمل

وَعَنْ عَلِيٍّ . وَعَبْدِاللهِ بنِ مَسْعُودٍ . وَإِبْرَاهِيمَ وَغَيْرِهِمْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ فِي الصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ أَنَّهَا الْمَرْأَةُ وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فِي رِوَايَةٍ كَذَلِكَ وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ أَنَّهُ الرَّفِيقُ الصَّالِحُ ❊

وَلِحَدِيثِ عَائِشَةَ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَازَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ »(١) ❊

ذلك يصعد الى ماهو ارقى حتى يرى صالح المؤمنين صالحه ومايضرهم يضره قطعاً ❊

وقد بلغ من اثر الدسائس ان اصبحت العداوة تكاد نارها لا تطفأ بين الجيران وذلك لجهلهم بأمور دينهم لى توهن قواهم لان من لا يتفق مع جاره فهو مع الغريب أشد تنافراً وا كثر تخاصما

وهذا كله حق الجار الذى لم يكن بينك وبينه حقوق غير المجاورة اما اذا اجتمعت معه امور اخرى كالقرابة وغيرها فان الحق يزداد ويطلب الاكرام ا كثرطبعا وسياتى تقسيم الجار الى ثلاث قريبا ❊

(١) قوله « حتى ظننت انه سيورثه » لان علة الارث هى القرابة وقد وجدت فكان امرا مظنونا اى راجحا كاد يكون امرا واقعيا لان الجار أقرب ما يكون اذ هو الذى يكون عونا لك فى السراء والضراء وهو الذى يستطيع أن يلبى نداءك اذا استغثت به وهو الواقف على دخائل أحوالك والذى لا يخفى عليه شىء من أمورك فليس بكثير ان يكون وارثا بعد ماذكرناه ❊

وبه أنبأنا البيهقى أبو عبدالله الحافظ فى مراعاة حق الرفيق ثنا أبو العباس الأصم ثنا شعبة بن عثمان التنوخى ثنا محمد بن شمال ثنا عبدالرزاق عن معمر عن الزهرى قال قال عبدالله بن عباس رضى الله عنهما ثلاثة لا يكافئهم عنى إلا رب العالمين رجل فسح له فى مجلسه

والجار له ثلاثة احوال جار له حق، وهو المشرك، له حق الجوار، وجار له حقان وهو المسلم، له حق الجوار، وحق الاسلام، وجار له ثلاثة حقوق. جار مسلم له رحم. له حق الاسلام، والرحم، والجوار،

فحفظ حق الجار من الايمان، والاضرار به من الكبائر: لقوله صلى الله عليه وسلم فى بعض الروايات، «من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يؤذ جاره»

وانظر الى أبناء زماننا كيف منعوا الجار حقه، واستبدلوا الا كرام بالايذاء، والاحسان بالاساءة، حتى أصبح أقرب الناس جواراً اشدهم عداوة لجاره واعظمهم ضرراً، واسرعهم تنكيلا به، واحرصهم على هتك عرضه، ولاسيما إذا كان بينه وبين جاره رحم وقرابة فان الايذاء له يزداد ويتعاظم، وكل ذلك من الجهل بالدين، وعدم انتشار آداب الاسلام، وتساهل العالمين بالاحكام نسال الله ان يوفق علماءنا الأعلام، وامراءنا الكرام إلى استدراك الخطب قبل استفحاله، وقطع عرقه قبل سريانه، بنشر التعليم بين المسلمين عامة، وتخريج وعاظ ومرشدين قادرين على تفهيم العوام امر دينهم، وبيان حقوق الأفراد والجماعات، وماينشا عن الجهل، وترك الدين، وتقليد الأجانب فى الأمور المخلة، والمفاسد المؤثرة فى الهيئة الاجتماعية، من سقوط الأمة وانحطاطها ونشوب العدو عليها، وافتراسها، واستعباده اياها كما هو حاصل الان، فيصبح الشعب

وَرَجُلٌ تَخَطَّى الحَلَقَ وَالمَجَالِسَ حَتَّى جَلَسَ إِلَيَّ وَرَجُلٌ ذَكَرَ فِي اللَّيْلِ حَاجَتَهُ زَادَ فَرَآنِي أَهْلاً لَهَا فَذَلِكَ لَا يُكَافِئُهُ عَنِّي إِلَّا رَبُّ العَالَمِينَ» *

(٦٨) إِكْرَامُ الضَّيْفِ لِحَدِيثِ أَبِي شُرَيْحٍ العَدَوِيِّ فِي الصَّحِيحَيْنِ

قَالَ سَمِعَتْ أُذُنَايَ وَأَبْصَرَتْ عَيْنَايَ حِينَ تَكَلَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ (١) قَالُوا

متعلما متيقظا لنفسه متمسكا بحقوقه : محترما لجاره ورحمه ، مقتديا بسلفه عاملا بشريعته ودينه ، ناظرا الى منفعة أخيه ووطنه ، مكبا على رضاء ربه متباعدا عما يضر بقومه وأبناء جنسه ، متحاشياً الرذائل ، متحليا بالفضائل وغير ذلك من الصفات التى تقدمت

(١) قوله « فليكرم ضيفه جائزته » الخ وذلك لان اكرام الضيف من أعظم آداب الاسلام واشرف مكارم الاخلاق ومابرحت ممدوحة فى كل الأمم والعصور ومدحتها جميع الشرائع والديانات وقيل بوجوبها واقل ماقيل فيها انها سنة مؤكدة

وهذه المرتبة هى التى امتاز بها الجار لأن قربه يسهل عليه استحقاق الاكرام بخلاف الضيف فان بعده جعل الشارع يامر باكرامه لانه وان كان غير مجاور فهو احد من الجسد الأسلامى الذى اذا اشتكى عضو منه تداعى اليه سائر الجسد بالحمى والسهر وذلك لان الشارع امر اولا بقول الحق ولين القول والصدق فيه وفى العمل ثم اكرام الجار ليكون باذلا ماله — غير الزكاة الواجبة — للجار ثم ينتقل الى اكرام الضيف . وحدد له الشارع مدة اعظمها ثلاث ليال لانه ان بقى اكثر من ذلك بلا داع ولا موجب

وَمَا جَائِزَتُهُ ؟ قَالَ يَوْمُهُ وَلَيْلَتُهُ وَالضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ وَقَالَ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ وَزَادَ فِي رِوَايَةٍ فِي أَوَّلِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ »

(٦٩) السَّتْرُ عَلَى أَصْحَابِ الْقُرُوفِ أَيْ الذُّنُوبِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ (١)

فانه طفيلي غايته الاضرار بالناس فلاحق له في البقاء لمعارضته التعاليم الالهية فبعد مضى المدة ينظر ان كان من الفقراء فان الضيافة تكون بعدئذ صدقة عليه .

(١) قوله «الستر على اصحاب القروف» الخ وهم الذين يحصل منهم ذنب بدون مجاهرة ولا اعلان غير مصرين على عملهم فهذا يعد كانه تائب والتائب من الذنب كمن لاذنب له فلايستحق كشف عيوبه بل من الايمان الستر عليه لان الاذاعة في ذلك اشاعة للفاحشة في الذين امنوا ومن كان كذلك فعليه ماقاله الله تعالى في بقية الاية لهم عذاب اليم في الدنيا والاخرة اما اذا كان مظلوما وذكر ظالمه فهذا غير داخل في البحث بل لو فرضناه داخلا في العموم فقد خصصته اية لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم. فعندئذ يجب زجره وتاديبه ليرتدع هو وينزجر غيره لأن هذا وظيفته الحدود والتعاذير

وَلِحَدِيثِ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِيهِ «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (١)

---

(١) قوله « المسلم أخو المسلم لايظلمه ولايسلمه الخ » اى الى غيره كى يظلمه فانه لافرق بين الظالم ومن يقدر على الأخذ بيده ولكن لايحول دون وقوع الشر ولايتحرك لأجل قمعه وذلك لأن الجميع عبارة عن جسد واحد ومهما بلغ جنون امرىء فانه لايرضى بتقطيع أوصاله وتحمل أسقامها وأمراضها *

وقوله «ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته» مكافاة لعمله الصالح لان الخير الذى يصيب المؤمنين يكافئهم سيدهم عليه مادام يعمل لوجه الله تعالى فمن يقضى حوائج الناس فلابد أن تكون حاجاته مقضية باذن الله تعالى *

وقوله « ومن فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة » الخ وهذا طبعا ماعدا تفريج الكرب الدنيوية لان الدنيا ليست دار جزاء فهى لا تساوى شيئا والا فانه ينال قسطا وافرا من التفريج غير أن الله لم يذكره لان الدنيا بأسرها حقيرة لاتستحق الذكر والاجلال الا باعتبارها مقدمة للاخرة ومزرعة لها لانها دار الاعمال والابتلاء *

وقوله « ومن ستر مسلما ستره الله » الخ لانه عرف مقدار الشهوة الانسانية التى صيرت الانسان غير معصوم من الوقوع فى مثل ذلك فلاشك

(٧٠) الصَّبْرُ عَلَى المَصَائِبِ وَعَمَّا تَنْزِعُ النَّفْسُ إِلَيْهِ مِنْ لَذَّةٍ وَشَهْوَةٍ

لِقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ) (١) * عَنْ مُجَاهِدٍ وَغَيْرِهِ أَنَّهُ أَرَادَ بِالصَّبْرِ الصَّوْمَ *

وَقَوْلِهِ (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا

أن الله يستر على من ستر المؤمن أى مادام الذنب غير ماس بالدين فان ستره حينئذ حرام لانه رضاء أو مؤامرة على الدين فمثل هذا لايجوز ستره بل لابد من فضيحته ليحذره الناس وان عجزوا عن اقامة الحد عليه فانهم على الاقل ينفرون منه ويقاطعونه *

وكذلك الستر مخصوص بما لايتعلق بحقوق الناس والافمن رأى شخصاً يسرق مال غيره فلاينبغى ان يستر عليه ويتركه ياخذ اموال الناس ظلما وعدوانا بل تجب على الاقل اعادة المال او الحيلولة دون وقوع هذه الجريمة التي جعل الشارع حدها قطع اليد وكذلك سائر الاعمال الشخصية والحقوق العامة *

(١) «حقيقة الصبر» حبس النفس وكفها عن الجزع والسخط، واللسان عن الشكوى، والثبات على احكام الكتاب والسنة، والصبر عند الصدمة الاولى ومابعدها يسهل عليك كل شىء، ولما كان الصبر فى المرتبة الاولى اخبر الله سبحانه وتعالى فى كتابه الحكيم انه مع الصابرين بقوله: (ان الله مع الصابرين) وما الطف قول الفاروق رضى الله عنه فى هذه الآية التى ذكرها المصنف قال:

نعت الله تعالى الصابرين فى هذه الآية بثلاث خلال كل واحدة منها خير من الدنيا ومافيها اولاها انهم عليهم صلوات من ربهم وثانيتها ان

اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون)

وقوله (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) وغيرها من الآيات ٭

عليهم منه رحمة وثالثتها انهم هم المهتدون واى فوز بنعيم بعد هذا؟ ٭

قال على بن ابى طالب رضى الله عنه ، الصبر من الايمان بمنزلة الراس من الجسد ، فمن لاصبر له لا ايمان له ، كما ان لاجسد لمن لاراس له ، وهو من اعظم الامور وانفعها ، لذلك ذكره المولى تعالى فى القرآن فى نحو تسعين موضعا ، وحكمه الوجوب باجماع الامة ، وحثنا الله تعالى على الصبر ليتعلم الشخص الرجولية ويتصف بها حقيقة فيحبس النفس ولا يجزع فلا تظهر عليه ضعف عزيمة ولاخور فلايبالى بالكوارث ولايهتم بالمصائب وهذا هو شان الانسان الكامل والمرتبة التى يستحق صاحبها السيادة على غيره والظفر بخصمه وغلبة عدوه ولان للحدة اثرا قد يكون اسوء حالا بحسب النتيجة مما يوجد قبله وكذا الوهن والجبن فقد يبعث الشخص الى الخضوع وفقد عزة النفس حتى يصبح يجد كمال اللذة اذا بقى رقيقا اوقنا بيعه واستبقاؤه بيدعدوه فيحصر جل عمله على ارضاء سيده ٭

ولما كانت الشريعة الاسلامية شانها ان تعود المتمسكين بها ان يكونوا فى ارفع مراتب الشرف واعلى مناصب العزة فهى تامرهم بالصبر على المصائب ليستطيعوا المقاومة ويتعودوا المبارزة فلا يكترثوا بما يصيبهم علما منهم بانهم لابد وانهم ناجحون فى الدنيا اذا اخلصوا لله ورسوله فى أعمالهم لان الظفر مقرون بالصبر قال تعالى : (واصبروا ان الله مع الصابرين) ولان القاعدة ان خصمك يكره ماتحب فاذا احببت دوام الخصام فهو بالضرورة يكرهه ولم يبق له مجال الا التسليم لك ويحكمك فى نفسه ولهذا كانت قوة الكفر لاتستطيع ان تقف امام الصحابة والتابعين فكانوا بالقوة

وَحَدِيث أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ قَالَ «جَاءَ أُنَاسٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَسَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَعْطَاهُمْ قَالَ فَجَعَلَ لَا يَسْأَلُهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا أَعْطَاهُ حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ حِينَ أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ عِنْدَهُ مَا يَكُونُ عِنْدَنَا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ نَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ فَإِنَّهُ مَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ وَلَنْ يُعْطَوْا عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ »

وَحَدِيث عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِيهِمَا أَيْضًا قَالَ «دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا فَقُلْتُ إِنَّكَ لَتُوعَكُ

القليلة العدد يضربون اى قوة فيمزقون شملها ويفرقون افرادها فى مدة يسيرة هذا فى الدنيا واما فى الآخرة فقد قال تعالى . (يجزون الغرفة بما صبروا) وقال تعالى : (وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا) وقال تعالى : (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) . ولما كان الصبر عليه مدار معظم الأعمال كان أكثرها ذكرا فى القرآن العظيم وقد حث الله تعالى وشوق عليه كثيراً حتى لم يجعل جزاءه مقدارا معينا او كمية معلومة بل هو مفوض إلى إرادته ومتعين بما عليه الصابر نظرا لتفاوته بحسب الكارثة أو التجلد والمقاومة والدفاع والاستحقاق (وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون) *

(١) الوعك - بسكون العين وفتحها - الحمى وقيل ألمها وقيل هو ارعاد الحمى وتحريكه إياها وقال صاحب المحكم الوعك الألم يجده الانسان من شدة

وَعكَ الرَّجُلين فقال أَجَلْ أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ قَالَ فَقُلْتُ ذَلِكَ بِأَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ قَالَ أَجَلْ وَمَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى مِنْ مَرَضٍ فَمَا سِوَاهُ إِلَّا حَطَّ اللهُ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا » *

(٧١) الزُّهْدُ وَقِصَرُ الأَمَلِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : (فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا) (١) *

التعب وقوله «اجل -بفتحات- بمعنى نعم»

والمعنى أجل أى نعم تصيبنى الحمى والألم كما تصيب رجلين منكم وذلك ليعلموا ان هذه الدنيا دار كرب فلا يجزع الانسان من النوائب فان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الذين دأبهم اصلاح المجموع الانسانى فهم عدا ما يتحملونه من أذى الناس يصيبهم من الآلام والأمراض أكثر وذلك ليعلموا الناس كيف يجب تحمل البلاء وأن يظهروا من الصبر والحزم ما يكون به قدوة لأن ما يأمرهم بالقول ويؤيده بالفعل يكون أعظم تأثيرا وأبلغ وقعا فى النفس وأيضا فان لهم فى الآخرة الدرجات العلى ولأن الأجر الذى يحصل على البلاء هو أعظم من أجر العمل لأن ذلك تساعد عليه النفس وأما تحمل هذا فانه لا يكون إلا مع جهاد طويل وهمة عالية لا تعرف كللا ولا ضعفا *

(١) قوله «الزهد وقصر الأمل» أى أنه لا يجعل فى قلبه شاغلا يشغله عن ربه ولا تميل نفسه إلى ملك الغير ولا يستبيح الحرام . وأما ما يوجد عنده من المال فيعده كأمانة أبيح له التصرف فيها على أن يختبر هل هو قادر على تأدية الوظيفة أم لا ؟ واعلم أن الناس قد أكثروا من الكلام على الزهد ونذكر لك أهمه *

وَحَدِيثُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وَسَهْلِ بْنِ سَعْدٍ فِي الصَّحِيحَيْنِ « بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ وَأَشَارَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى » *

قال الامام أحمد ، الزهد فى الدنيا هو عدم فرحه باقبالها ، وحزنه على ادبارها ، وقال الجنيد ، الزهد خلو القلب عما خلت منه اليد ، وقال ابن خفيف الزهد سلو القلب عن الاسباب ونفض الايدى من الاملاك ، والذى اجمع عليه العارفون ، إن الزهد سفر القلب من وطن الدنيا ، وأخذه فى منازل الآخرة ، وقد قسم الزهد الامام أحمد إلى ثلاثة أوجه ، الاول ترك الحرام وهو زهد العوام ، والثانى ترك الفضول من الحلال ، وهو زهد الخواص والثالث ترك ما يشغل عن الله ، وهو زهد العارفين ، وقد أشار المولى إلى مدحه فى القرآن فى غير موضع وإلى ذم الدنيا والاعراض عنها . قال الله تعالى (ما عندكم ينفد وما عند الله باق) وقال تعالى (قل متاع الدنيا قليل) وقال (ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا) وقال (اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والاولاد) الى قوله (وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) والاحاديث فى ذلك كثيرة ، منها مارواه مسلم فى صحيحه عن جابر رضى الله عنه « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مر بالسوق داخلا من بعض العالية والناس كنفيه (أى جنبيه) فمر بجدى أسك ميت فتناوله فاخذ باذنه ثم قال أيكم يحب أن هذا له بدرهم فقالوا ما نحب أنه لنا بشىء وما نصنع به قال أتحبون أنه لكم قالوا والله لو كان حياً كان عيباً فيه لانه أسك فكيف وهو ميت فقال فوالله للدنيا اهون على الله من هذا عليكم » *

ومعنى أسك مقطوع الاذنين ، فالزهد فى الشىء الاعراض عنه لاستقلاله واحتقاره وارتفاع الهمة عنه ، يقال شىء زهيد أى قليل حقير وليس المراد

بالزهد رفض الدنيا واخراجها عن الملك، يدل له ما رواه الترمذى وابن ماجه عن أبى ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال الزهادة فى الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا اضاعة المال ولكن الزهادة فى الدنيا أن لا تكون بما فى يديك أوثق مما فى يد الله وأن تكون فى ثواب المصيبة اذا أنت أصبت بها ارغب فيها لو أنها بقيت لك *

وهذا اجمع كلام فى الزهد وأحسنه ، وقد رواه موقوفا الامام أحمد وابن أبى الدنيا ويشهد له ما ثبت عن نبى الله سليمان وداود عليهما الصلاة والسلام أنهما كانا أزهد أهل زمانهما ولهما من المال والملك والنساء ما ليس لغيرهما وكان نبينا صلى الله عليه وسلم أزهد البشر على الاطلاق وله تسعة نسوة ، وكان على بن أبى طالب ، وعبد الرحمن بن عوف . والزبير . وعثمان من الزهاد مع مالهم من الاموال والتجارة ، وكان الحسن بن على من الزهاد مع انه أكثر الامة محبة للنساء ونكاحا لهن وأغناها ، وهكذا كان أغلب السلف من التابعين وتابع التابعين رضوان الله عليهم أجمعين ، والله الموفق *

﴿أما قصر الامل﴾ فيعلم أن الموت حق وأن الطريق لابد من سلوكه فهو مهما طال عمره لابد من شرب هذا الكأس وأن الحياة التى يذهب شطرها فى الطفولة ونصفها فى الليل ومدة الجميع لا تزيد على مائة سنة الا نادرا بشىء يسير كيف يكون حالها *

فاذا استطاع ملاحظة هذه الجهة وأنه هالك لا محالة وقادم على رب يحاسبه على أعماله فهو يستعد لذلك اليوم بفعل الخيرات واجتناب المحرمات والتباعد عن المنكرات *

ليس الزهد هو أن يترك الانسان كل عمل أو يبذر أمواله فى كل ما يشتهيه وأن يكسل ويقعد عاطلا فمعاذ الله أن يكون هذا من الايمان لأن هذا مناقض للاسلام ومعارض للقرءان القائل (فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه) والقائل (وان ليس للانسان الا ما سعى) . إنما العمل هو جهاد فى الحياة يؤجر المرء

عليه كما يؤجر على العبادات :

ليس المرء الذى يبقى خاملا فى داره أو ثاويا فى احدى الزوايا أو بعض المساجد المهجورة أو المطروقة هو الزاهد لأن الزهد لا يتعلق بالصورة الظاهرة وإنما هو لو كان زاهدا فان ما يزعمه من أداء عبادته وورده لا يمنعه عن العمل بل فى مقدرته أن يسعى ويشتغل ويعمل حتى إذا جمع شيئا من حطام الدنيا لم يجد له محلا شاغرا فى قلبه فهو ينفقه فى سبيل الله فى الطرق النافعة فهذا هو الزاهد حقا لأنه زهد فى جسده فاتبعه حتى إذا حصل ثمن اتعابه زهد فيه أيضا فصرفه فى الطرق النافعة والأعمال المقبولة التى تأتى بالذكر الحسن له فى الدنيا والأجر الجزيل فى العقبى .

وكان كثير من الأنبياء عليهم السلام يملكون الأموال الطائلة والاماء العديدة والنساء الكثيرات وكذلك أزهد الناس وسيد الأنبياء كان عنده من النساء يوم توفى تسعة وقال جعل رزقى تحت ظل رمحى والصحابة الكرام كان عندهم من هذا الشىء الوافر ولم يمنعهم عن أن يسموا زهادا بل انهم هم الزهاد الحقيقيون حقا لأنك لو فحصت قلوبهم وفتشتها جيدا لم تجد فيها ما يشغلها .

فليس الزاهد من يترك الحلال لحسب قال تعالى . (قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق) وليست بترك العمل وإنما الزاهد هو أن لا يرغب فى ما لا يجوز له ويمتنع عن كل ما يحرم عليه ويجود بما يملك حسب مقدرته ويساعد اخوانه بما يرضيهم من قول معروف أو صدقة نافعة أو مساعفة بما يحسن تاديته فهذا الذى يستحق الحمد والثناء لسلوكه ما كان عليه الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله واتباع طريق الأصحاب والسلف الصالح الاخيار .

---

(١) قوله « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ »

النَّاس الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ » (١) *

وَبه أنبانا البيهقى قال أنشدنى ابو عصمة محمد بن أحمد السجستانى بالبصرة لنفسه فى هذا المعنى

أنبانا خير بنى آدم ‏ ‏ ‏ وما على أحمد الا البلاغ
الناس مغبونون فى نعمتى ‏ ‏ ‏ صحة أبدانهم والفراغ

أخرج الحديث أيضا النسائى والترمذى وابن ماجه عن ابن عباس ، والمغبون الخاسر والمعنى ان من لم يستعملهما على وجههما المطلوب شرعا وعقلا فقد غبن فيهما أى باعهما بثمن بخس لأن وجودهما ينبغى ان يستفيد منه الانسان فقد يكون صحيحا ويمنعه الكسب عن كثير من العبادات فهذا كلفه الشارع بالسعى وآخر فارغ لا عمل له ، ولكن وجوده عليل فهذا يكون حكمه كسابق حاله قبل المرض ، ولكن الذى هو قوى البنية رزقه لا يحتاج إلى عناء ومشقة ، فهذا إذا أضاع أوقاته سدى ولم يعبد الله الذى خلقه للعبادة فلا شك أن عمره ذهب بارخص الاسعار وابخس الاثمان وكان مغبونا وسيرى درجة غبنه يوم يجرى الحساب ويرى نفسه مقصرا وغيره يسير الى الجنة بخطوات واسعة او يمر كهبوب الريح يومئذ لا ينفع الندم إذا كان أضاع عمره فى المعاصى ولم يعرف حق هذا السوق والمزرعة التى هى الدنيا التى سيجنى منها ربحا عظيما أو حاصلات جيدة فاذا فرط فهو المغبون الخاسر فقد أضاع آخرته وسعى فى حتف نفسه قال الله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) اللهم، دقنا لعبادتك *

وَحَديث أَبى سَعيد رَضى الله عنه فى صَحيح مُسلم «أَنَّ الدُّنيا حلوة خَضرة وإنَّ الله مستخلفكم فيها فناظِر كيف تعملون فاتقوا الدُّنيا وَاتَّقوا النِّساء فَانَّ أول فتنة بنى اسْرائيل كانَت فى النِّسَاء » ✽

(١) قوله « إن الدنيا حلوة خضرة » الخ اى أنها كالفاكهة الطرية الحلوة تشتاق لها النفوس وتطلبها طلبا حثيثا فاياكم أن تغركم فانها تشبه الثمار فى سرعة الزوال فاحذروها ولا تعتبروها الا وسيلة لليوم الاخر ، وقوله « وان الله مستخلفكم » أى كما استخلف الأمم الماضية ليظهر عملكم هل هو الطاعة والامتثال ؟ أم هو الشهوة والعصيان ؟ وقوله « واتقوا النساء » فقد صدق رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فانه ما ظهرت فتنة إلا وللنساء فيها مدخل او أصبع فكل حادثة أعضل أمرها أو عسر الوقوف على كنهها ففتش عن المرأة فانك تجدها المحرك لهذا الأمر والدولاب الذى يدير عمله فاحذروا منهن ممن لم تكن مجربة بالاعتصام ومعروفة بالزهد والورع بل أياكم والقرب منهن بغير وجه مشروع لأن قرب النار من البارود لابد من اشتعاله مهما كان غير جيد ، تلك سنة الله فى خلقه فعليكم بالحذر ، وأخذ الاحتياط فان فيمن مضى قبلكم من بنى اسرائيل عبرة حسنة فلا تسلكوا ذلك الطريق المهلك بل عليكم بالصراط الأقوم والمنهج المشروع الاسلم ✽

وحاصل قصة بنى اسرائيل التى ذكرت فى الأحاديث هى أن نبى الله موسى عليه الصلاة والسلام لما نزل فى أرض بنى كنعان ، وصل خبره إلى قوم بلعام ، وكان بلعام رئيسهم يحفظ الاسم الأعظم ومجاب الدعوة وفيه نزل قوله تعالى (واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها) الاية ، فذهب قوم بلعام إلى بلعام ، وقالوا له أن هذا موسى بن عمران فى بنى

اسرائيل قدجاء يخرجنا من بلادنا ، ويقتلنا وانا قومك ، ليس لنا منزل وأنت مجاب الدعوة ، فاخرج وادع الله عليهم ، فقال ويلكم نبى الله معه الملائكة والمؤمنون كيف اذهب ادعو عليهم وأنا أعلم من الله ما أعلم ، فلم يزالوا به حتى فتنوه . فافتتن ، فركب حمارة له وأراد أن يتوجه إلى الجبل ليدعو على موسى ومن معه ، فوقفت ولم تسر به ، فضربها فانطقها المولى تعالى الذى انطق كل شىء . ،فقالت ويحك يا بلعام أين تذهب أما ترى الملائكة تردنى فلم يرجع عن غيه ، حتى أشرف على رأس الجبل ، فجعل يدعو على موسى وقومه ، ولا يدعو عليهم بشر الا صرف به لسانه ولا يدعو لقومه بخير إلا صرف لسانه الى بنى اسرائيل فقال له قومه أتدرى يا بلعام ما تصنع؟ انما تدعو لهم وتدعو علينا ، قال فهذا ما لا أملك ، هذا شىء قد غلب الله عليه ، واندلع لسانه فوقع على صدره ، فقال لهم قد ذهبت الآن منى الدنيا والآخرة ، فلم يبق إلا المكر والحيلة ، فسامكر لكم واحتال ، جملوا النساء واعطوهن السلع ثم ارسلوهن الى قوم موسى يبعنها فيهم ، ومروهن بان لا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها ، فان زنى منهم واحد كفيتموهم ، ففعلوا فلما دخل النساء العسكر مرت امراة برجل عظيم من بنى اسرائيل فقام إليها فاخذ بيدها حين أعجبه جمالها ، ثم اقبل بها حتى وقف على موسى عليه السلام فقال انى أظنك ستقول هذه حرام عليك فقال أجل هى حرام عليك لا تقربها ، قال فوالله لا اطيعك فى هذا . فدخل بها قبته فوقع عليها ، فارسل الله الطاعون فى بنى اسرائيل ، وكان صاحب أمر موسى عليه السلام غائبا حينئذ ، وكان ذا بسطة فى الخلق ، وقوة فى البطش ، فجاء والطاعون يجوس ويحصد فى بنى اسرائيل ، فاخبر الخبر فاخذ حربته ، ثم دخل القبة وهما متضاجعان . فانتظمهما بحربته ، ثم خرج بهما رافعهما إلى السماء ، وجعل يقول اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك فرفع الطاعون فحسب من هلك من بنى اسرائيل فوجد قد هلك منهم

﴿٧٢﴾ الغَيْرَةُ وَتَرْكُ المَذاء لقوله تعالى: (قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ)(١)*

وَلِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي صَحِيحِ البُخَارِيِّ «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَغَارُ وَإِنَّ المُؤْمِنَ يَغَارُ وَغَيْرَةُ اللهِ أَنْ يَأْتِيَ المُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ »*

وَحَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فِي الصَّحِيحَيْنِ « أَنَّ رَسُولَ اللهِ

سبعون الفاً فى ساعة من النهار ، فانظر إلى هذه القصة ؛ واعتبر بحال لبلعام الذى أوتى الاسم الأعظم، واجابة الدعوة . وما نفعه ذلك ، لكونه لم يعمل بعلمه النافع ، ولم يسلك سبيل الرشاد ، واتخذ علمه وسيلة لخذلان المؤمنين، وذريعة للتنكيل بهم، وهكذا كل عالم إذا لم يعمل بعلمه ، واتخذه آلة لاضلال الناس واكتساب الاموال او الرياسة والجاه كان وبالا وحجة عليه وسود وجهه فى الدنيا، وقاده إلى عذاب شديد فى الآخرة، نسال الله حسن العاقبة*

(١) الغيرة بفتح الغين المعجمة وسكون الياء قال فى النهاية هى الحمية والأنفة وقال القاضى فى المشارق هى تغير القلب وهيجان الغضب ، أى عند رؤية أو سماع ما لا ينبغى ، يقال رجل غيور وامرأة غيور والمذاء بكسر الميم والمد يقال امذى الرجل وماذى إذا قاد على أهله ويروى المذال من النفاق باللام وهو أن يقلق الرجل وينزعج عن فراشه الذى يضاجع عليه حليلته ويتحول عنه ليفترشه غيره*

صلى الله عليه وسلم كَانَ عِنْدَهَا وَفِى الْبَيْتِ مُخَنَّثٌ فَقَالَ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِى أُمَيَّةَ أَخِى أُمِّ سَلَمَةَ يَا عَبْدَ اللهِ إِنْ فَتَحَ اللهُ لَكُمُ الطَّائِفَ غَدًا فَإِنِّى أَدُلُّكَ عَلَى ابْنَةِ غَيْلَانَ فَإِنَّهَا تُقْبِلُ بِأَرْبَعٍ وَتُدْبِرُ بِثَمَانٍ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لَا يَدْخُلَنَّ هٰؤُلَاءِ عَلَيْكُمْ » (١) *

(١) المخنث هو الذى يشبه النساء فى أقواله وأفعاله ، تارة يكون هذا خلقيا وتارة تكلفيا ، والثانى هو المذموم الملعون صاحبه ، وأما المخنث فى هذا الزمان هو الذى يؤتى ليلاط به ، وقول المخنث تقبل باربع وتدبر بثمان هو وصف للمرأة ، وحاصله أنها سمينة ولبطنها طيات من السمن من كل ناحية ثنتان ؛ ولكل واحدة طرفان ، فاذا أدبرت صارت الاطراف ثمانية قال ابن الكلبى ، قال المخنث بعد قوله وتدبر بثمان ، مع ثغر كالاقحوان ان قعدت تثنت ، وان تكلمت تغنت ، بين رجليها مثل الاناء المكفوف ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع : فقال لقد غلغلت النظر اليها يا عدو الله ثم أجلاه عن المدينة ، واسم ابنة غيلان بادية وقيل بادنة فلما فتح الطائف أسلمت وتزوجها عبد الرحمن بن عوف وولدت له ، ولا يخفى عليك ما حصل من النبى صلى الله عليه وسلم حين سماعه كلام المخنث من الغيرة وهيجان الغضب واجلاه عن المدينة لئلا ينتشر هذا الداء العضال فى الامة ، ويسرى سريان الكلب بصاحبه ، فهلا يتنبه علماؤنا وأمراؤنا إلى ذلك ، ويجلون هذه الطائفة الخبيثة ، ويبعدونها عن البلاد ، ويضربون على أيديهم بسوط من حديد ، فقد انتشر فسادهم وعم ضررهم ، وفسدت اخلاق الامة وكثر المتشبهون بالنساء بسبب ذلك ولم نر أحدا من العلماء ، أو الامراء تكلم بذلك ونشر مقالة أو الف رسالة فى بيان فساد بقاء هذه الشرذمة القبيحة والطائفة المشؤومة على الامة بين ظهرانيها وقد تقدم بيان

وَرُوِىَ عَنْ أَبِى سَعِيد الخُدْرِىِّ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « الغَيْرَةُ مِنَ الإِيمَانِ وَإِنَّ المذَاءَ مِنَ النِّفَاقِ قَالَ الحَلِيمى : هُوَ أَنْ يجمعَ بَيْنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ثُمَّ يُخَلِّيهِمْ يُمَاذِى بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَأُخِذَ مِنَ المَذْى ، وَقِيلَ: هُوَ إِرْسَالُ الرِّجَالِ مَعَ النِّسَاءِ مِنْ قَوْلِهِ مَذَيْتُ الفَرَسَ إِذَا أَرْسَلْتَهَا تَرْعَى *

حكم اللواط فى بابه فارجع اليه .

الغيرة من الايمان لانها تعرب عن ان القائم بها يمتثل لامر ربه سامع لكلامه حيث ينفعل من سماع مالا ترضاه الديانة الاسلامية فلا يود سماع هذا النبا وذلك بان يتخذ الحيطة لعدم وقوعه بابعاد المخنثين عن داره وبابعاد أرباب الشبه الذين اتهموا بفساد الاخلاق وقبح الاعمال لاسيما اهل عصرنا الحاضر الذى ملىء هيكله فسادا وشرا مستطيرا فاياك ايها العامل ان تدخل فى بيتك احدا من الشباب الناشىء ولو كان من ذوى رحمك واصدقائك فانك إذا ادخلت احدا دارك لندمت وتلوث عرضك ولما امكنك استدراك مافات ووقع ، وانظر ماينشر فى الجرائد اليومية والمجلات الاسبوعية من وقوع جرائم كبيرة متعددة بسبب ذلك فانا لله وإنا اليه راجعون وقوله ان المذاء من النفاق حيث أنه أراد أن لايحفظ زوجته بالسماح لغيره بان يختلى بها الذى أقل درجاته المذاء مقدمة غيره من المفاسد فهو عدا عن نفاقه لاشرف عنده إذ اعرب بعمله هذا عن انحطاطه وسوء خلقه وقلة حيائه وفقد الغيرة فهو كأنه لايريد له نسلا حلالا وصار أحط من البهائم التى تغار على أنثاها فالكلب خير منه لان عنده من الغيرة مايخاصم غيره اذا أراد اشرا له نعم ان له شبها فى الخنزير الذى لاغيرة عنده ولا يتاثر بذلك ولو امعنت النظر وفحصت المسالة لوجدت ان غالب الذين يا كلون لحم

﴿٧٣﴾ الاعراض عن اللغو لقوله تعالى (قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون) *(١) وقوله : (والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً) وقوله : (وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه)*

واللغو الباطل الذى لا يعنيه ولا يتصل بقصد صحيح ولا يكون لقائله فيه فائدة وربما كان وبالا عليه *

وفى حديث أبى سلمة عن أبى هريرة وعلى بن الحسين عن أبيه عن على رضى الله عنه « أن رسول الله ﷺ قال من حسن اسلام المرء (٢)

هذا الحيوان النجس لاغيرة عندهم فهم اصل جرثومة الفساد وعلة نشرها وتعميمها .

(١) (قوله الاعراض عن اللغو) اللغو من الكلام مالا يعتد به وهو الذى يورد لا عن روية وفكر فيجرى مجرى اللغا وهو صوت العصافير ونحوها من الطيور ، وقد يسمى كل كلام قبيح لغوا قاله الراغب ، والنهى عنه لانه لاخير يرجى منه ولا يمكن ان يكون سببا فى دفع ضرر والانسان يسعى لعمل امافيه منفعة او دفع مضرة اما إذا خلا عن الامرين فلا بد من اجتنابه ولانه محقق ان لاخير فيه فاذن بقى باب الشر مفتوحا ولا يبعد ان يلجه هو او يدخل عليه غيره إلى أن يقع فيما لا تحمد عقباه لهذا منع الشارع الخوض فى مثل ذلك لما أنه لافائدة فيه ولأنه يؤدى الى الضرر :

(٢) «قوله من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه» هذا الحديث أصل عظيم

تَرْكُهُ مَالَا يَعْنِيه » *(١)

من أصول الآداب الشرعية والاجتماعية ولذلك قيل: جماع آداب الخير وازمته في أربعة أحاديث هذا أحدها ورواه الترمذي وابن ماجه وهو حسن كما قال النووي في الاربعين ووافقه على ذلك الحافظ ابن رجب وحكمة النهي المضمون انه لا فائدة له في مالا يعنيه والمؤمن لا ينبغي أن لا تكون أعماله عبثا ولا أوقاته تذهب هدرا وان لكل فرد عملا يجب ان يتقنه ويقوم به لأن الانسان يستحيل عليه أن يقوم بكل الأعمال فالبشر مضطرون إلى الاجتماع وتوزيع الأعمال من زراعة وصناعة وتجارة وحفظ أمن وصون كيان الامة واقامة العدل وغير ذلك فاذا اشرك الانسان غيره في عمله فانه لا يتمكن من ايفاء عمل نفسه ورفيقه المعترض عليه أيضا يفعل مثله فيختل النظام وتصبح الأمور فوضى .

ولا يرد على خاطرك أن هذا فيه إباحة لترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فمعاذ الله ان يكون ذلك وكيف وهذا امر يتعلق بالعموم والخصوص والأفراد والمجموع لأن انتشار فساد الأرض اشد اضرارا من انتشار الأمراض السارية والعلل الفاتكة في الاجساد ولا سيما في عصرنا هذا فقد أصبحت طرق الوقاية من الأوبئة متقنة وكثرت معالجاتها وأصبح الشفاء منها ليس بالامر البعيد بخلاف الامراض النفسية فان بلاءها في ازدياد وفتكها في جسم الامة أصبح شاملا للطبقات كافة بحيث يشق التخلص منه لانه ليس امرا محسوسا ليهيء الانسان له الاستعدادات ويتخذ الحيطة لاجله فالامر بالمعروف والنهي عن المنكر هو علاج هذه الامراض ولا يقوم غيره مقامه فاذن لا اشتمال لهذا الحديث عليهما أصلا . وإنما المراد ما يتعلق بالشخصيات والاعمال الفردية التي تعد المداخلة فيها هتكا للحرية وتعديا على الغير وتجاوزا على حقوقه *

وبه أنبأنا البيهقى أنبانا أبو عبد الله الحافظ ثنا الحسن بن محمد بن إسحاق قال سمعت أبا عثمان الحناط قال سمعت ذا النون يقول من أحب الله عاش، ومن مال إلى غيره طاش، والأحمق يغدو ويروح فى لاش، والعاقل عن خواطر نفسه فتاش» *

(٧٤) الجود والسخاء لقوله تعالى: (وسارعوا إلى مغفرة

---

(١) قوله «من أحب الله عاش» لأنه أدرك معنى الحياة وفهم ما يطلب منه وما يقصد من خلقه ووجوده فهو العائش وسواه ميت أو حجر لا فائدة فيه، وقوله «ومن مال إلى غيره طاش» حيث خرج عن حده ولم يدر الا الضلال فهو محكوم عليه بالتيه واضاعة المحجة المستقيمة، والأحمق يغدو ويروح فى لاش لأنه لا ثمرة تحصل من أعماله فهو عقيم النتيجة فاقد المنفعة فلا تثمر له أعماله خيراً أصلا *

وقوله «والعاقل عن خواطر نفسه فتاش» يتحرى منها النافع فيعمله والضار فيتجنبه فلا يترك الخيال يذهب بدون تدقيق وحساب وهذا هو العقل لأنه استطاع أن يعقل حتى خياله وتصوره *

(١) الجود والسخاء والكرم بمعنى، وهو انفاق المال الكثير بسهولة من النفس فى الأمور الجليلة القدر الكثيرة النفع كما ينبغى، ويقابله البخل وقد أمر بالجود المولى ومدحه فى كتابه المبين، وعلى لسان رسوله الامين ﷺ وكان نبينا ﷺ لا يوازى فى الكرم والجود ولا يبارى، وبه وصفه كل من عرفه، وما سئل قط فقال لا، لما رواه البخارى فى صحيحه والترمذى وغيرهما عن جابر رضى الله عنه قال: ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً فقال

مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَغَيْرِهَا مِنَ الآيَاتِ وَلِقَوْلِهِ فِى عَكْسِهِ : (وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ۞ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ) وَقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ

لا وأنشد حسان :

ماقال لا قط الافى تشـهده لولا التشهدلم تسمع له لالا

وفى الصحيحين عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال ، كان النبى ﷺ أجود الناس بالخير وأجود ما يكون فى رمضان ، وكان أجود بالخير من الريح المرسلة ، وهكذا كانت حاله ﷺ قبل أن يبعث ۞

وفى صحيح مسلم عن انس رضى الله عنه ، ان رجلا سأله فاعطاه غنما بين جبلين . فرجع الى قومه ، وقال اسلموا فان محمداً يعطى عطاء من لا يخشى فاقة . واعطى غير واحد مائة من الابل . واعطى صفوان بن امية مائة ثم مائة ثم مائة وكان مشركا . فقال اشهد بالله ماطابت بهذا الانفس نبى واسلم ۞

ورد على هو ازن سباياها وكانوا ستة الاف نفس مع اموالهم وكانت خمسمائة الف الف ، وحمل اليه ﷺ تسعون الف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها فقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها ، وجاءه رجل فساله ، فقال ما عندى شىء ، ولكن ابتع على ، فاذا جاءنا شىء قضيناه ، فقال له عمر رضى الله عنه ، ماكلفك الله مالا تقدر عليه فكره ذلك ﷺ فقال رجل من الانصار يارسول الله ، انفق ولا تخف من ذى العرش اقلالا فتبسم عليه الصلاة والسلام وعرف البشر فى وجهه ، وقال بهذا امرت ، والخبر بكرمه

وجوده لايحصى فعن البحر حدث ولا حرج *

ولاشك أن النفس مجبولة على حب من احسن اليها فالسخاء هو أعظم وسائل التعارف واهم وسائط التحابب فلذلك كان من شعب الايمان بل من ذوات الاهمية فيها ذلك لانه من الدواعى الى اجتماع الكلمة وتوحيد القلوب وحب الناس بعضهم بعضا فالجود من المزايا التى يجب ان يتحقق بها المؤمن ويعلم ان الموت خلفه بالمرصاد وانه ليس له من ماله الا ماقدمت يداه مما ينفقه فى طرق الخير فى هذه الحياة فانه محفوظ له *

(١) أمر الله تعالى عباده بالمسارعة والمبادرة إلى مغفرته تعالى ليفوزوا بجنة عرضها السموات والأرض أعدت للذين اتقوا الله ووصفهم المولى بقوله (الذين ينفقون فى السراء والضراء) أى لاستواء الطرفين لديهم فهم ينفقون فى اليسر والعسر فلا يبخلون ولو وصل بهم الحال إلى ما وصفهم الله تعالى بقوله : (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) والمراد من نفقة الاعسار أنه يساعد البائس فيما يقدر عليه وإن كان زهيداً كما فى مسند أحمد والبخارى ومسلم عن عدى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة» فالصدقة وإن كانت شق تمرة لاينبغى أن يستقلها بل يجوز أن يكون لها عند الله وقع لاتوازيه ألوف الدنانير *

ولاسيما عند ملاحظة المتصدق واحتياج الآخذ ، وبعضهم يحمل الآية على أن السراء السرور والضراء الحزن والغم فهو فى كلتا الحالتين لايتقاعس عن الانفاق *

ويحتمل أيضا أن يكون السراء ماينفقه فى حياته وفى الضراء مايوصى به بعد موته ، والخلاصة أن الصدقات بانواعها جميعا هى سبب لمرضاة الله تعالى وأما الذين يبخلون بان لم يعطوا حقوق الله الموجودة عندهم أمانة كى يؤدوها الى الفقراء او يمنعون الغير بافساد الرأى عن أداء مثل ذلك فاولئك لهم

نَفْسِه) وَقَوْلِه تَعَالَى : (وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)

وَغَيْرِهَا مِنَ الآيَاتِ *

وَلِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي الصَّحِيحَيْنِ «مَامِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ

إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا وَيَقُولُ الْآخَرُ

اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا» (١) *

عذاب أليم وما لهم من ناصرين ذلك لأنهم خانوا الامانة التي أودعت عندهم وظنوا انهم الى ربهم لايرجعون *

وقوله (ومن يوق شح نفسه) اى اؤم نفسه بان تتخلص من البخل والحرص وعرف ان هذا المال الذى يستموت لاجله لاينفعه بعد موته الا ما كان خالصا لوجه الله الكريم فحينئذ استطاع ان يتخذ وقاية من شح النفس فلا تتسلط عليه ولا تتقلب عليه فالذين يفعلون ذلك فاولئك هم المفلحون فى الدنيا بالحب والجاه . وفى الآخرة بالدرجات الرفيعة والثواب الجزيل *

(١) الخلف العوض يقال خلف الله لك خلفا ـ بفتح اللام ـ واخلف عليك خيراً اى ابدلك بما ذهب منك وعوضك عنه ؛ وقيل اذا ذهب للرجل ما يخلفه مثل المال والولد قيل اخلف الله لك وعليك واذا ذهب له مالا يخلفه غالبا كالاب والام قيل خلف الله عليك ، وقد يقال خلف الله عليك اذا مات لك ميت اى كان الله خليفة عليك واخلف الله عليك اى ابدلك ، والتلف الهلاك يقال تلف الشيء تلفا هلك فهو تالف ، واتلفته ورجل متلف لماله ومتلاف للمبالغة *

والمعنى اللهم اعط منفقا خلفا بان يبارك له فى رزقه حتى يستعمله فيما

يرضاه الله تعالى ويتباعد عن كل مايكرهه ، واعط ممسكا تلفا اى ان امواله تذهب بلافائدة تعود عليه ومصيرها الى التلف والزوال وان بقيت حياته فان ابناءه من بعده سيوزعونها وتذهب شذراً مذرا اما الصالح فان ماله يحفظ لاعقابه من بعده وبذلك صرحت آية (وكان ابوهما صالحا) بل ان احترام كثير من الناس اليوم بسبب صلاح اسلافهم لابسبب امر آخر *

وان الامساك المراد منه ان لايؤدى الى الفقراء حقوقهم من الزكاة اما اذ ادى عليه فهذا لايقال عنه ممسك بل يسمى منفقا لأنه اطاع فليس مكلفا بعد ذلك الا لشخص غلب عليه الجوع حتى كاد يموت فان هذه حالة استثنائية فان هذا البائس لومات ياثم كل من علم بحاله ويعتبر قاتلا وإن كان لا قود عليه ولا دية ولكن يتحمل عذاب قاتل أثيم . وانك لو أمعنت النظر فى حال البخلاء لوجدتهم أتعس حالا من البوساء فى تعب البدن وتهوش الفكر واضطراب القلب عند كل مايظهر انه سيكلف بدفع شيء ولاشك أن هذا ظيم مؤلم حمانا الله من شر ذلك *

(١) قوله « رحم الصغير » بأن يعطف عليه ويرق قلبه له حتى تظهر نتيجته وهو التفضل والاحسان وهذه لاتنزع إلا من شقى لم يرد الله به خيرا فان من لايرحم الناس لايرحمه الله تعالى وان فقدها بسبب النفرة والشقاق فكأن من لارحمة عنده يريد قطع السلسلة التى تربط الماضى بالمستقبل لأن من المعلوم أن صغار اليوم هم كبار العصر الآتى *

وقوله « وتوقير الكبير » وذلك تجاه الخدمات التى أداها فى ادواره الأول السابق على زمانك ليكن أقل شيء تؤديه تجاه دينه عليك هو التوقير

اللهُ فى صَحِيحِ مُسْلِم «مَنْ لَا يَرْحَمِ النَّاسَ لَا يَرْحَمْهُ اللهُ تَعَالَى» (١) *

وَحَدِيثُ أَبِى هُرَيْرَةَ فى الصَّحِيحَيْنِ «جَعَلَ اللهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ وَأَنْزَلَ فى الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الْخَلَائِقُ حَتَّى تَرْفَعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ» *

وحديث عبد الله بن عمرو فى سنن ابى داود ومسلم «من لم (٢)

لأن الكبير هو الذى نقل لك ما فى الماضى اذا لم يكن قد أوجد لك أمورا قد اخترعها عقله وأذاب دماغه فقد اضاع زمنا غير قليل فى سبيل منفعتك فيجب عليك توقيره وان تعلم بأن ما تعلمه ما هو إلا بسببه وكل أمة لا تحترم كبارها فهى محكوم عليها بالسقوط إما بأنها لا ماضى لها او لأنها لا تحفظ الجميل ولا تجزى الحسنة بمثلها وإنما يريد أن تجزى الحسنة بالسيئة وهذا هو الانحطاط أو وسائله القوية *

(١) قوله «من لا يرحم الناس لا يرحمه الله تعالى» لأنه إذا لم يشفق على عباد الله تعالى إما لأنه يراهم دون ما وضعهم الله فيه من التكريم بقوله (ولقد كرمنا بنى آدم) فاستحق عندئذ غضب الله لعدم امتثاله ما جاء فى القرءان الكريم وإما لأنه خال من الرحمة فالجزاء يكون من جنس ما كان عليه أو وفق عمله وحيث ان أعماله ليس فيها شىء من الرحمة بعباد الله تعالى فانه لا يصيبه شىء من رحمة الله تعالى كما أنه لم يصب غيره مما يقدر عليه من العطف والرحمة *

(٢) قوله «من لم يرحم صغيرنا ولم يعرف حق كبيرنا فليس منا» لأن

يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَلَمْ يَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا فَلَيْسَ مِنَّا » ٭

وَرَوَيْنَا فِى الصِّحَاحِ فِى حَدِيثِ الْقَسَامَةِ « كَبِّرْ الْكُبْرَ أَوْ الْكُبْرَ الْكُبْرَ أَىْ يَتَكَلَّمْ أَكْبَرُكُمْ » وَفِى حَدِيثِ الْاِمَامَةِ وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ » ٭

﴿ ٧٦ ﴾ إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ(١) لِقَوْلِهِ تَعَالَى (لَا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ

ظاهر حاله يشهد بذلك حيث قطع سلسلة الماضى بعدم معرفة حق الكبير وقطع سلسلة الآتى بعدم رحمة الصغير فلم يبق إلا معاصروه وهؤلاء ان يكن يتفاهم معهم فانه مضطر لذلك أو يريد أن يخدعهم ولا شك بان مثل هذا يجب أن لا يكون من المسلمين لأنه مادام لا يتعرف على الماضى ولا على المستقبل فهو بهيمة نازل عن المرتبة الانسانية فضلا عن أن يكون فى عداد الأمة الاسلامية التى قال الله تعالى فى حقها : (كنتم خير أمة أخرجت للناس) ٭

(١) قوله كبر الكبر أى قدم الاكبر لأن الكبر بضم الكاف وسكون الميم جمع الأكبر وهذا فيما إذا تساووا فى الفضل فان للسن زيادة هى الاختبار والحنكة وحق ايصال الماضى وربطه بالحال ولهذا قال الشارع قدم الأكبر ولم يقل الاسن لأن فيه ميزة فكان أكبر منه فان الاسن غير الأكبر فقد سئل العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال هو أكبر وأنا أسن منه ، وقوله فى حديث الامامة «فليؤمكم أكبركم » فان معناه ما قلناه أى بعد تساويهما فى القراءة والفقه والآن فان مجرد الكبر ليس سببا فى التقديم للامامة بل انه مرجح عند المساواة فى الأمور الأخر التى تقدم على السن كما هو معلوم ومدون فى كتب الفقه ٭

(١) الاصلاح التوفيق بين الناس ، والصلح اسم بمعنى المصالحة

مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) وقوله : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ) أى بين كُلِّ اثْنَيْنِ مِنْكُم » *

وأصله من الصلاح ضد الفساد ، والصلح اقسام . صلح بين المتغاضبين ويدخل فيه الزوجان ، وصلح بين الفئة الباغية والعادلة . والصلح فى الجراح ، وصلح المسلم مع الكافر وصلح لقطع الخصومات إذا وقعت المزاحمة فى الأملاك أو المشتركات كالشوارع ، والمراد به هنا مايعم الجميع *

والنجوى مصدر أو اسم مصدر ، معناه المسارة بالحديث ، أى الكلام الذى يتفرد به الجماعة أو الاثنان سرا ، وهى مظنة الاثم والشر يدل له قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالأثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى) الآية ، لأن العادة استحباب اظهار الخير والتحدث به جهراً وإخفاء الشر وكتمانه ، وقد جاء فى الحديث ، « الأثم ماحاك فى النفس وكرهت أن يطلع عليه الناس »

وعلى كل فالسعى للاصلاح بين الناس أمر مطلوب من الناس ومحمود عليه سواء كان بين الزوجين أو بين الخارجين على الأمة وبين الأمة أو بين سائر المخاصمات ، فان هذا من شعب الايمان لأنه يبعث على تجدد المحبة والموالاة ولا سيما إذا حصل الصلح عقب شادة ومنازعة فانه يكون أدوم وانفذ وقد جرت العادة أن المودة تستحكم عراها وليست على المسلمين نعمة أعظم من توحيد كلمتهم واجتماعهم بعد التفرقة قال تعالى خطابا لرسوله (هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو انفقت ما فى الأرض

وَحَدِيث أُمِّ كُلْثُوم بِنْت عُقْبَة بن أَبِي مُعَيط رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ « لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ فَيَقُولُ خَيْرًا وَيَنْمِي خَيْرًا قَالَتْ وَلَمْ أَسْمَعْهُ يُرَخِّصُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ كَذِبًا إِلَّا فِي ثَلَاثٍ الْحَرْبِ وَالْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ وَحَدِيثِ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ وَحَدِيثِ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا » (١) *

جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم) وقال تعالى خطابا للمسلمين : (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) ومهما يكن النزاع فان مصيره الى التفرقة وتسيطر العدو والمخاصم بخلاف الصلح فانه يوجد كتلة قوية دائمة نشيطة قال تعالى : (والصلح خير واحضرت الأنفس الشح) وقال تعالى (فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا إن الله يحب المقسطين انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) *

(١) قوله « وينمى خيرا » هكذا رواية مسلم بدون أو ، ورواية البخارى هكذا ، فينمى خيرا أو يقول خيراً ، وهو شك من الراوى ، قال ابن الأثير نقلا عن أبى عبيد . وابن قتيبة وغيرهما ، يقال نميت الحديث أنميه اذا بلغته على وجه الاصلاح وطلب الخير ، فاذا بلغته على وجه الافساد والنميمة قلت نميته بالتشديد اه وعزاه ابن حجر فى الفتح إلى الجمهور ، قال الحافظ قال العلماء المراد به هنا أنه يخبر بما علمه من الخير ويسكت عما علمه من الشر ولا يكون ذلك كذبا لأن الكذب الاخبار بالشىء على ماهو به وهذا ساكت

﴿ ٧٧ ﴾ أَنْ يُحِبَّ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ وَيَكْرَهُ لَهُ مَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ وَيَدْخُلُ فِيهِ إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ الْمُشَارُ إِلَيْهِ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ أَوْ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً أَفْضَلُهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ» *

ولا ينسب لساكت قول ، ولا حجة فيه لمن قال يشترط في الكذب القصد إليه لان هذا ساكت اه وقولها ولم أسمعه يرخص الخ هذه زيادة مدرجة في الحديث من كلام الزهري بينها مسلم في روايته من طريق يونس عن الزهري فذكر الحديث قال : قال الزهري الخ *

واختلف العلماء في معنى ذلك على أقوال والذي تميل إليه النفس ويقبله العقل السليم وتشهد له الأدلة هو ان هذا ليس من قبيل الكذب المحض بل هو من قبيل التورية واستعمال المعاريض بأن يأتي بكلمات محتملة يفهم المخاطب منها ما يطيب قلبه فاذا سعى في الاصلاح نقل من هؤلاء إلى هؤلاء كذلك وورى ، وكذلك في الحرب ياتي بالفاظ تحتمل وجهين فيوري بها عن أحد المعنيين ليغتر السامع باحدهما من الآخر ، ومن هذا الباب ما رواه الترمذي في شمائله عن النبي ﷺ انه مازح عجوزا فقال لها «لا تدخل الجنة عجوز» فاوهمها في ظاهر الأمر أن العجائز لا يدخلن الجنة أصلا ، وانما أراد انهن لا يدخلن الجنة الا شبابا ، وما جاء عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام وغيره محمول على ذلك ، فتفطن *

(١) قوله «ان يحب الرجل لأخيه المسلم ما يحب لنفسه» الخ هذا الحديث

وَحَدِيث أَنَسٍ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» *

وَحَدِيث جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ فِي الصَّحِيحَيْنِ بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ (١) *

هو الذي يصح ان يقال هو روح الاصلاح وهو عنوان الامة فى صعودها وهبوطها أو فى عزها وسقوطها لان من أحب لغيره ما أحب لنفسه فقد تحرر من العوائق النفسية والمطامع الذاتية مندمجين أو ذائبين فى بودقة الامة لا يعرفون الشرف ولا المنافع التى تدر عليهم وحدهم بل يلاحظ كل واحد مصلحة أخيه فيزول الشر ولا يبقى حاكم ولا محكوم لان الكل اخوان لا يريدون الا بيان الحقيقة اذا أبهم عليهم الحكم وأشكل الامر فلا حاجة للحراسة ولا لكثير من الامور التى اضطر الناس اليها بسائق تعدى أرباب الاخلاق السافلة والطباع الخبيثة ، وفى الحقيقة ان ما ينشا عن هذا الحديث من الاحكام لا تكفى له هذه العجالة وانما يمكن جمع فائدته فى أنه رافع للشر والفساد وكافل لاصلاح الامة ونهوضها ورقيها وتقدمها والله أعلم

(١) قوله «جرير بن عبد الله» هو ابو عبد الله جرير بن عبد الله البجلى منسوب الى بجيلة وهى قبيلة معروفة وقدم على رسول الله ﷺ سنة عشر فى رمضان واسلم وبايعه على ما فى الحديث وتوفى فى قرقيسيا سنة احدى وخمسين ، وقوله فى الحديث «والنصح لكل مسلم» اى النصيحة لكل مسلم لا فرق بين ملك وامير وعالم وصعلوك وفقير وقد فصل ذلك فى حديث مسلم عن تميم الدارى رضى الله عنه «ان النبى ﷺ قال الدين النصيحة قلنا لمن قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»

والنصح والنصيحة عليهما مدار الدين واصلاح المجتمع الانسانى لذلك كان معظم الصحابة رضى الله عنهم دائبا على النصح والارشاد والنظر الى ما يصلح عامة الناس وعوامهم ، والنصيحة مأخوذة من النصح ضد الغش من نصحت العسل اذا صفيته وهى كلمة جامعة تفسيرها ارادة الخير للمنصوح له وليس يمكن ان يعبر عن هذا المعنى بكلمة واحدة يجمع معناها غيرها كما قالوا فى الفلاح ليس كلمه اجمع لخيرى الدنيا والاخرة منه ، والنصيحة لله هى الايمان بوجوب وجوده واثار كرمه وجوده وبصفاته الكماليه وبافعاله المحمودة المرضيه وانه منزه عن الصاحبه والولد والشريك ، ولكتابه بان يعتقد انه كلامه القديم ويعتبر بمواعظه ويتدبر فى عجائبه وغرائبه ويعمل بمحكمة النصيحه ويسلم فى متشابهه ويكل علمه الى عالمه ويذب عنه تأويل المحرفين وطعن الطاعنين الى غير ذلك مما يتعلق به ، والنصيحة لرسوله الايمان به وبجميع ماجاء به والانقياد لأوامره والامتثال لزواجره ومعادات من عاداه وموالاة من والاه ونصر ملته واحياء سنته ونشر دعوته ومحبة ال بيته وصحابته ، والنصيحة لأئمة المسلمين بان يحبهم وينقاد لطاعتهم ولا يخرج عليهم قال الخطابى ومن النصيحة لهم الصلاة خلفهم والجهاد معهم واداء الصدقات اليهم هذا فيما إذا كانوا عدولا فى احكامهم ، وفى معناهم العلماء الاعلام بقبول ما رووه من الاحكام الشرعيه واحسان الظن بهم ، والنصيحة لعامة المسلمين بان يرشدهم الى ما هو الاصلح لهم والانفع ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويدفع الضر عنهم ويستر عوراته ويسد خلاتهم ويوقر كبيرهم ويرحم صغيرهم الى غير ذلك والله الهادى الى ما هنالك ٭

تم التعليق ولله الحمد والمنة فى ٢ ذى القعدة سنة ست وخمسين وثلاثمائة والف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل صلاة وأكمل تحية .

فهرست

﴿مختصر شعب الايمان للامام البيهقى﴾

صحيفة

صحيفه

صحيفه

صحيفة